السنة الثالثة العدد ٢٥

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

يونيو ٢٠٢٤ ذو القعدة ١٤٤٥



مجلة أنصار النبي ﷺ

تصدر عن

الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

International Organization Of Supporters Of The Prophet

أهداف الهيئة

تضع الهيئة هدفها الرئيسي على هذا النحو:

«أن يكون جناب النبي ﷺ مصوناً محترماً، وأن تكون الإساءة إليه مجرمة قانوناً في سائر أنحاء العالم» وهو الهدف الكبير الذي يحتاج إلى عمل ضخم ودؤوب على كافة المستويات.

وقبل الوصول إليه لا بد من إنجاز مراحل مهمة في التعريف بالنبي ﷺ، كذلك لا بد من إنجاز مراحل مهمة في حشد الجهود مع المسلمين والعقلاء من غير المسلمين لتجريم الإساءة إلى النبي ﷺ قانونياً في البلدان المختلفة، وهو الأمر الذي يتطلب خبرات متنوعة عالية المستوى.

السياسة العامة لعمل الهيئة

إن قضية نصرة النبي ﷺ قضية كبيرة لا يمكن أن تنهض بها جهة واحدة مهما بلغت من القدرات والإمكانيات، وكذلك فإن «الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ» اختطّت لنفسها سياسة عامة تقوم على تفعيل الطاقات الإسلامية واستثمارها والتنسيق بينها، بحيث تبلغ المجهودات المبذولة في نصرة النبي ﷺ أقصى نتائج ممكنة.

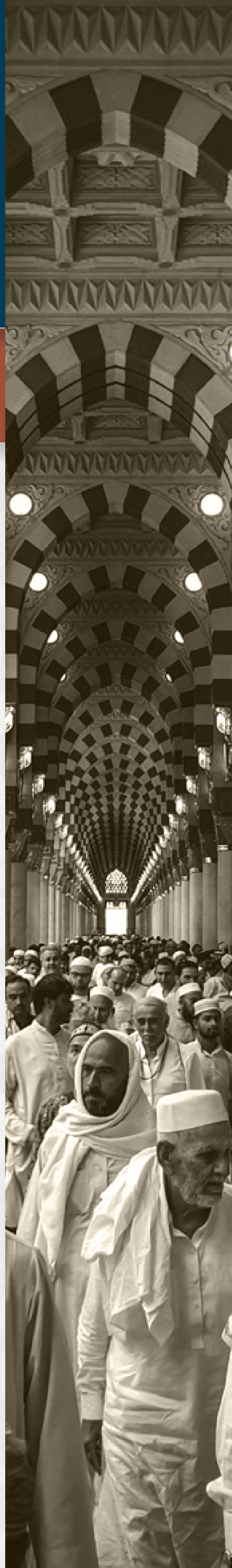
تضع الهيئة نفسها في موضع التنسيق والتنظيم بين المؤسسات الإسلامية المختلفة لتأدية واجب نصرة النبي ﷺ، فهي تعمل -على سبيل المثال- على استثمار طاقة الجاليات الإسلامية المقيمة في البلاد المختلفة لحصر أهم الشبهات والقضايا المثارة عن النبي ﷺ والتي تحتاج مجهودا علميا وفكريا لتفنيدها، ثم تعمل على حث طاقة المؤسسات العلمية من الجامعات الإسلامية والمعاهد والأكاديميات والروابط العلمائية على معالجة هذه الشبهات، ثم تعمل على تحويل هذا المجهود الفكري والعلمي إلى معالجات فنية متنوعة: مقروءة ومسموعة ومرئية قريبة إلى لغة العصر والمزاج العام السائد لدى الرأي العام المعاصر، وذلك عبر حث الطاقات القائمة في مجال الإعلام والإنتاج الفني لدى المؤسسات الإسلامية على معالجة هذه الأفكار. تستثمر هذه الأطراف جميعها طاقاتها الموجودة فعلاً في تسويق المنتجات النهائية.

وبهذا تتوجه المجهودات والطاقات القائمة نحو هدف نصرة النبي ﷺ بطريقة فعالة ومنسقة، حيث تؤدي كل جهة دورها الذي تحسنه.

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

محتويات العدد



أئمة الهدى

«من تراث العلماء والدعاة والشهداء الراحلين»

الصادعون بالحق

«من تراث العلماء والدعاة الأسرى»



@ ansarunaby@gmail.com

ترحب مجلة « أنصار النبي ﷺ » بمشاركات السادة القراء الكرام على هذا النحو:

١ كتابة المقال، وأن يكون مقالاً لا تنقصه الرصانة العلمية ولا العاطفة الدعوية، على ألا يتجاوز في أقصى الأحوال ١٥٠٠ كلمة، مذيلاً بالاسم الحقيقي لصاحبه.. ويتعلق بموضوع المجلة عن التعريف بالنبي ﷺ وشمائله وفضائله وأخلاقه ورحمته بأمته والتذكير بحقه وواجبات الأمة نحوه، والدفاع عن سنته ومحبة آل بيته وصحابته، ورد الشبهات عنه.

٢ ترشيح مادة كتبها عالم من العلماء الراحلين، أو من المؤسسات الإسلامية العريقة كالأزهر في مصر وهيئة كبار العلماء في الجزيرة وندوة العلماء في الهند تتعلق بموضوعات المجلة.. مع التوثيق الدقيق لهذه المادة: في أي كتاب أو مجلة نشرت بالصفحة وتاريخ الطبعة، أو رابط المادة على الانترنت.

٣ أو ترشيح مادة كتبها أحد العلماء والدعاة الأسرى فيما يتعلق بموضوع المجلة، مع التوثيق الدقيق لمصدرها.

- تفريغ مادة صوتية لأحد العلماء -الراحلين أو الأسرى- مع توثيق مصدرها.

- ولا نستغني أبداً عن مجهود القراء ومساعدتهم في نشر المجلة أو في ترجمتها إلى لغات أخرى أو في طباعتها وتوزيعها في بلدانهم، فحقوق الطبع والتوزيع محفوظة لكل مسلم.

ترسل المشاركات على البريد الإلكتروني التالي : ansarunaby@gmail.com

أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY

أكاديميـة علميـة ودعويـة عالمية، منبثقـة عن الهيئـة العالمية لنصـرة نبـي الإسـلام، تعتمـد التقنيـات والأسـاليب الحديثة في التعليـم، تنظـم وتقدم برامـج ودورات علمية، ودبلومات شـرعية وفنيـة ومهارية في مختلف مجـالات النصرة النبويـة، وتقوم على تخريـج وتأهيـل متخصصين فـي فقه نصـرة النبي صلـى الله عليه وسـلم علميا وعمليـا، وتعمل على تمكين الشـباب المسـلم من المشاركة الواعية الفعالة في مجالات النصرة المتعددة.

الشـيخ د. محمد الصغير

رئيـس الهيئــة العالمية لأنصــار النبي ﷺ

الشـيخ د.عبدالحي يوسـف

عميد أكاديمية أنصار النبي ﷺ

+90 536 491 13 74

@ansaracademy_



د. محمد الصغير
رئيس الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ



الافتتاحية..

بين بركة الطوفان وعار الخذلان

بعد مرور ٢٣٥ يوماً على بداية طوفان الأقصى تأكّد لنا مع كل يوم قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال ١٧]؛ فمن كان يصدّق في بداية الحرب أن الشعب الأعزل المحاصر من أكثر من ١٧ سنة، سيصمد أمام أعتى الجيوش العسكرية لمدة زادت عن سبعة أشهر حتى الآن، وأضحى الصمود والصلابة قاسماً مشتركاً لدى الجميع، لا فرق بين الرجل المدني الذي

زادت مرات نزوحه عن عشرين مرة، ولا المجاهد المقاتل الذي يبدأ في كل مرحلة بعزيمة وثبات وكأنه في أيام المعركة الأولى، ولا السياسي المفاوض الذي يبدي مرونة تفضح الخصم، وإصراراً على الثوابت يقهر العدو، وهذا الثالوث المبارك هو مجموع كتيبة غزة بأضلاعها الثلاثة.

كما قبل نصر السابع من أكتوبر نتحدث عن القيادة السياسية والكتائب الجهادية في محيط الحاضنة الشعبية، وبعد الطوفان أصبحت غزة كلها مجاهدة، كلٌّ على ثغرِه وفي ميدانه، ورأينا وسام الشهادة في سبيل الله يصطفي من الجميع ويشرف الكل، بداية من القادة الكبار أمثال الشيخ الشهيد صالح العاروري، وأبناء القادة وأحفادهم، كما في حالة الأخ القائد إسماعيل هنية الذي قدّم صبيحة العيد ثلاثة من أولاده وأربعة من أحفاده بالإضافة إلى العشرات من عائلته، بما يؤكد أن الشعب بكل مستوياته عازم على مشروع التحرير ومستعد لدفع الثمن.



إن جيش الاحتلال تلقّى صبيحة السابع من أكتوبر هزيمة على كافة الأصعدة، وإن معركة الانتقام الدائرة الآن تقودها أمريكا وحلفاؤها الأوربيون، وأذنابها المطبّعون، وكلّهم تحت راية إسرائيل، وما زالت غزة صامدة وحدها أمام الحرب العالمية المدعومة إقليمياً، بل استطاعت بعد سبعة أشهر من عدوان الاحتلال وهمجيته، أن تطلق صواريخها من رفح إلى عمق عاصمتهم المزعومة وضاعفت خسائرهم، بل وأخذت أسرى جدداً ممن دخلوا رفح بحثاً عن الأسرى القدامى!



سبعة أشهر يعربد فيها جيش الاحتلال في غزة، ومعه مارينز أمريكا، ونخبة فرنسا، وعتاد ألمانيا، وإمدادات الهند، وخدمات صهاينة العرب، ويظللهم جميعاً طيران بريطانيا، ومع ذلك لم يحققوا هدفاً واحداً من الأهداف التي أعلنها «النتن ياهو»، بل واستطاعت المقاومة إحراز أهداف جديدة.

ومن عجائب هذا الطوفان المبارك -وهو لا يقل أثراً عن طوفان نوح عليه السلام لأن كليهما عم الأرض جميعاً- أنه أظهر العداوة المتجذّرة في الغرب المتحضر للإسلام وأهله، ومع ذلك فإن الرأس الحاكم لم يؤثر فساده في بقية الجسد، فلم تتوقف المظاهرات الحاشدة والاعتصامات الدائمة في ميادين وجامعات الدول المشاركة في الحرب أو المساندة للعدوان، وهنا تفوق حكام عرب على كفلائهم، حيث استطاعوا أن يمنعوا مجرد التعاطف مع أهل غزة، ولو بالكتابة أو النشر على وسائل التواصل، أو حمل أعلام فلسطين في ملاعب الكرة، وأصبح خروج مظاهرة في بلد عربي، أو إظهار التعاطف مع فلسطين في فاعلية رياضية، من الاستثناءات التي يتغنى بها المتابع العربي، ومن تمة العجب أن في مصر الشقيقة الكبرى لما تجاوب طلاب مع طوفان المظاهرات في الجامعات العالمية كانوا طلاب الجامعة الأمريكية بالقاهرة!

والمتابع لتوغل جيش الاحتلال في مدينة رفح وسيطرته على الجانب الثاني من المعبر، والبلطجة في محور صلاح الدين «فيلادلفيا» يدرك أنهم أصحاب الكلمة والسيادة، وأبسط الأدلة على ذلك أن أحد شهود العيان ذكر لي أن شحنات المساعدات المقدمة من الشعب المصري لغزة، ممتدة من مدينة العريش إلى محافظة الإسماعيلية، ورأينا مؤخراً مقاطع مصورة لإعدام بعض حمولاتها لأنها فسدت من طول الانتظار، بما يجعلنا أمام خيارين لا ثالث لهما: إما العجز وفقد السيطرة وانعدام السيادة، أو التواطؤ والخيانة والعمالة.

ولكن شاءت إرادة الله أن يلمع بريق أمل وسط هذه العتمة المدلهمة، حيث أعلن جيش الاحتلال عن اشتباك بالذخيرة بين عساكره وجنود مصريين، وسط تكتم مصري كالعادة، بل حذف الصهاينة الخبر ثم عادوا لنشره، وأسفرت تلك الواقعة عن استشهاد عبد الله رمضان ثم إسلام إبراهيم من أبناء محافظة الفيوم، وما حدث في الرواية المصرية السابقة عن البطل الشهيد محمد صلاح بدايةً بالتكتم ثم التضارب، تجعلني لا أصدق روايتهم عن استشهاد عبد الله وإسلام في الاشتباك مع الصهاينة، وبالرجوع إلى صفحات الشهداء على وسائل التواصل، وجدنا تحرّقهم على محرقة الخيام في رفح، وقتل الأبرياء في غزة، ونشرهم عن حملات المقاطعة لمنتجات الشركات الداعمة للحرب والإبادة.

فنسأل الله أن تُطهر دماؤهم الزكية، بعض ما لحق بأمتنا من دنس وعار، وأن يتم للمجاهدين الفوز والانتصار، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

محمد إلهامي (رئيس التحرير)
عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ



﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾

بينما نُعِدُّ لهذا العدد الجديد، أخبرت أستاذنا الفنان الكبير د. علاء اللقطة الذي يصمم لنا غلاف المجلة، بأن العدد سيحوم حول معاني الحج وغزة.. فما لبث أن جاءنا بهذا الغلاف البديع الذي حوَّل مسار مقالي هذا تماماً.

كنت أخطط لأن أكتب حول هذه المعاني:

١ إن أولى ما ينبغي الكلام فيه الآن هو: كيف ينبغي أن تستثمر الأمة موسم الحج في نصرة غزة، بداية من الدعاء ومروراً بالمقاطعة والحث على النصرة وتحريض المؤمنين، وانتهاء بالمشاركة بالمال والسلاح في هذا الجهاد الشريف.

٢ ما أقرب الحج من الجهاد، وما أقرب الجهاد من الحج، وقد جاء الاقتران بينهما في عدد من أحاديث النبي ﷺ، كقوله ﷺ حين سُئل عن أفضل الأعمال: «إيمان بالله ورسوله، ثم الجهاد في سبيل الله، ثم حج مبرور»[1]. وكقوله ﷺ جواباً لسؤال عائشة رضي الله عنها: نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ فقال ﷺ: «لكن أفضل الجهاد حج مبرور»[2]. ولهذا فقد أتبع بعض العلماء الحديث عن الحج بالحديث عن الجهاد، كما فعل الإمام النووي في أشهر كتبه: رياض الصالحين.



ففي كلا الأمرين: **الحج والجهاد**، يخرج المسلم من حظ الدنيا ويترك الأهل والولد والديار، ويتعرض للصعاب والمشقات، وتفرض عليه العبادة الزهد في الدنيا من ملبس ومأكل ومشرب، ويقترب بنفسه وبقلبه من يوم القيامة والدار الآخرة. وفي كلا الأمرين: يرى المسلم نفسه متبعاً لخطوات نبيه ﷺ وخطوات الصدر الأول: إما في المكان كما هو حال الحاج، أو في الهدي والطريقة والسبيل كما هو في الجهاد.

٣ إن نصرة غزة الآن وبذل المال والجهد لها مُقدَّم على الحج، لا سيما إن كان حج النافلة، فإن الحج فريضة فردية لازمة ونصرة غزة فريضة يتعدى نفعها للأمة، وإن الحج فريضة على التراخي بينما النصرة الآن واجب الوقت الذي لا يحتمل التراخي. فمن كان يرجو ثواب الله حقاً لا حظ نفسه، فإن رضا الله في نصرة عباده.

---

١ البخاري ومسلم.
٢ البخاري.

٤ إن الأنظمة والحكومات التي تُصَعِّب طريق الحج وتقيم دونه الحواجز هي ذاتها التي تقطع الطريق على نصرة غزة وتقيم دون الجهاد فيها كل الموانع والحواجز. ومن الغريب المثير للتأمل والتفكر أنهم يفتحون البلاد للسياحة ويسهلون زيارتها بغرض الترفيه والرقص والطرب ومطالعة آثار الكافرين، ثم هم أنفسهم يعاقبون ويتشددون في تعقب من يزور بيت الله الحرام ومسجد نبيه ﷺ ويحيطون ذلك بجملة من التصريحات التي تصد عن سبيل الله وعن بيته! فكل نظام يحاول أن يستصفي من أموال الحجاج ما استطاع، وهم يعرفون أن في هذه الأمة من الفقراء والضعفاء من يقضي عمره كله يجمع الأموال ليحج إلى بيت الله الحرام.. إن هؤلاء الذين يصدون عن المسجدين هم أنفسهم الذين فرطوا وخانوا المسجد الثالث، ويقفون الآن يداً واحدة مع الصهاينة في تهديده وتهويده وقتل المجاهدين المدافعين عنه!

هذا ما كنت أنوي الكتابة فيه، حتى جاءني هذا الغلاف الذي ترونه لهذا العدد.. فدارت رأسي حقاً، وأنا أتأمل وجهاً جديداً من الشبه والقرب لم أنتبه إليه:



١ هذه الخيام التي ينزلها الحجاج، ما أقرب مشهدها بالخيام التي يأوي إليها النازحون المشردون الذين أفلتوا من نيران العدو الصهيوني وجحيمه!

٢ وهذا الاغتراب عن البيوت والديار، ما أقرب الشبه فيه بين حاجٍّ وبين لاجئ، كلاهما قد فارق أهله، واستبدل بهم أهلاً وجيراناً آخرين!

٣ وما أقرب القائمين في هذه الخيام ممن يعظون أهلها عن المناسك والعبادة بالذكر، بالقائمين في خيام النازحين يعظونهم في الصبر والثبات والاستبشار بنعيم الجنة وبالثواب العظيم الذي كتبه الله للمجاهدين وأهلهم الصابرين الثابتين.



هذه مشاهد القرب.. ولكن، كما قيل: ما أقرب ما بينهما وما أبعده!

فهذه الخيام ما أقربها في الشبه، ولكن ما أبعد ما بين الخيمتيْن من وسائل الراحة، وما أبعد ما يشعره النازلون فيها من الأمن ومن الخوف، وما أبعد الأمل الذي يرفرف على خيام الحجاج من الكرب الذي يخيم على خيام اللاجئين!

ما أبعد ما بين خيمة الحاج فيما مُهِّد لها من الطرق ومن الخدمة وما بين خيمة اللاجئ التي يعاني فيها من الحصول على الطعام القليل، والماء الشحيح، وضرورات الحياة البسيطة التي يحتاجها كل كائن حي!

ثم يأتي بعض أولئك فيفتخر بما يقدم للحجيج من وسائل الراحة من بعد ما استصفى أموالها من الحجيج ومن المتصدقين والمتطوعين لخدمة ضيوف الرحمن، وهو نفسه الذي يسهم بأموال المسلمين الذين غلب عليهم في ذبح المجاهدين هناك وفتح الطرق البرية والجوية والبحرية لدعم الصهاينة وإسنادهم! فكأنما فيهم نزل قول الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ

وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [التوبة: ١٩-٢٠].

وبين المشهدين المتشابهيْن والمتباعديْن، اختار صاحبنا الفنان أن يكتب قوله تعالى: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. فيا لحسن هذا الاختيار!!

كأنما استدار الزمان على هيئته مرة أخرى، وتقلبت صفحات اليوم ليشبه آخرها أولها:



ففي ذلك الزمن البعيد نادى بها إبراهيم يسأل الله أن ينقذ زوجه وابنه المحرومين المحتاجين في أرض الجدب والصحراء، فما أشبه ذلك بحرمان المحاصرين الذين أغلقت عليهم المنافذ والمعابر حتى صار الطعام والشراب أثمن ما يحتاجون إليه! ما أشبه الكرب الذي كانت فيه هاجر وابنها الرضيع إسماعيل بالكرب الذي فيه الآن أهل غزة، لا نصير ولا ظهير ولا أنيس ولا رفيق، كم في غزة الآن من امرأة تشبه أمنا هاجر، تضرب الأرض وتأكلها الحيرة بحثاً عن شيء تطعمه ابنها الصغير الذي يوشك أن يموت من الجوع؟!

وقد استجاب الله دعوة إبراهيم، فهذه الخيام الكثيرة التي نراها في الحج هي دليل الإجابة لذلك النداء القديم البعيد، فلقد أقبلت الأفئدة تهوي إلى البيت العتيق، ومنها ستصدح الحناجر بالدعاء للمجاهدين والنازحين في غزة، وعسى الله أن يقر أعيننا فيستجيب! ونرى المواكب تسير إلى غزة ومنها إلى المسجد الأقصى، تلبي وتكبر وتتلو آيات الفتح المبين!

وتأمل -أخي القارئ- في أن إبراهيم عليه السلام حين دعا ربه لم يبدأ بطلب الطعام والشراب، بل بدأ بطلب الأنس والرفقة والصحبة، طلب أن تهوي إليهم الأفئدة.. أن تذهب إليهم القلوب، ثم أردف بطلب الرزق من الطعام والشراب، قال: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. فلما أجابه الله تعالى أخرج لهم الرزق، ماء زمزم، ثم جاء لهم بالناس!

لكن الوقفة هنا هي في قول إبراهيم عليه السلام: «أفئدة»..

وقد ذكر المفسرون أن «أفئدة» يمكن أن تكون جمعاً لكلمة «وفود»، أو تكون جمعاً لكلمة «فؤاد».. فالمعنى قد يكون: اجعل وفوداً من الناس تحنّ إليهم، وقد يكون: اجعل قلوباً من الناس تحنّ إليهم.

ولا يتعارض المعنيان! فلربما حنَّت القلوب وعجزت الأجساد كما هو حال من لم يستطع أن يحج ومن لم يستطع أن يغيث غزة في كربها، فعجزت الوفود عن الوفود! ولربما قست القلوب فلم تحنّ ولم تهوِ فذلك هو الكفر والجحود والإعراض عن أمر الله بالحج، وذلك هو الخيانة والخذلان والإعراض عن أمر الله بنصرة المسلمين المستضعفين المكروبين.



ولهذا استعاذ نبينا ﷺ، وعلَّمنا أن نستعيذ في كل صباح ومساء، من العجز والكسل.. فالعجز هو وجود الإرادة وافتقاد القدرة، والكسل هو وجود القدرة وافتقاد الإرادة!

نعم، المعركة معركة قلوب في المقام الأول، ثم هي معركة قدرة في المقام الثاني.. وبهما يكون الظفر، وقد قال الشاعر الذي وجد القدرة ولم يجد العزيمة:

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا •• إذا لم يكن فوق الكرام كرام

وقال الآخر الذي وجد العزيمة وفاته القدرة:

لا تلم كفِّي إذا السيف نبا •• صح مني العزم، والدهر أبى

ولئن كان حجاج بيت الله الحرام قد أكرمهم الله بالقدرة والهمة، فها هي الأمة كلها تقف عاجزة أمام إخوانهم في غزة، بل كثير من قلوب غير المسلمين تحركت لأجل غزة وما استطاعت أن تغيثها حتى الآن بما ينفع!



وهذا هو المشهد:

- قومٌ يملكون أن يفعلوا ولكنهم قلوب قاسية لا تلين ولا تحن، هي قلوب الأعداء المجرمين من الصهاينة، وقلوب من يساندهم من الغربيين والأمريكان، ثم قلوب من يخدمهم من أنظمة الخيانة والعمالة.. قلوبٌ لا تؤثر فيها الدماء ولا الدموع ولا الأشلاء.. قلوب من الصفوان الصلد الصلب! قلوبٌ وصفها الله تعالى بقوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

- وقومٌ لا يملكون أن يفعلوا مهما تقطعت قلوبهم وتمزقت أحشاؤهم وضاقت عليهم نفوسهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ومنهم من تعرض في سبيل نصرة غزة بالكلمة والتغريدة ورفع العلم والهتاف إلى السجن والتنكيل والحرمان من شهادته الجامعية ومن العمل... إلخ! بل منهم من قُتِل كما وقع قبل يومين من كتابة هذا المقال عن الجنود المصريين الذين أطلقوا النار على قوة إسرائيلية عند معبر رفح، فنشبت معركة استشهد فيها جنديان.

لقد شرع الله هذه العبادات الجامعة لمقصديْن كبيريْن: تطهير القلب والشعور بوحدة الأمة. فالمرء المسلم حين يصلي فيعرف أنه في نفس هذا الوقت يصلي المسلمون مثله حول العالم، وحين يصوم في رمضان فيعرف أنهم يصومون مثله في نفس هذا الشهر حول العالم، ثم هو حين يحج يرى إخوانه وقد جاؤوا إلى هذه البقعة ذاتها من كل فج عميق! في كل عبادة من هذه يتقارب المسلمون؛ بداية من أهل الحي الواحد الذين تجمعهم الصلوات الخمس، وحتى أهل المعمورة كلها حين يجمعهم البيت الحرام.

وليس يمكن أن يوجد مسلم يلتزم بدينه ثم هو لا يشعر بإخوانه المسلمين حول العالم، فكيف إذا كانت مآسي المسلمين قد أيقظت من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من فطرة ولو كان كافراً؟!!



إذا لم تهوِ أفئدة المسلمين الآن إلى غزة وإلى السودان وإلى المسلمين في الهند وفي بورما وفي تركستان، فأين ستهوي وأين ستذهب؟!

وإذا هوت الأفئدة والتقت الوفود، فهل يعقل أو يقبل أن يمضي هذا الاجتماع وينفض كأن لم يكن؟!

ما كان هكذا حج المسلمين منذ زمان نبيهم ﷺ، بل كان الحج هو مؤتمر المسلمين الأكبر، وهو مشهدهم الأعظم، وهو ملتقاهم الأضخم، فمن أكرمه الله بالحج فلا يفوت هذه الفرصة في نصرة إخوانه المكروبين، ومن لم يكن من أهل الحج في هذا العالم فليعلم أن واجباً أعظم من الحج في انتظاره: **وهو واجب نصرة المسلمين المستضعفين المظلومين! وكل امرئ أعلم بما يستطيع!**



فإذا صدقت الأفئدة، التي هي القلوب، ظهر هذا في العمل، كما قيل: من صحّ منه العزم أُرْشِد للحيل، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ومن قول نبينا ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[٣].

كذلك إذا صدقت الأفئدة، التي هي الوفود، ظهر ذلك في الظفر، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [النساء: ١٧٤-١٧٥].

---

٣ البخاري ومسلم



د. عبد الحي يوسف
عميد أكاديمية أنصار النبي ﷺ

الجهاد بالمال في غزة

أفضل من حج التطوع

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، أما بعد:

فإن حج بيت الله الحرام من آكد شعائر الإسلام، ومن أركان الدين العظام، وقد حث عليه نبينا عليه الصلاة والسلام، حين قال: «يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج.. فحجّوا». وبيَّن ما فيه من الفائدة الدنيوية والأخروية حين قال: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد».

وأما ثوابه وأجره فما أعظمه! «مَن حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

وقال ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة ما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «عُلِّقت القلوبُ على محبَّةِ الكعبةِ: البيتِ الحرامِ، حتى استطاب المحبُّونَ في الوصولِ إليها هجرَ الأوطانِ والأحبابِ، ولَذَّ لهم فيها السَّفرُ الذي هو قطعةٌ من العذاب، فركِبوا الأخطارَ، وجابُوا المفاوزَ والقِفارَ، واحتملوا في الوصولِ غايةَ المشاقِّ، ولو أمكنهم لسَعَوا إليها على الجفونِ والأحداقِ:



نعمْ أسعَى إليكَ على جُفوني •• وإنْ بَعُدت لمسراكَ الطريقُ

وإن من المعاني العقدية العظيمة التي جعلها الله عز وجل في هذه الشعيرة المباركة:

أولاً: الانقياد والتسليم لشرع الله سبحانه وتعالى؛ فالحج خير مثال لتحقيق هذا التسليم، فإنّ تنقل الحجاج بين المشاعر، وطوافهم حول البيت العتيق، وتقبيلهم للحجر الأسود، ورمي الجمار.. وغيره كثير: كل ذلك أمثلة حية لتحقيق هذا الانقياد لشرع الله تعالى، وقبول حكم الله عز وجل بكل انشراح صدر، وطمأنينة قلب. وقد قال الشاطبي رحمه الله تعالى في الموافقات: الأصل في العبادات بالنسبة للمكلف التعبد دون الالتفات إلى المعاني.



- **ثانياً: توحيد الله عز وجل**، ولذلك يبدأ الحاج نسكه حين يهل بالتوحيد: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»، وحين يكثر يوم عرفة من قول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»، وحين يقرأ في ركعتي الطواف بسورتي التوحيد: الكافرون والإخلاص، وحين يصعد على الصفا والمروة مهللاً: «لا إله إلا الله، والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحي ويميت، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»، ويتذكر أن الخليل إبراهيم عليه السلام قد أوصاه ربه قائلاً: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

- **ثالثاً: تعظيم شعائر الله وحرماته**، فقد جعل الله عز وجل الكعبة المشرفة حراماً وشهر الحج حراماً وجعل المسجد حراماً، ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾ [المائدة: ٩٧]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الحج: ٢٥]، وقال عن مزدلفة ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وقال نبينا ﷺ عن مكة «أليس البلد الحرام» وأمرنا بتعظيم ذلك كله ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى

ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]. يقول ابن القيم رحمه الله: «وروح العبادة هو الإجلال والمحبة، فإذا تخلى أحدهما عن الآخر فسدت. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة»، يعني: الكعبة حق تعظيمها، «فإذا ضيعوا ذلك هلكوا».

- **رابعاً: محبة النبي ﷺ**، حين يباشر الحاج تلك المناسك ويسير في تلك العرصات المباركة، يتذكر كيف مشى فيها نبيه المصطفى ﷺ، وكيف جهد في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، وكيف أظهر الدين وأعلى كلمة الله، فيتأسى به في ذلك كله مستحضراً قوله ﷺ: «خذوا عني مناسككم»، فإن من علامات محبته اتباعه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

- **خامساً: تحقيق عقيدة الولاء والبراء**، الولاء للمسلمين حين يراهم وقد اختلفت ألوانهم وتعددت ألسنتهم ومع ذلك قد اجتمعوا في مكان واحد، في زي واحد، يرددون شعاراً واحداً، ويعبدون رباً واحداً، قد جمعهم الزمان والمكان والغاية، فينعقد قلبه على محبتهم ونصرتهم والتعاون معهم، وفي الوقت نفسه يرى كيف تخالف عقيدة الإسلام عقائد المشركين من سائر الملل، وأن نبيه ﷺ قد حرص على مخالفة المشركين في تلك المناسك فأفاض من عرفات من حيث أفاض الناس مخالفاً ما كانت عليه قريش، وأعلن البراءة من الجاهلية وطقوسها حين قال في خطبة الوداع: «ألا أن كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدميَّ هاتين».



- **ومما ينبغي التنبيه عليه أن العبادات تتفاضل باختلاف الزمان والمكان، يقول الإمام أبو عبد الله ابن القيم رحمه الله تعالى:** «إن أفضل العبادة، العمل على مرضاة الرب تعالى في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته. فأفضل العبادات في وقت الجهادِ الجهادُ، وإن آل إلى ترك الأوراد؛ من صلاة الليل وصيام النهار؛ بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض، كما في حال الأمن. والأفضل في وقت حضور الضيف مثلاً القيام بحقه، والاشتغال به عن الورد المستحب، وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل. والأفضل في وقت استرشاد الطالب وتعليم الجاهل الإقبال على تعليمه والاشتغال به. والأفضل في أوقات السحر الاشتغال بالصلاة والقرآن، والدعاء والذكر والاستغفار. والأفضل في أوقات الأذان ترك ما هو فيه من ورده، والاشتغال بإجابة المؤذن.

- **والأفضل في أوقات الصلوات الخمس:** الجد والنصح في إيقاعها على أكمل الوجوه، والمبادرة إليها في أول الوقت، والخروج إلى الجامع، وإن بَعُدَ كان أفضل. والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه، أو البدن أو المال، الاشتغال بمساعدته، وإغاثة لهفته، وإيثار ذلك على أوراده وخلوته.



- **والأفضل في وقت قراءة القرآن:** جمع القلب والهمة على تدبره وتفهمه، حتى كأن الله تعالى يخاطبك به، فتجمع قلبك على فهمه وتدبره، والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمع قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك. والأفضل في وقت الوقوف بعرفة الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر دون الصوم المضعف عن ذلك.

- والأفضل في أيام عشر ذي الحجة الإكثار من التعبد، لاسيما التكبير والتهليل والتحميد، فهو أفضل من الجهاد غير المتعيِّن. والأفضل في العشر الأخير من رمضان لزوم المسجد فيه والخلوة والاعتكاف، دون التصدي لمخالطة الناس والاشتغال بهم؛ حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم، وإقرائهم القرآن عند كثير من العلماء.



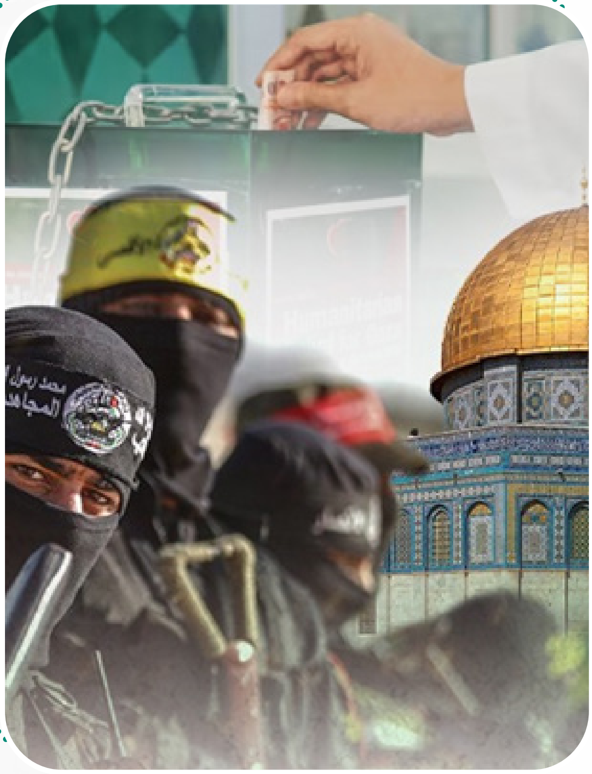
- والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته، عيادته وحضور جنازته وتشييعه وتقديم ذلك على خلوتك. والأفضل في وقت نزول النوازل وأذاة الناس لك أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم، دون الهرب منهم، فإن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه. والأفضل خلطتهم في الخير، فهي خير من اعتزالهم فيه، واعتزالهم في الشر، فهو أفضل من خلطتهم فيه، فإن علم أنه إذا خالطهم؛ أزال الشر أو قلله، فخلطتهم حينئذ أفضل من اعتزالهم.

- فالأفضل في كل وقت وحال إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال، والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه. وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق، وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره، بل غرضه تتبع مرضات الله تعالى أين كانت. فمدار تعبده عليها، فهو لا يزال متنقلاً في منازل العبودية، كلما رُفعت له منزلة عمل على سيره إليها، واشتغل بها حتى تلوح له منزلة أخرى، فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره». انتهى كلامه رحمه الله[1].

١ ابن القيم، مدارج السالكين، (١/١١١).

الجهاد بالمال في غزة أفضل من حج التطوع

وإذا كان الحج إلى بيت الله الحرام يأتي في قمة الصالحات التي يحرص عليها المسلمون في شهر ذي الحجة، إلا أنه في عامنا هذا ينبغي أن يقال: إن الجهاد بالمال مع إخواننا في غزة أفضل يقيناً من حج التطوع، وذلك لوجوه منها:



- **أولها:** أن حج التطوع نافلة، والجهاد بالمال واجب، والواجب مقدَّم على النفل؛ وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: «وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه».

- **ثانيها:** أن حجة التطوع عبادة قاصرٌ نفعُها على فاعلها؛ بينما الجهاد بالمال يتعدَّى نفعه إلى المسلمين عامة، يقول العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى في بيان قوله ﷺ حين سُئل عن أفضل الأعمال فقال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور».

فجعل الإيمان أفضل الأعمال لجلبه لأحسن المصالح، ودرئه لأقبح المفاسد مع شرفه في نفسه وشرف متعلَّقه، وجاء بعده الجهاد؛ لأن مصلحته أحط من الإيمان وأعظم من الحج، ثم جاء الحج لأن مصلحته أحط من الجهاد.

- **ثالثها:** أن العبادات إذا تزاحمت فإنه يُقدَّم ما يخشى فواته على ما يمكن تداركه؛ وبيان ذلك أن حج النافلة يمكن تداركه في عام قابل، أما هؤلاء المجاهدون في غزة فإنهم لو كُسِروا -لا قدَّر الله- فتلك مصيبة الدهر على المسلمين عامة.



- **رابعها:** أن العقل والشرع كلاهما يقضيان بتقديم الأهم على المهم، ولا شك أن مدافعة العدو اللئيم الذي يدنس مقدسات المسلمين ويسفك دماءهم وينتهك حرماتهم ويزرع الفتن بينهم.. أهم وآكد من حجة النافلة.

- **خامسها:** أن الحج إنما شرع -بالإضافة إلى تحقيق توحيد الله عز وجل وإقامة ذكره وشهود المنافع- ليكون من المسلمين في كل عام وفد يعظِّمون حرمة البيت العتيق، وهذا حاصل -والحمد لله- بجمهور عريض من المسلمين يذهبون لأداء حجة الفريضة، بينما ثالث المسجدين يئن تحت الاحتلال الغاشم من أخس خلق الله، وقد قامت تلك العصابة من أهل غزة تغضب له وتدافع عنه؛ فحريٌّ بكل مسلم قادر أن يدعمهم بما يستطيع.



د. الحسن بن علي الكتاني
عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

شبهات الصهاينة
في احتلال الأرض المقدسة والردّ عليها (٢/٢)

إن وعد الله بالسيادة والإمامة كان بالنسبة لبنى إسرائيل وعداً مشروطاً بتنفيذ التعاليم، وبصون أوامر الله تعالى وبحفظ العهود والمواثيق التي أُخذت عليهم.

التكريم الإلهي متعلق بالعمل لا بالنسب

لم يستحق بنو إسرائيل هذا الاختيار والاصطفاء، فكان المحْق والغضب عليهم، لأن الاصطفاء مشروط بشروط لم يوفّوا بها. ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]. فعندما نكثوا عهد الله لم يُبقهم الله أمة الاختيار والاصطفاء ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۢ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [البقرة: ٢١١].

وقال لهم: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

كان الوعد بامتلاك الأرض وعدًا مشروطًا. تعيّن على بني إسرائيل مواصلة الطاعة لكي يواصلوا امتلاك الأرض، نقرأ: «إذا ترك بنو إسرائيل عهد الرب ومضوا وعبدوا آلهة أخرى، سيستأصلهم الرب من الأرض ويطرحهم في أرض أخرى». (سفر التثنية ٢٩: ٢٥-٢٨)، تقول نبوءة إرميا: «بسبب معصية بني إسرائيل، أرسل الرب نبوخذ نصر الذي جلاهم إلى بابل واستعبدهم مدة سبعين عامًا وجعل أرضهم خربة» (سفر إرميا ٢٥: ٨ - ١١).

ولم يسمعوا لشريعة الله ولم يسلكوا في الطريق، نقرأ: «منْ دفع يعْقوب إلى السّلبِ وإسْرائِيل إلى النّاهِبين؟ أليْس الرّبّ الّذي أخْطأْنا إليْهِ ولمْ يشاؤوا أنْ يسْلكوا فِي طرقِهِ ولمْ يسْمعوا لِشرِيعتِهِ. فسكب عليْهِ حموّ غضبِهِ وشِدّة الْحرْبِ، فأوْقدتْه مِنْ كلِّ ناحِيةٍ ولمْ يعْرِفْ، وأحْرقتْه ولمْ يضعْ فِي قلْبِهِ»(سفر أشعياء ٤٢: ٢٤).

والنصوص في هذا المعنى كثيرة جداً في الكتاب المقدس.



تحول الأمة المصطفاة إلى أمة غضبية ملعونة

قال الله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]. قال أهل العلم: المغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى. ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٢].

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]. ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨]. ﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومن غضب الله عليهم مسخ بعضهم قردة وخنازير ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥] ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقد أخذ الله عليهم عهداً في التوراة بقوله: «ملْعون الإنْسان الّذي يصنع تِمْثالًا منْحوتًا أوْ مسْبوكًا، رِجْسًا لدى الرّبّ عمل يديْ نحّاتٍ، ويضعه فِي الْخفاءِ. ويجِيب جمِيع الشّعْبِ ويقولون: آمين. ملْعون منْ يسْتخِفّ بِأبِيهِ أوْ أمِّهِ. ويقول جمِيع الشّعْبِ: آمِين. ملْعون منْ ينْقل تخْم صاحِبِهِ. ويقول جمِيع الشّعْبِ: آمِين. ملْعون منْ يضِلّ الأعْمى عنِ الطّرِيقِ. ويقول جمِيع الشّعْبِ: آمِين. ملْعون منْ يعوِّج حقّ الْغرِيبِ والْيتِيمِ والأرْملةِ. ويقول جمِيع الشّعْبِ: آمِين. ملْعون منْ يضْطجِع مع امْرأةِ أبِيهِ، لأنّه يكْشِف ذيْل أبِيهِ. ويقول جمِيع الشّعْبِ: آمِين. ملْعون منْ يضْطجِع مع بهِيمةٍ مّا. ويقول جمِيع الشّعْبِ: آمِين. ملْعون منْ يضْطجِع مع أخْتِهِ بِنْتِ أبِيهِ أوْ بِنْتِ أمِّهِ. ويقول جمِيع الشّعْبِ: آمِين. ملْعون منْ يضْطجِع مع حماتِهِ. ويقول جمِيع الشّعْبِ: آمِين. ملْعون منْ يقْتل قرِيبه فِي الْخفاءِ. ويقول جمِيع الشّعْبِ: آمِين. ملْعون منْ يأْخذ رشْوة لِكيْ يقْتل نفْس دمٍ برِيءٍ. ويقول جمِيع الشّعْبِ: آمِين» (سفر تثنية ٢٧: ١٣).

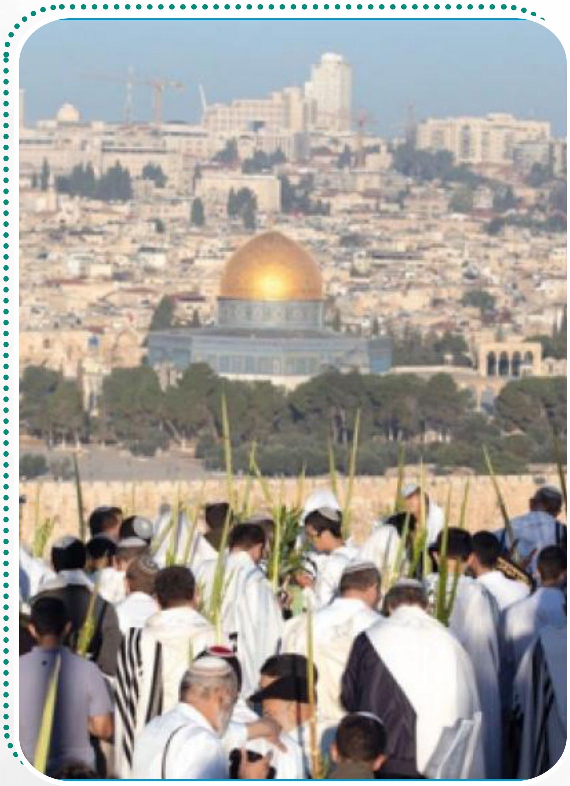
فعلوا كل هذا «فقال السّيِّد: لأنّ هذا الشّعْب قدِ اقْترب إِليّ بِفمِهِ وأكْرمنِي بِشفتيْهِ، وأمّا قلْبه فأبْعده عنِّي، وصارتْ مخافتهمْ مِنِّي وصِيّة النّاسِ معلّمة» (أشعياء ٢٩: ١٣).

كل هذه العهود وهذه الترانيم، وشعب بني إسرائيل لا يهمه أبدًا سوى اتباع هواه.

الاصطفاء يتحول إلى أمة جديدة وبنفس الشروط التي أعطيها بنو إسرائيل

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]. ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩]. ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] [فاطر: ٣٢]. ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨].

ومصداق ذلك فيما جاء في كتب القوم ما ورد في سفر التكوين ٤٩: ١٠ «لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلوه وله يكون خضوع شعوب».



أي يزول الملك من اليهود بأسرهم بعد فترة من الزمان وعلى وجه التحديد بعد تمام حكم موسى وعيسى -عليهما السلام- وإلى أن يتم ذلك فسيظل ملك اليهود في سلالة يهوذا أكبر أبناء سيدنا يعقوب، وسيكون آخر عهدهم بالملك والنبوة على يد (المشترع)، إشارة

إلى المسيح عيسى -عليه السلام- فإذا جاء نبي الإسلام (شِيلوه) الذي استعلن -بالفعل- من جبال فاران والذي اجتمعت إليه -حقاً- بعد انتظار شعوب العالم، والذي خضعت له -صدقاً- عن طريق الفتوحات سائر الأمم.. يزول ملك بني إسرائيل ويبطل العمل بالتوراة.

وابتناء على ما سبق فإرسال محمد بن عبد الله ﷺ يُعد من دلائل صدق عيسى وموسى -عليهما السلام- ولو لم يظهر لبطلت نبوتهما بل ولبطلت نبوات الأنبياء لتبشيرهم جميعاً بنبوته ﷺ، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

فظهور نبوته ﷺ تصديق لنبوآتهم وشهادة لها بالصدق، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى في قوله: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧]. فإن المرسلين بشروا به وأخبروا بمجيئه، فمجيؤه تصديق لهم إذ هو تأويل ما أخبروا به، كما أن تصديقه المرسلين شهادة منه بصدقهم وإيمان بهم، وعليه فصدقهم كان بمجيئه وبشهادته، ومثل هذا قول المسيح لبني إسرائيل: ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ﴾ [الصف: ٦]، فإن التوراة لما بشرت بعيسى عليه السلام وبنبوته، كان نفس ظهوره تصديقاً



للمرسلين من قبله، ثم لما بشر عيسى عليه السلام برسول يأتي من بعده اسمه (أحمد) كان ظهور هذا الأخير المبشر به تصديقاً لعيسى، كما كان ظهوره تصديقاً كذلك للتوراة، فعادة الله في رسله أن السابق يبشر باللاحق، واللاحق يصدق السابق، والله سبحانه لا يخلف وعده ولا يكذب خبره.

تحذير رسول الله من التشبه باليهود والسير على طريقهم ودربهم المشئوم

فقد قال ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قالوا: يا رسول الله.. اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»[1].

وسنن الله لا تحابي أحداً ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣].

وقال ﷺ: «فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُبسَط الدنيا عليكم كما بُسطَت على مَن كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»[2].

قُرئ قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] عند حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فقال رجل: إن هذا في بني إسرائيل.

قال حذيفة: «نعم الإخوة بنو إسرائيل، إن كان لكم الحلو، ولهم المر، كلا والذي نفسي بيده حتى تحذوا السنة بالسنة حذو القذة بالقذة»[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «ما أشبه الليلة بالبارحة، هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم»[4].

---

١ رواه البخاري ح٧٣٢٠، ومسلم ح٢٦٦٩.　٢ البخاري ح٤٠٤٣، ومسلم ح٢٩٦١.　٣ رواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي ٢/٣١٢.

٤ أخرجه ابن جرير في تفسيره: حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن عمر بن عطاء، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) الآية، قال ابن عباس: «ما أشبه الليلة بالبارحة (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم، لا أعلم إلا أنه قال: والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل جحر ضب لدخلتموه «. اهـ عن تفسير ابن جرير (١٠ / ١٢١- ١٢٢).

د. حسن سلمان
عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

شعيرة الحج..
المقاصد والعبر (٢/١)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الأمين وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

من المسلّمات الشرعية أن الإسلام يقوم ويتأسس بنيانه على الأركان الخمسة المعلومة لدى جميع المسلمين، ومنها ركن الحج الذي يُعد الركن الخامس في الإسلام، ومن الواجب شرعاً على المكلفين معرفة أحكام الشرع في كل شعيرة قبل القيام بها، وكافة أحكام الشرع لها مقاصد وحِكم وعِلل، عَلِمها مَن علمها وجهلها من جهلها. وكلما كان المكلف عالماً بمقاصد الشارع في الشعيرة المحددة كان أحرص على الإتيان بها على الوجه المقصود، موافقةً لمراد الشارع في التشريع، والحرص على تنفيذ أحكامها كما أمر بها الشارع؛ لأن مقاصد الشارع مبثوثة بين الأحكام.





وحرصاً منا على معرفة مقاصد الحج تكميلاً لمعرفة أحكام فقه الحج التي نجدها في كافة كتب الفقه.. نكتب هذه المقالة عسى الله أن ينفع بها.

أولاً: تعريف الحج ومشروعيته

- **الحج لغةً: مطلق القصد.**

وشرعاً: هو القصد إلى بيت الله الحرام بنية التعبد لله تعالى في الأشهر الحرم لأداء الركن الخامس في الإسلام. وهو فرض مكتوب وثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: **٩٧**]. وقول النبي: «بُني الإسلام على خمسة... وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً»[١].

وأجمعت الأمة على أن الحج ركن من أركان الإسلام ومن جحده فهو كافر بالإجماع.

الحج: المقاصد والعبر

الشعائر الدينية كافة تدور حول مقصد شرعي عام، وهو مقصد التعبد لله تعالى على سبيل الاختيار، وإخراج المكلَّف عن داعية هواه، كما عبّر عن ذلك العلّامة الشاطبي بقوله: «المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبد لله اضطراراً»[٢].

---

١ رواه البخاري ومسلم.

٢ تهذيب الموافقات، ص١٥٧.

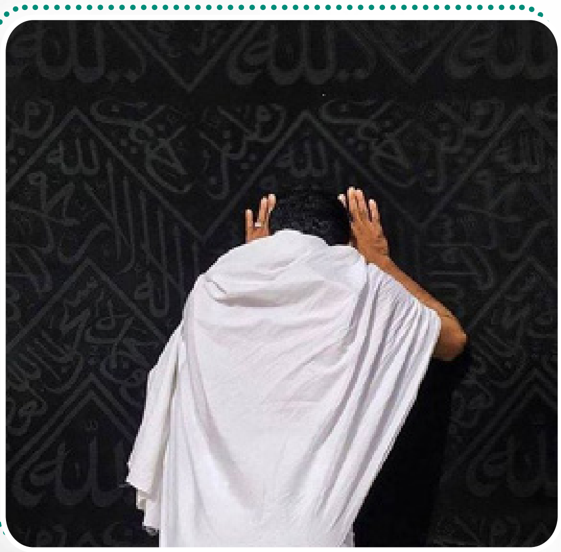
ولكل شعيرة من الشعائر مقاصد جزئية وفرعية تندرج تحت تلك الكلية، ونتناول في هذه المقالة بعض المقاصد التي يشتمل عليها الحج في تفاصيل أحكامه، وذلك على النحو التالي:

تحقيق التوحيد ونبذ الشرك

وهو أهم المقاصد العظيمة من شعيرة الحج في كل أحكامه، وهو الأساس الأول لبناء البيت الحرام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٧].

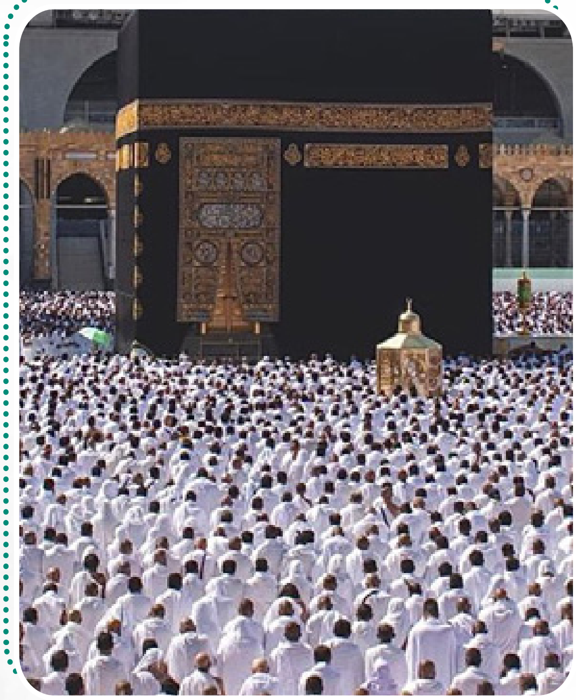
ومَن تأمل الأحكام وجد التوحيد متجسداً في كل المواقف فمثلاً:

- التلبية ودلالات التوحيد: «لبيك لا شريك لك».
- قراءة الإخلاص والكافرون في ركعتي الطواف.
- التهليل عند صعود الصفا والمروة في السعي.
- الأدعية في عرفات ومزدلفة وكافة المناسك.



ومن خلال عقيدة التوحيد تتشكل الفكرة المركزية الجامعة لهذه الحشود الكبيرة من المسلمين، لتقف في مشهد واحد وعلى صعيد واحد، وما أحوج الأمة إلى الفكرة المركزية التي تتمحور حولها حتى يعود لها مجدها وذكرها!

تحقيق التسليم والانقياد



إن من أهم وأعظم الدروس التي يستفيد وينتفع بها المكلف من مناسك الحج درس التسليم والانقياد لكثير من الأمور، التي ربما لا يعلم حكمتها أو المقصود منها، لكن يأخذها على سبيل تنفيذ الأمر الشرعي، حتى ولو خفيت الحكمة منها، قال تعالى:

﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

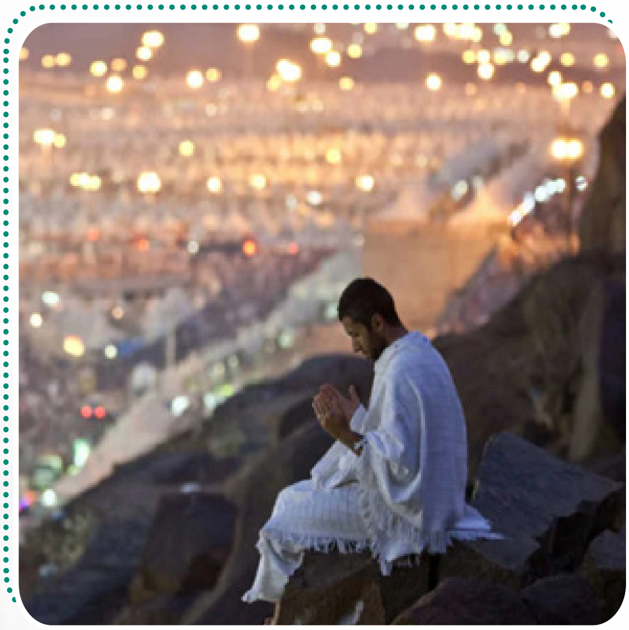
وهنا نقف على مقولة عمر بن الخطاب وهو يقبّل الحجر الأسود ويقول: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتك».

يقول ابن حجر رحمه الله في قول عمر: «وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين، وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه»[٣].

٣ فتح الباري (٣/٤٦٣).

ويقول الإمام إسماعيل الأصفهاني رحمه الله: «ومن مذهب أهل السنة: أن كل ما سمعه المرء من الآثار مما لم يبلغه عقله فعليه التسليم والتصديق والتفويض والرضا، لا يتصرف في شيء منها برأيه وهواه»[4].

ويقول ابن القيم في قاعدة التسليم: «إن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم، وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع...»[5].



والقاعدة في عموم العبادات التسليم والتوقف، دون الخوض في العِلل والحِكم، على خلاف المعاملات، بالرغم من أن كثيراً من العبادات معلومة الحِكم والعلل، وممن ذهب إلى ذلك ابن القيم. وتقوم العبادة على ركنين هما:

- غاية المحبة وكمالها.
- غاية الذل والخضوع والانقياد.

يقول تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]. وهي آية تتوسط أحكام الحج وتُعبر عن مقصوده الأكبر.

---

٤ الحجة في بيان المحجة (٢/٥٣٤).

٥ الصواعق (٤/ ١٥٦٠-١٥٦١).

تعظيم الشعائر والحرمات

ومن دروس الحج ومقاصده الهامة تعظيم الشعائر والحرمات تنفيذاً لأمر الله تعالى، ويبدأ ذلك بمجرد الدخول في الإحرام حيث يحرّم الحاج على نفسه كل ما كان حلالاً عليه قبل الإحرام من طيبٍ وحلقٍ ونساءٍ وصيدٍ، وغير ذلك من المحظورات.

كما أن الحاج يقبل على الحج وهو معظماً لنداء الرحمن بالتوجه إلى بيته الحرام، والتحرك في كافة المناسك ذاكراً لله شاكراً له، قال تعالى بعد أن ذكر بعض أعمال الحج ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]. وقال أيضاً: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]؛ فالحرمات عند الحاج معظّمة لشرف المكان والزمان، والشعائر أجرها مضاعف كذلك، ويقول ابن القيم: «وروح العبادة هو الإجلال والمحبة، فإذا تخلى أحدهما عن الآخر فسدت»[٦].

تحقيق محبة الله بمتابعة النبي ﷺ

إن محبة الله تعالى لا تحقق على وجهها المشروع إلا باتباع النبي ﷺ، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وتعلَم المسلمون كيفية الحج على التفصيل من خلال حجة النبي ﷺ التي قال فيها: «خذوا عني مناسككم»[٧]. فمن أخذ بما جاء عن النبي ﷺ في الحج فقد أخذ بحظ وافر وحقق المتابعة للنبي ﷺ، وبذلك يحقق محبة الله، وذلك لأن المحبة أمر قلبي والدلائل عليها الأعمال الظاهرة.

---

٦ المدراج (٤٩٥/١).

٧ صحيح الجامع.

قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه •• هذا لعمري في القياس شنيعُ
إن كان حبك صادقاً لأطعته •• إن المحب لمن يحب مطيعُ

الحج ذكرى بالمصير الأبدي



ومن العِبر المستفادة من سفر الحج والاستعداد له: سفر الآخرة وما يحتاجه من الزاد.

وهو ما يلمسه الحاج من الوهلة الأولى التي يفارق فيها أهله، ويودع أصحابه، ويجرد نفسه من هموم الدنيا، مقبلاً بكليته إلى الله قاصداً بيته الحرام، فيخلع عنه ثيابه العادية ويلبس ثياباً جديدة أشبه ما تكون بالكفن، ثم يدخل في التلبية كأنه خرج من القبر ملبياً نداء ربه في أرض المحشر، ويظهر الموقف العظيم يوم عرفة حيث يحشر الناس جميعاً في مكانٍ واحدٍ، وفي لباس واحد وفي زمان واحد، يدعون رباً واحداً. وهنا مظهر عظيم يباهي الله تعالى بعباده الملائكة.

وهنا تبرز قيمة ودلالة قوله ﷺ: «الحج عرفة»[٨]. لأن موقف عرفة والانتظار فيه يذكر بالموقف العظيم الذي تدنو فيه الشمس من الرؤوس وينتظر فيها الخلائق الانفضاض، ويبحثون فيه عن الشفعاء

٨ رواه أبوداود والنسائي.

فلا يجدون إلا محمداً ﷺ وكأن لحظة الإفاضة من عرفة هي لحظة الانفضاض من الموقف العظيم، فلله ما أعظم هذا الموقف عبرة وعظة! وأعظم زاد في هذه المسيرة هو زاد التقوى، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

تحقيق الأخوّة الإيمانية والوحدة الجامعة بين المؤمنين

إن شعيرة الحج من أعظم ما يحقق الأخوة الإيمانية، حيث تتلاشى كافة الفوارق العرقية والإقليمية واللغوية والطبقية والوظيفية، ويقف الناس جميعاً العرب والعجم والأغنياء والفقراء على صعيد واحد بأحكام واحدة تسري على الجميع، وهنا نستعيد ذكرى خطبة النبي ﷺ التي أعلن فيها المساواة الإنسانية وإنهاء الفوارق الجاهلية ليجعل من التقوى فقط معيار المفاضلة، ويجعل من إرداف أسامة بن زيد نموذجاً لهذه المساواة، فلما أهدى إليه أحد الزعماء بردته الخاصة أهداها النبي ﷺ على رؤوس الأشهاد لأسامة مما دل على المساواة الكاملة بين كافة البشرية.

وكان ذلك العام عاماً للحرية والتحرير للعبيد، حيث أعلن أكثر العرب إعلان التحرير لعبيدهم لما رأوا من مشاهد التحرير الكبرى في الحج، وما أعظمها من سجايا وقيم كرمت الإنسانية وأخرجتها من دوائر الطبقية الجاهلية وتفاوتها! وبهذا يكون الحج مؤتمراً إسلامياً عالمياً جامعاً، ويستفاد منه في وحدة الأمة ونهضتها.

(يستكمل في العدد القادم إن شاء الله)



د. حسين عبد العال

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

متى يتوقف القتال في غزة

نسمع منذ فترة طويلة عن قرب هدنة محتملة في غزة، قد تكون مقدمة لوقف قتال دائم تطالب به المقاومة الإسلامية في غزة، ومع اتهامات متبادلة من كل طرف للطرف الآخر بأنه يقف حجر عثرة أمام إتمام المفاوضات المؤدية لوقف القتال، ورغم حاجة الطرفين لوقف القتال إلا أنه كلما اقتربت المفاوضات من نهايتها تعود مرة أخرى للمربع الأول، وفي المرة الأخيرة فاجأتنا المقاومة الإسلامية في غزة بقبولها للمقترح الأخير لوقف القتال، وفي ذلك إحراج شديد للعصابة الصهيونية، وطار الكثيرون فرحًا بذلك، وألقيت الكرة في ملعب الصهاينة، وظن البعض أنهم سيوافقون على الفور لشدة حاجتهم لذلك، وكان آخرون على يقين بأن نتنياهو سوف يعرقل الصفقة ويعكر الموقف من جديد.

سياسة الصهاينة في مفاوضاتهم



منذ زمن بعيد والمفاوضات مع اليهود وخاصة الصهاينة منهم لا تنتهي، فهم يفاوضونك على كل شيء، وينقضون العهد معك في كل شيء، ولو عدنا للقرآن الكريم وهو يحدثنا عن مفاوضات اليهود الشهيرة، ومع من؟ مع رب العزة سبحانه وتعالى، ووسيطهم في المفاوضات من؟ نبي ورسول من أولي العزم من الرسل، موسى -عليه السلام- هم يعلمون صدقه معهم، ويعلمون مدى حبه للخير لهم، وهو من يلجؤون إليه في أزماتهم، وحتى في هذه الأزمة كان هو أول من هرعوا إليه لحل مشكلة قتيلهم، والذي كان سيفجر بينهم معركة لا يعرف مداها إلا الله تعالى، والعجيب في هذا على أي شيء يتفاوضون؟

إنه أمر مضحك حقًا! إنهم يفاوضون الله في بقرة أَمَرهم بذبحها، وهذا يدلك على مدى قبحهم ومدى ما جُبلوا عليه من الجدال والعنت والشدة والغباء، حتى قال الله تعالى عنهم في نهاية المفاوضات: ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

ولقد كانوا في كل مفاوضاتهم السابقة يراوغون حتى يوقعوا الضحية بين فكيهم، فإذا ما وافق من جهته، يتعنتون هم ويراوغون في موافقتهم وكأنهم لا يريدونها، ثم يعاودون الضغط عليه حتى يستسلم لإرادتهم، وبعد إبرام الصفقة يعودون للغدر به وعدم تنفيذ شيء من وعودهم له، ومن أشهر صفقاتهم: كامب ديفيد، وأسلو، ووادي عربة وغيرها، والحال ظاهر في عدم وفائهم بشيء منها بعدما كسبوا من جرائها كل شيء.

هل اختلف الحال اليوم عما مضى؟



طبيعة اليهود كما هي، فنفس المراوغة ونفس المكر والخديعة، لكن المفاوض الآخر اليوم مختلف الطباع، مختلف الإرادة والعزيمة، دارس وفاهم لطبع الصهاينة، والأكثر من ذلك أن يده هي الطولى، وموقفه هو الأقوى، وتفاوضه من علٍ وهو الأعلى رأسًا، ومعه أربح الأوراق، واليهود يعلمون هذا، ويرون أنهم لن يستطيعوا خديعته، فلقد خبرهم وعرف سياستهم من قبل عشرات المرات، ولذا هو اليوم غير قابل للخديعة منهم.

ولذلك فالصهاينة لا يقدمون على التوقيع له على شيء وهم يعلمون أنه ندٌ لهم سيحاسبهم على أقل غدر منهم، ومن هنا فهم لا يريدون التوقيع ولا التسليم له رغم حاجتهم الشديدة للهدنة، فقوة المقاومة اليوم تستعصي على السكوت لغدر اليهود إذا ما غدروا، وساعتها سيكون الحساب عسيرًا للصهاينة، لذا فهم يحسبون لها ألف حساب.

حاجة الصهاينة لوقف القتال



قد تكون اليوم حاجة الصهاينة لوقف القتال أشد من حاجة أهل غزة لذلك، رغم تمنع قادة اليمين المتطرف في إسرائيل للقبول بالشروط لوقف القتال، وذلك للآثار الكارثية التي حلت على الكيان الصهيوني من جراء الحرب، وزيادة وتفاقم هذه الآثار كلما طال أمد الحرب، فتشقق الجبهة الداخلية للصهاينة، واستمرار المظاهرات المنددة لاستمرار الحرب، والتي تطالب بوقف سريع للقتال وببدء المفاوضات لأجل استنقاذ الأسرى اليهوديين من أيدي المقاومة، ولو كان ذلك بإطلاق سراح كل الأسرى الفلسطينيين.

وليست المطالبات من أهالي الأسرى وفقط، بل هي من كثير من خبراء الحرب والساسة القدامى والمثقفين في إسرائيل، وذلك لما يعلمونه من الآثار الكارثية لاستمرار الحرب، بل ولخوفهم من ضياع مستقبل إسرائيل على يد المتطرفين من اليمين الصهيوني، وعلى رأسهم رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، لذلك باتت إسرائيل في أمس الحاجة لوقف القتال، لكن وقف القتال اعتراف من الصهاينة بهزيمتهم، ثم إن هناك أيد تلعب في التفكير اليهودي تمنعهم من القبول بوقف القتال، فهل يا ترى يكون ذلك في مصلحة الصهيونية؟

﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾

وقبل أن نذكر من له مصلحة من اليهود في استمرار الحرب، لابد أن لنا نظرة دينية في كل أحوالنا وأمورنا، فنحن نؤمن بقضاء الله وقدره ونؤمن بأن الله عز وجل يُجْرِي المقادير لنصرة دينه كيفما يشاء،

كما نعلم أن الغباء السياسي والعسكري جندي من جنود الله تعالى يبتلي الله به من يشاء، وكل ذلك لينفُذَ أمر الله عز وجل، وهنا نتذكر أسلاف اليهود من بني قريظة، رغم كون زعيمهم كعب بن أسد القرظي آنذاك من القلة العاقلة فيهم، فقد كان يرفض بشدة أن يفتح باب الحصن لحُيِّ بن أخطب لعلمه أنَّ حُيَيًّا جاء لأجل حثه على نقض العهد مع رسول الله ﷺ، وكان كعب يعلم بما صرح به لحيي أن نقض العهد معناه ذل الدهر لبني قريظة، لكنه استجاب لحيي ونقض العهد غباء منه، ثم لما اشتد الحصار على بني قريظة عرض على اليهود أن يستجيبوا ويؤمنوا بمحمد ﷺ -الذي يعلمون صدقه- ولكي ينجوا بحياتهم، لكن غباءهم أودى بهم جميعًا للقتل فخسروا بذلك الدنيا والآخرة.

ومن هنا فإن غباء نتنياهو ومَن معه يمنعهم من قبول وقف القتال رغم علمهم بأن هذا أصوب حل لهم الآن، وذلك لمصالح وقتية قصيرة يرونها، وهم يعلمون أن ذلك قد يكون سببًا لضياع كل حلمهم المزعوم.

ونحن نرى أن هذا استدراج من الله لهم، وتزيين لهم من الشيطان، كي يستمروا أكثر في حربهم، ربما لعلة يعلمها الله عز وجل، تتجلى للمسلمين بعد ذلك، بأن عدم قبول الصهاينة لوقف القتال كان لمصلحة المسلمين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ * وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢- ١٨٣]، وقال تعالى: ﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ * وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤-٤٥]، قال



الإمام البغوي: «قَالَ عَطَاءٌ: سَنَمْكُرُ بِهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ. وَقِيلَ: نَأْتِيهِم مِنْ مَأْمَنِهِمْ كَمَا قَالَ: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الْحَشْرُ: ٢]، قَالَ الكلبي: نزيّن لهم أعمالهم فنهلكهم بها»[١].

فمهما كان الأمر في عدم القبول بوقف الحرب، سواء ظن الصهاينة أنه خير لهم، أو أنهم ينتظرون إلى تحقيق نصر على المقاومة، أو دفعهم شيطان الجن والإنس لذلك، فكل هذا من استدراج الله تعالى ومن إملائه لهم، لعلةٍ يعلمها الله عز وجل، وإن تمنينا نحن أو المقاومة خلاف ذلك.

الصهاينة وإطالة أمد الحرب



كلنا يعلم أن طول أمد الحرب ليس في مصلحة بني صهيون أبدًا، وأن قادتهم دائمًا يعتمدون على الحروب الخاطفة، وهم أكثر الناس علمًا وفهمًا لهذه الحقيقة، فهم لا يستطيعون الصمود أمام حروب الاستنزاف الطويلة، فلا صبر ولا جلد عندهم، بل الخوف والرعب من الموت يجعلهم في جبن دائم، ومن هنا فقد خطط قادة المقاومة لحرب استنزاف طويلة الأمد، بل ونقلوا المعركة للداخل اليهودي المتصدع من أساسه، قال تعالى: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]، وها هي النتائج على أرض المعركة واضحة وضوح الشمس، فمعركة (جباليا) في الأيام الأخيرة تُظهر وبجلاء تقهقر الصهاينة وجبنهم أمام المقاتلين الشجعان من أبناء المقاومة الإسلامية.

١ معالم التنزيل، تفسير سورة الأعراف.

هل غزة لا تريد وقف الحرب؟



والسؤال المهم هل غزة في حاجة ماسة لوقف القتال؟ والإجابة: نعم، فلا مراء في ذلك لما أصابهم وأصاب شعبهم من بأساء وضراء، بل وزلزلة لهم جميعًا، لكن ولأنهم فهموا دروس الماضي، وعرفوا طبيعة العدو الغادر، ثم لكونهم متفوقين على أرض المعركة، لذلك هم لا يريدون وقف الحرب إلا باعتراف كامل بحقوقهم المسلوبة منهم، بل وبضمانات نزيهة قدر المستطاع، وعندهم من الصبر والجلد وحسن إدارة المعركة عسكريًا وسياسيًا ما يجعلهم يطلبون وقف القتال بعزة كاملة، لا باستسلام لإرادة العدو، ثم إن ما قدموه من تضحيات جسام لا يصح أن يضيع سدىً في المفاوضات السياسية، وتمكنهم من ضبط إيقاع الميدان العسكري يؤهلهم لضبط إيقاع الميدان السياسي أيضًا، ومن هنا فهم مصرون على وقف القتال لكن بما يحقق لهم الحصول على مكاسبهم التي حققوها بدمائهم ودماء شعبهم الأبي.

بمعنى أنه إن لم يكن لهم صلح بعزة وكرامة، يحقق آمالهم وآمال شعبهم، فليس أمامهم إلا استمرار القتال، والحمد لله هم يوقنون بذلك ويعملون له.

لماذا تتعثر المفاوضات؟

هناك العديد من الأسباب لذلك، فمجلس الأمن لا يؤدي دورًا، والأمم المتحدة منحازة تمامًا لبني صهيون، والدعم الغربي بكل وقاحة لإسرائيل، يجعلهم يعربدون بلا حسيب أو رقيب، ولذا فهم يعتمدون

على مجازرهم المروعة واللا أخلاقية لكسر إرادة المقاومة الباسلة، فهم لا يريدون الموافقة على الحقوق المشروعة لأهل غزة لأن ذلك يُعد هزيمة سياسية نكراء في حقهم بعد الهزيمة العسكرية، ثم إن قيادتهم تعلم يقيناً أن وقف الحرب معناه محاسبتهم على فشلهم وسوء إدارتهم، لذلك فالحرب مع مرارتها عليهم إلا أنها تطيل أمد وجودهم في قيادة البلاد، فكلما تقدمت المفاوضات عادوا هم بما يردها لمربعها الأول.

وعلى الجانب الآخر فإن المقاومة الباسلة لا ترضى إلا بما يتوافق مع نصرها العسكري، ولو وجدت المقاومة دعماً من المسلمين والعرب لكانت أرغمت اليهود على شروطها، ولكن التخاذل العربي والإسلامي يعطي العدو الفرصة في الضغط الشديد على المقاومة، وذلك مما يجعل المفاوضات في تعثر دائم.

قمة البحرين ووقف القتال



عقدت منذ أيام القمة العربية الثالثة والثلاثون في البحرين، ولم يخب ظننا فيها فلقد كانت كسابقاتها من القمم السابقة لا لون ولا طعم ولا رائحة، وجاءت هذه القمة بعد الصفعة القوية التي لطمها نتنياهو على وجه مصر، ففي الوقت الذي تقدمت فيه مصر بمقترحها لوقف الحرب والذي وافقت عليه المقاومة الإسلامية في غزة، قامت إسرائيل برفضه عملياً بأن قامت بصفعة أخرى لمصر بأنها سيطرت على معبر رفح ورفعت علم الصهاينة عليه في خطوة متطورة، وفي تعد صارخ على اتفاقاتها مع مصر، وما كان من مصر إلا أن أرغدت وأزبدت ثم خارت.

وظن البعض أن القمة العربية سوف تناقش هذه القضية بصورة جادة، أو أن تتخذ موقفًا حازمًا يدفع إسرائيل لقبول المقترح المصري لوقف القتال، لكنها ما زادت عن الشجب والاستنكار ودعوة مجلس الأمن ليقوم بدوره.

وللأسف لم تكن سوى مكلمة معتادة أطلق فيها العنان للعميل الصهيوني عباس ليقرأ البيان الذي أعد في تل أبيب والذي لا هم له سوى تحميل المقاومة الإسلامية مسؤولية الدمار الذي قامت به الصهيونية، ولم يستطع توجيه اللوم على الكيان في تعنتهم في قبول شروط وقف القتال، وبالطبع فقد كان البيان مُرْضِيًا لكل القادة الأشاوس فاهتزت له الرؤوس، وتمتمت له الشفاه، لكونه جاء على هوى المطبعين والمتخاذلين، ويا له من عجب أن ترى من بينهم جزار الشام الذي لم يفرق عن نتنياهو سوى في الاسم أو خانة الديانة الكاذبة، فمثلهم يجلسون مع من قتل شعبه بالبراميل المتفجرة، فهل تراهم سيدينون نتنياهو على أفعاله؟!

قمة ليتها ما عقدت، وليت ظننا قد خاب فيها، ولله الأمر من قبل ومن بعد!

دعوات الصالحين في الأيام المباركة

ونحن في أيام مباركة جليلة، باركها الله عز وجل من جهتين:



- **أولاهما:** أنها من الأشهر الحرم، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، ومن هذه الأربعة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم.

- **وثانيهما:** أنها أشهر الحج، قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وأشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة- فهذه الأيام أمرنا الله فيها بالتزود بالتقوى، ونهانا أن نظلم فيهن أنفسنا، وإن خذلان المقاومة من أشد أنواع ظلم النفس، ونصرة المقاومة هي خير أنواع التزود بالتقوى.

فواجب علينا في هذه الأيام تذكر المجاهدين ونصرتهم بالدعاء وغيره من أساليب النصرة، ولذا قال العلماء إن إنفاق المال على المقاومة أولى من الحجة الثانية بعد الفريضة، ومن العمرة الثانية بعد الواجبة، بل إن الرباط مع المقاومة لمن يستطيعه أفضل من المجاورة بالبيت الحرام كما ذكر ذلك ابن تيمية -رحمه الله تعالى- مستدلًا بقول الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠-٢١]، ومن هنا وجب علينا المرابطة مع المرابطين بالنفقة والدعاء وغيرها من الأعمال، ونخصهم بأن يبرم الله لهم أمر رشد يعزهم به سبحانه وتعالى، ويعز بهم الأمة جمعاء.

اللهم آمين يا رب العالمين.



الشيخ شكري مجولي
عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

نصرة غزة أولَى من الحج

الجهاد في سبيل الله يكون بالمال، ويكون بالنفس، والجهاد بالمال أنفع وأكثر، والجهاد بالنفس أعلى وأشرف، ولهذا قدَّم الله الجهاد بالمال في آياتٍ كثيرة، وقدم النَّفس على المال في آيةٍ واحدةٍ؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

فالجهاد بالنفس أغلى ما عند الإنسان، ثم الجهاد بالمال، لكن قدَّم الله المال في مواضع كثيرة لأنه أعمّ نفعًا، فبالمال يُشترى السلاح، وبالمال يُشترى الطعام، وبالمال يجهز المجاهدون، وبالمال تُحصّن الثُّغور، وبالمال يُستأجر مَن ينفع المسلمين في حمل حاجاتهم.

وأمام ما يعيشه إخواننا في غزة من إبادة جماعية ودمار شامل على يد آلة الحرب العالمية، أردنا أن نبين في هذا المقال ما حقه التقديم وهو الإنفاق في سبيل الله واستنقاذ هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان في غزة العزة.. هؤلاء الذين ترتسم صورهم في مشهد مثير لحمية المسلم، وكرامة المؤمن، ولعاطفة الرحمة الإنسانية على الإطلاق، وما حقه التأخير وهو حج الفريضة -لا حج النافلة- وفق نصوص شرعية صحيحة، من أجل ترتيب الأولويات والتبصير بها في ضوء ضرورات الأمة ومصالحها.

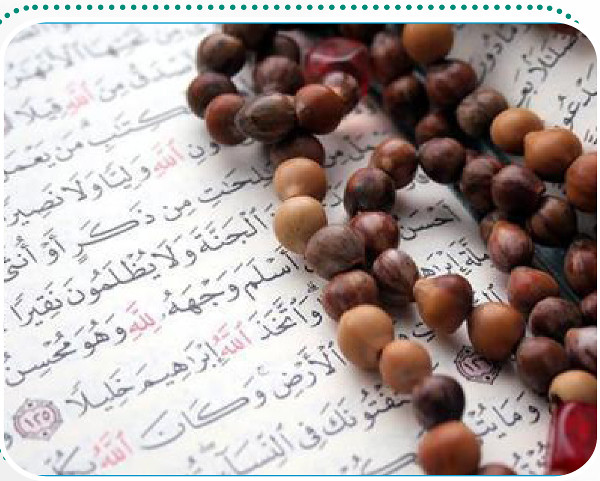
مراتب الأعمال والواجبات

الواجبات ليست على درجة واحدة في التفاضل والأهمية والأولوية، ولقد بين القرآن الكريم تفاوت مراتب الأعمال، قال تعالى:﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَـٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩].

وأكّدت السُّنة الشريفة ذلك، قال ﷺ: «الإيمانُ بضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بضْعٌ وسِتُّونَ شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ»[١].

فدلّ هذا الحديث على تفاوت شعب الإيمان.

ولما كان هذا التفاوت في الواجبات وفي مراتب الأعمال أو في تزاحمها يقدم الأعلى منه على ما دونه، قال ابن القيم: «وإن تزاحمت قدم أهمها وأجلها وإن فاتت أدناها»[٢].



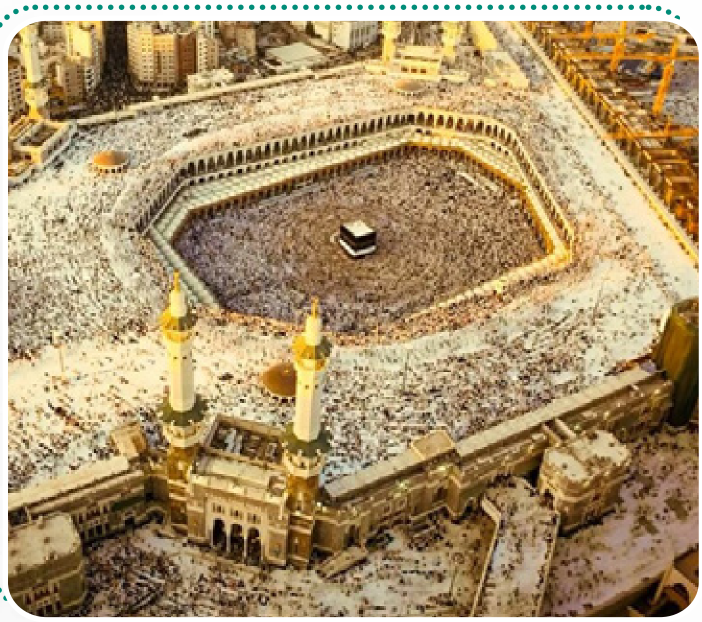
١ صحيح البخاري٩، وصحيح مسلم٣٥.

٢ مفتاح دار السعادة، ص٣٥٠.

أوجب الله سبحانه الحج للمستطيع مطلقاً ولم يقيّده بوقت معين، فوقته هو العمر مطلقاً، فحمل الحج على الفور تقييد للمطلق ولا يجوز تقييد المطلق بلا دليل، كما أن في أداء الحج على التراخي توسعة على الناس[3].

وهذه السورة نزلت عام أحد بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة، ولم يحجّ رسول الله ﷺ إلى سنة عشر[4]. فدلّ على أن الحج واجب على التراخي لا على الفور، مع أنه فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، واعتمر ﷺ عمرة الجعرانة في ذي القعدة من عام ثمان ثم رجع إلى المدينة ولم يحج، وكلف أبا بكر أن يحج في السنة التاسعة مع قدرته على الأداء في هذين العامين الثامن والتاسع[5].

الأدلة على وجوب الحج على التراخي



من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

قال الشيخ الطاهر ابن عاشور:

«ويَتَّجِه أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الآيَةُ هي الَّتِي فُرِضَ بِها الحَجُّ عَلى المُسْلِمِينَ، وقَدِ اسْتَدَلَّ بِها عُلَماؤُنا عَلى فَرْضِيَّةِ الحَجِّ، فَما كانَ يَقَعُ مِن حَجِّ النَّبِيءِ ﷺ والمُسْلِمِينَ، قَبْلَ نُزُولِها، فَإنَّما كانَ تَقَرُّبًا إلى اللَّهِ، واسْتِصْحابًا لِلْحَنِيفِيَّةِ. وقَدْ ثَبَتَ أنَّ النَّبِيءَ ﷺ حَجَّ مَرَّتَيْنِ بِمَكَّةَ قَبْلَ الهِجْرَةِ ووَقَفَ مَعَ النّاسِ، فَأمّا إيجابُ الحَجِّ في

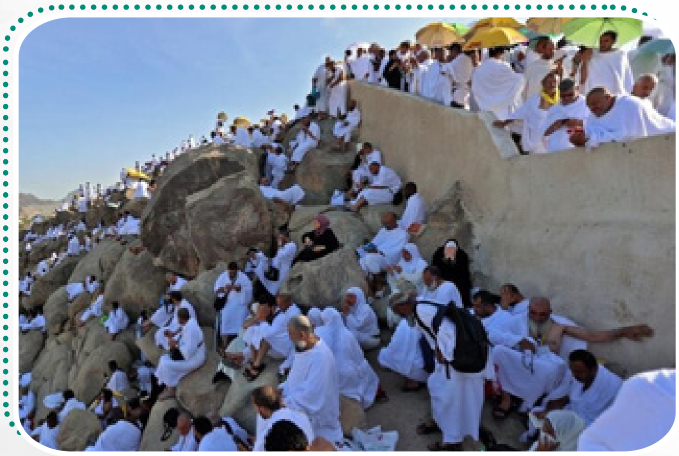
---

٣ المبسوط، السرخسي ٤/٢.
٤ تفسير القرطبي ٤/١٤٤.
٥ فتح الباري، دار المعرفة، ٨/٣٢٢.

الشَّريعَةِ الإسْلاميَّةِ فَلا دَليلَ عَلى وُقُوعِهِ إلّا هَذِهِ الآيَةَ وقَدْ تَمالَأ عُلَماءُ الإسْلامِ عَلى الاسْتِدْلالِ بِها عَلى وُجُوبِ الحَجِّ، فَلا يُعَدُّ ما وقَعَ مِنَ الحَجِّ قَبْلَ نُزُولِها وبَعْدَ البَعْثَةِ إلّا تَحَنُّثًا وتَقَرُّبًا، وقَدْ صَحَّ أنَّها نَزَلَتْ سَنَةَ ثَلاثٍ مِنَ الهِجْرَةِ، عَقِبَ غَزْوَةِ أُحُدٍ، فَيَكُونُ الحَجُّ فُرِضَ يَوْمَئِذٍ.

وذَكَرَ القُرْطُبِيُّ الاخْتِلافَ في وقْتِ فَرْضِيَّةِ الحَجِّ عَلى ثَلاثَةِ أقْوالٍ: فَقِيلَ: سَنَةَ خَمْسٍ، وقِيلَ: سَنَةَ سَبْعٍ، وقِيلَ: سَنَةَ تِسْعٍ، ولَمْ يَعْزُ الأقْوالَ إلى أصْحابِها، سِوى أنَّهُ ذَكَرَ عَنِ ابْنِ هِشامٍ، عَنْ أبِي عُبَيْدٍ الواقِدِيِّ أنَّهُ فُرِضَ عامَ الخَنْدَقِ، بَعْدَ انْصِرافِ الأحْزابِ، وكانَ انْصِرافُهم آخِرَ سَنَةِ خَمْسٍ. قالَ ابْنُ إسْحاقَ: ووَلِيَ تِلْكَ الحَجَّةَ المُشْرِكُونَ. وفي مُقَدِّماتِ ابْنِ رُشْدٍ ما يَقْتَضِي أنَّ الشّافِعِيَّ يَقُولُ: إنَّ الحَجَّ وجَبَ سَنَةَ تِسْعٍ، وأظْهَرُ مِن هَذِهِ الأقْوالِ قَوْلٌ رابِعٌ تَمالَأ عَلَيْهِ الفُقَهاءُ وهو أنَّ دَلِيلَ وُجُوبِ الحَجِّ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وللَّهِ عَلى النّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبِيلًا﴾. وقَدِ اسْتَدَلَّ الشّافِعِيُّ بِها عَلى أنَّ وُجُوبَهُ عَلى التَّراخِي، فَيَكُونُ وُجُوبُهُ عَلى المُسْلِمِينَ قَدْ تَقَرَّرَ سَنَةَ ثَلاثٍ، وأصْبَحَ المُسْلِمُونَ مُنْذُ يَوْمَئِذٍ مُحْصَرِينَ عَنْ أداءِ هَذِهِ الفَرِيضَةِ إلى أنْ فَتَحَ اللَّهُ مَكَّةَ ووَقَعَتْ حَجَّةُ سَنَةِ تِسْعٍ»[٦].

حكم التراخي في أداء الحج بعد وجوبه



قال الشيخ ابن عاشور: «اخْتَلَفَ عُلَماءُ الإسْلامِ في أنَّ الحَجَّ واجِبٌ عَلى الفَوْرِ أوْ عَلى التراخي. فَذَهَبَ إلى أنَّهُ عَلى الفَوْرِ البَغْدادِيُّونَ مِنَ المالِكِيَّةِ: ابْنُ القَصّارِ، وإسْماعِيلُ بْنُ حَمّادٍ، وغَيْرُهُما، وتَأوَّلُوهُ مِن

٦ التحرير والتنوير ٢/٢٣١.

قَوْلِ مالِكٍ، وهو الصَّحِيحُ مِن مَذْهَبِ أبِي حَنِيفَةَ، وهو قَوْلُ أحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وداوُدَ الظّاهِرِيِّ. وذَهَبَ جُمْهُورُ العُلَماءِ إلى أنَّهُ عَلى التَّراخِي وهو الصَّحِيحُ مِن مَذْهَبِ مالِكٍ ورِوايَةُ ابْنِ نافِعٍ وأشْهَبَ عَنْهُ وهو قَوْلُ الشّافِعِيِّ وأبِي يُوسُفَ. واحْتَجَّ الشّافِعِيُّ بِأنَّ الحَجَّ فُرِضَ قَبْلَ حَجِّ النَّبِيءِ ﷺ بِسِنِينَ، فَلَوْ كانَ عَلى الفَوْرِ لَما أخَّرَهُ، ولَوْ أخَّرَهُ لِعُذْرٍ لَبَيَّنَهُ أيْ لِأنَّهُ قُدْوَةٌ لِلنّاسِ. وقالَ جَماعَةٌ: إذا بَلَغَ المَرْءُ السِّتِّينَ وجَبَ عَلَيْهِ الفَوْرُ بِالحَجِّ إنْ كانَ مُسْتَطِيعًا خَشْيَةَ المَوْتِ، وحَكاهُ ابْنُ خُوَيْزِ مَنداد عَنِ ابْنِ القاسِمِ»[٧].

من السنة النبوية الشريفة



عن ابن عباس قال: جاء رجل من بني سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ مسترضعاً فيهم، فقال: يا بني عبد المطلب. قال: «قد أجبتك». قال: أنا وافد قومي ورسولهم، وأنا سائلك ومشتدة مسألتي إياك، ومناشدك مشتد مناشدتي إياك فلا تجدن علي؟ قال: «نعم». قال: أخبرني من خلق السماوات والأرض والجنة والنار؟ قال: «الله». قال: نشدتك به أهو أرسلك بما أتتنا به كتبك، وأتتنا رسلك أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن ندع اللات والعزى؟ قال: «نعم». قال: نشدتك به أهو أمرك؟ قال: «نعم». قال: وأتتنا كتبك وأتتنا رسلك أن نصلي في كل يوم وليلة خمس صلوات، نشدتك بالله أهو أمرك؟ قال: «نعم». قال : أتانا كتابك وأتتنا رسلك أن نصوم في كل سنة شهراً نشدتك، أهو أمرك؟ قال:

---

٧ التحرير والتنوير ٢ /٢٣١.

«نعم». قال: أتتنا كتبك وأتتنا رسلك أن نحج البيت في ذي الحجة، نشدتك بالله أهو أمرك؟ قال: «نعم». قال: هؤلاء خمس فلست أزيد عليهن. فلما قفا قال رسول الله ﷺ: «أما إنه إن فعل الذي قال دخل الجنة»[٨].

وجه الدلالة أن الحج فرض في السنة الخامسة للهجرة، وهي السنة التي قدم فيها ضمام بن ثعلبة على النبي ﷺ لكنه ﷺ أخره إلى السنة العاشرة؛ «فدل على أن وجوب الحج على التراخي لا على الفور»[٩]، فلو كان واجباً على الفور لحج رسول الله ﷺ في العام الخامس من الهجرة.

قال الحافظ ابن حجر: «وقد وقع في قصة ضمام ذكر الأمر بالحج، وكان قدومه على ما ذكر الواقدي سنة خمس، وهذا يدل -إن ثبت- على تقدمه على سنة خمس أو وقوعه فيها»[١٠].



قال الإمام الشافعي: «فريضة الحج نزلت بعد الهجرة، وفتح رسول الله ﷺ مكة في رمضان سنة ثمان، وانصرف عنها في شوال من سنته، واستخلف عتاب بن أسيد فأقام الناس الحج سنة ثمان بأمر رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ مقيماً بالمدينة هو وأزواجه وعامة أصحابه، ثم غزا غزوة تبوك في سنة تسع وانصرف عنها قبل الحج؛ فبعث أبا بكر رضي الله تعالى عنه فأقام الناس الحج سنة تسع ورسول الله ﷺ هو وأزواجه وعامة أصحابه قادرين على الحج غير مشتغلين بقتال ولا غيره، ثم حج النبي ﷺ بأزواجه وأصحابه كلهم سنة عشر فدل على جواز تأخيره»[١١].

---

٨ مجمع الزاوئد ومنبع الفوائد ص٢٥٤.

٩ نصب الراية ٣/٥.

١٠ فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣/٤٤١.

١١ المجموع جلد: ٧/١٠٣.

من القواعد الفقهية

١ قاعدة يُقدَّم الواجب الذي يُخشى فواته على الواجب الذي لا يخشى فواته

قال الإمام القرافي: «تقديم ما يخشى فواته على ما لا يخشى فواته، وإن كان أعلى رتبة منه، يقدم صون النفوس والأعضاء والمنافع على العبادات؛ فيُقدم إنقاذ الغريق والحريق ونحوهما على الصلاة والحج، من باب تقديم حق العبد على حق الله تعالى»[١٢].

٢ قاعدة الواجب على الفور يقدم على الواجب على التراخي



«لأن الأمر بالتعجيل يقتضي الأرجحية على ما جعل له تأخيره، مثلاً حق الوالدين واجب على الفور إجماعاً فيُقدَّم على الحج إذا قلنا إنه على التراخي، وحق السيد واجب فوري فيُقدَّم على الحج إذا قلنا بذلك، وحق الزوج فوري فيُقدَّم على الحج إذا قلنا بذلك، والدَّين الحالّ من حيث إنه فوري يمنع الخروج إلى الحج إذا قلنا بذلك ولا يمنع ذلك الدَّين المؤجل»[١٣].

---

١٢ أنوار البروق في أنواء الفروق ٢/ ٢٠٤.

١٣ حاشية ابن حسين المكي المالكي ص ٢٠١.

٣ يُقدَّم الواجب المضيق على الواجب الموسع



إذا تزاحمت الواجبات أحدهما مضيق والآخر موسَّع، يقدم الواجب المضيق على الواجب الموسع، قال الإمام الغزالي: «وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور»[١٤]، فانظر كيف عدّ عدم مراعاة رتب الأحكام ومنازل الأعمال داخلاً تحت باب الشر. ويضيف قائلاً: «بل قد يتعين في الإنسان فرضان: أحدهما يُفوت والآخر لا يفوت، أو فضلان أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته، فإن لم يحفظ الترتيب كان مغروراً»[١٥].

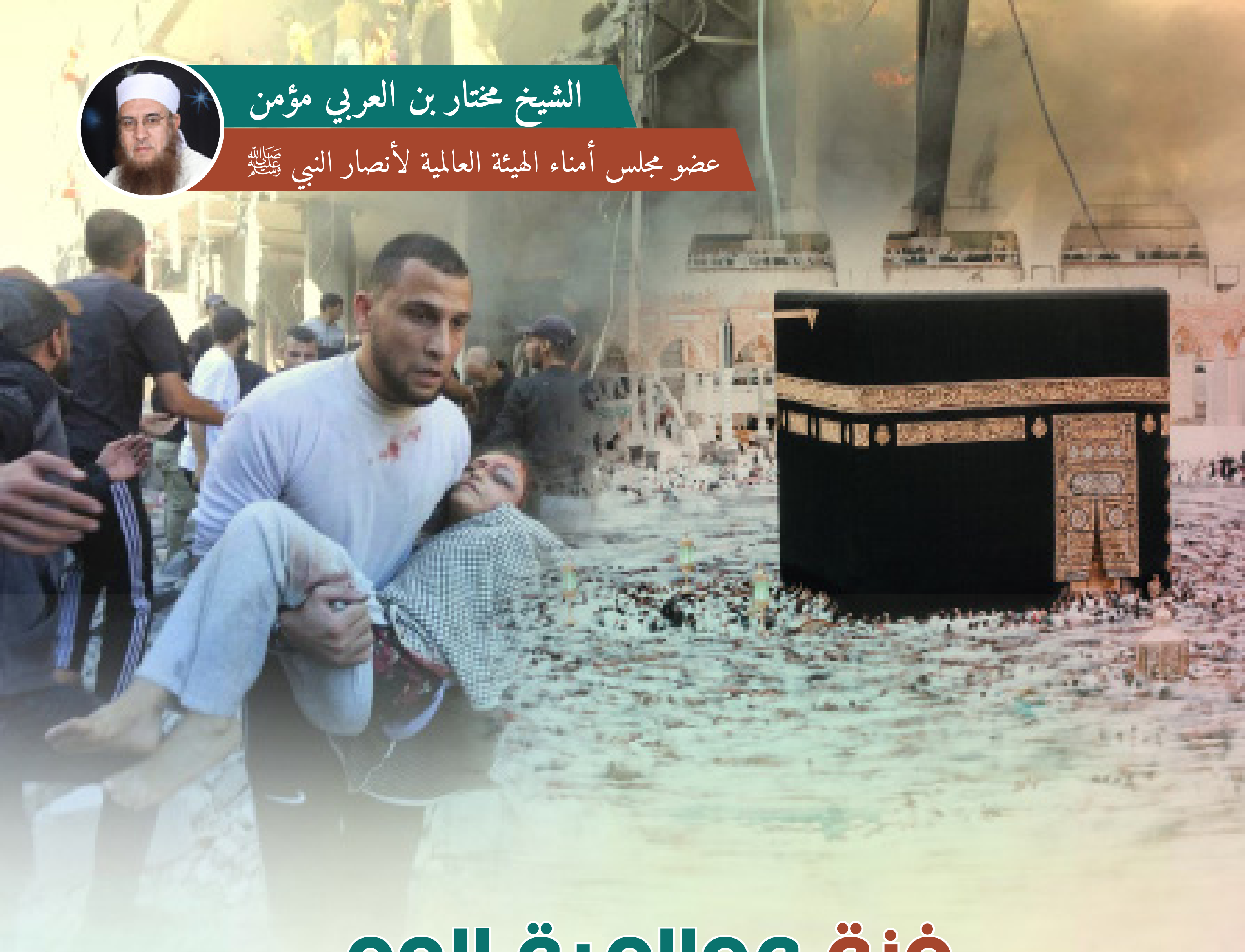
وقد رجح الإمام ابن القيم رحمه الله أفضلية العبادة بالظرف الذي تقع فيه ويحتاج إليها، «فأفضل العبادات في وقت الجهاد: الجهاد، وإن آل إلى تركه الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار.. والأفضل في وقت حضور الضيف القيام بحقه والاشتغال به عن الورد المستحب، والأفضل في أوقات السحر الاشتغال بالصلاة والقرآن والدعاء والذكر والاستغفار، والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة الاشتغال بمساعدته؛ فالأفضل في كل وقت وحال إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال والاشتغال بواجب الوقت»[١٦].

---

١٤ إحياء علوم الدين ٣/٤٠٣.

١٥ المصدر السابق.

١٦ مدارج السالكين ١/٨٨-٩.



الشيخ مختار بن العربي مؤمن

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

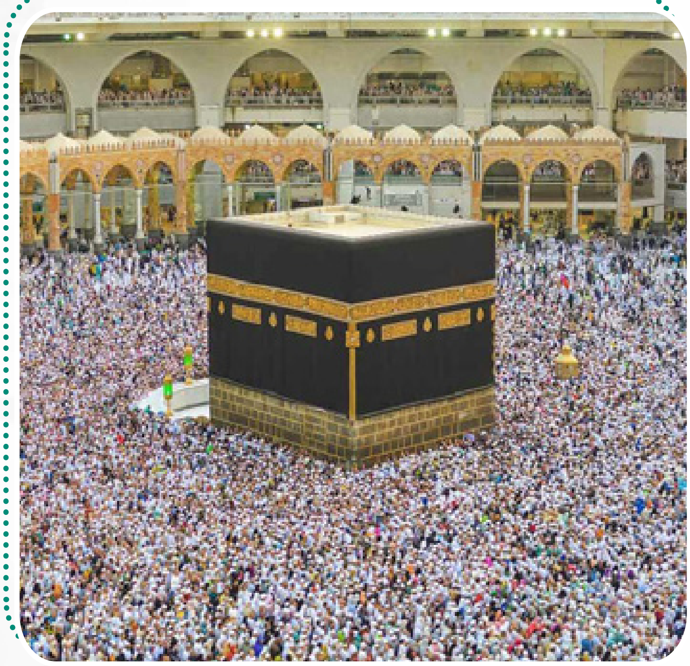
غزة وعالمية الحج

لقد فرض الله شعائر الدين لتكون مرتكزاً أساسياً تطوف حولها أرواح المسلمين، فتجعل منها نفساً واحدة تتألم وتفرح وتتأمل، وذلك لأنّ الأمة الواحدة جسد واحد يَطْرَب بفرح بعض أجزائه ويترّح لمصاب منه، ومن كان خارجاً عن دائرة الألم والأمل فهو جرثومة خطيرة تتربص دائماً بجسد الأمة الذي أنهكته الجراح، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال الحبيب ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[1].

---

١ رواه مسلم (٦٦- ٢٥٨٦).

إن اجتماع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها في بقعة واحدة كل منهم يحمل همًّا متّقداً بين جوانحه يتطلّع من خلاله ولو على الأقل أسبوعاً واحداً في السنة ليجد لعلاج مصائب أمته فيه بلسماً شافياً، ويؤدي فيه فريضة الله.. لحري أن يجعل من المسلمين قوة يُحسب لها ألف حساب، أما حينما تُفَرَّغُ الأركان الدينية والشعائر الإسلامية من مضمونها الهادف فإنها تصبح أوعية فارغة، وظاهرة صوتية لا تخيف عدواً ولا تُفرح صديقاً، وقد عرف أعداؤنا عظمة الحج والجمعة والقرآن، فاجتهدوا في صرف المسلمين عن مضامينها، يقول رئيس بريطانيا الهالك: «إذا أردتم أن تقضوا على المسلمين فلابد من هدم الكعبة ومنع الجمعة وتحريف القرآن».



قد عرف أعداء الأمة أن القرآن هو روح الأمة الذي لا تعيش إلا به، فإذا أبعدوها عنه عاشت بلا روح، وأن اجتماعهم يوماً في الأسبوع يشكل تذكيراً لهم لما ينبغي فعله في أسبوعهم القادم وتبين لهم فيها أحكام الدين، وأن مشهدهم العظيم مرة في السنة حول بيت الله الحرام يجعل منهم أمة تعيد مجدها وحضارتها، وتتفقد كسورها لتجبرها، وعوارها لتسده، وفشلها لتتخطاه لأمة عظيمة، وقد رأى أعداؤها تحطيم معانيها السامية من تلك الشعائر الربانية، وزرع الفتنة بينها، وتولية الرعاء الذي لا يحسن أحدهم التسبيح والتمجيد لله تعالى بل لآلهة بشرية تصنع منه خطيباً يلوك حروفاً بعيدة عن المغزى الأسمى، والهدف الأعلى.

إن مصابنا جلل، ومرضنا خطير، وحالنا سيء ما دمنا قد مددنا أعناقنا لأعداء الداخل قبل الخارج، ولن يكون لنا في العالمين نصر ومجد ما لم نتوحد على توحيد الله تعالى وحده دون آلهة القبور والقصور، وأن نستعيد مجد الفاتحين الذين صرخوا بسيوفهم قبل حلوقهم: «إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

دعاء الحجيج



لقد بقيت الأمة ردحاً من الزمن وهي تدعو في صعيد عرفات ليحرر الله المسجد الأقصى من براثين بني صهيون، ولطالما قنت أئمتها في صلوات التراويح والقيام يذرفون الدموع، ويهيجون النفوس، ولكنها قصرت فيما يسند الدعاء ويحقق الرجاء، فإن مادة «دعا» كما قال علامة الجزائر محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى (رئيس جمعية العلماء المسلمين آنذاك) وقد رأى حال فلسطين في يد يهود والجزائر في يد الصليبيين، فقال: «لا تظنّوا أنَّ الدّعاء وحده يردّ الاعتداء، إنّ مادة «دعا- يدعو» لا تنسخ مادة «عدا- يعدو» وإنّما ينسخها «أعدّ- يعدّ، واستعدّ- يستعدّ».

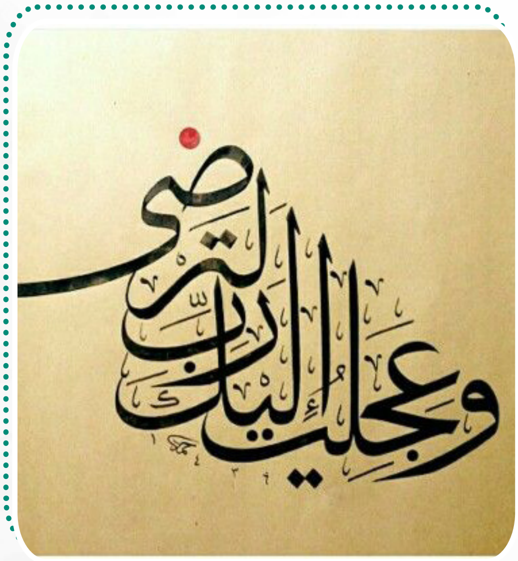
صدق والله، فلو أنّ الحجيج بصقوا على اليهود لأغرقوهم في بحر من المخاط، ولكنّ التّواكل قد عمّق فينا انتظار النصر دون بذل جهدٍ لإعداد العدة، واستفراغ الوسع في مقارعة الأعداء، إننا لا نهوّن من شأن الدعاء فهو سلاح لمن كملت فيه شروط الاستجابة وانتفت موانعها، ولكن أمة لا

زالت تقدس الظالم، ولا يقام فيها الحق، بعيدة عن النصر، وإن أمة شرعت فيها أبواب الربا والخمر والزنا وتقديس الذات الحاكمة قبل تقديس الشرع لَحَرية أن يدوس أنفها الأقزام والحقراء.

إن فتية من أهل فلسطين عرفوا الطريق فأعدّوا ما استطاعوا رغم حصار جائر خبيث، كما حوصر الحبيب ﷺ وأصحابه في شِعب أبي طالب، لن يخيب الله مسعاهم ولن يَتِرهم أعمالهم، ولقد حققوا ما لم تحققه الجيوش العربية والإسلامية طيلة سبعين عاماً، وإن فتية من أهل القدس نبذوا وعود الخائنين، ولفظوا مواثيق الخائبين، وعرفوا صديقهم من عدوهم، واستلموا من السنن الكونية ما فيها من إيجاب، وطرحوا السلبية ليكوننّ لهم شأن عظيم في الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى.

وأذّن في الناس

جاء الأمر من الله تعالى لخليله إبراهيم بعد أن بنى البيت العتيق ليؤذن في الناس أن الله بنى بيتاً فحجوه، فنادت الأرواح في جنبات الكون: «لبيك اللهم لبيك»، وما أحوجنا إلى أذان جديد يُسمع الكون أن فرض الجهاد لنَبْذِ الاستعبادِ، وتطهير البلاد، فيقول المسلم: «يا خيل الله اركبي»، فتتعالى الصّرخات في الأرجاء «لبيك اللّهم لبيك»، مردّدةً: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤].



إنني حينما أتأمل حال أمتي وحديثاً قرأته مرات ولم أفهمه حتى رأيت ما حولي من انتكاس وتراجع وخذلان، وتثاقل من غير بيان، علمت أننا لا زلنا نركض إلى الوراء، وأن محطة الانطلاق لا زالت بعيدة، وإن أحسسنا ببشائر أعلامها في تحرير أفغانستان وملاحم العزة في غزة الأبية.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة»، ثم قال: «عدو يجمعون لأهل الشام ويجمع لهم أهل الإسلام» يعني الروم «فيشرط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون، حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يتشرط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون، حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يتشرط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب وتفنى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع نَهَد إليهم أهل الإسلام، فيجعل الله الدبرة عليهم، فيقتتلون مقتلة لم ير مثلها...»[٢].

وهذا الحديث هو في ذكر الملحمة التي تكون بين المسلمين والروم في آخر الزمان، وهي من أشراط الساعة، ولكن الذي استوقفني فيه أن أهل الإسلام رغم تلك الجولات مع ذلك العدو المتفق على عداوته، لم يفزع أهل الإسلام لمقاتلته بل سلّموا إخوانهم حتى جاءت الجولة الرابعة.

الحج والجهاد



إن مناسك الحج وأداءها على الوجه المرضي جهاد عظيم، فهو جهاد بالمال، والبدن، والنزوح عن الديار وترك الأهل والمال، تماماً كما يفعل المجاهد حينما يترك متاع الدنيا كلها ليمتطي صهوة البارود، وينتقل من أخدود إلى أخدود، ولقد بيّن النبي ﷺ البدل للضعيفات عن الجهاد

---

٢ رواه مسلم.

في مناسك الحج والعمرة لما فيهما من تضحيات ومشقة، ففي البخاري من حديث أمنا المباركة الصديقة عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها قَالَتْ: «اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: جِهَادُكُنَّ الْحَجُّ».

فما جهاد الرجال غير ساحات الوغى تحت هدير الطائرات وأزيز الراجمات، إن فتية يسطّرون ملاحم العزّ اليوم في قلب أرض الشام لهم المجاهدون حقّا، والحاجُّون صدقاً، لن تنجو أرض المسلمين المحررة إلا بتحرير المغصوب منها.

جهاد المال



المال عصب الحياة، وشقيق الروح، ودعامة الحضارات، وإن أمة تملك الخيرات في باطن الأرض وظاهرها ثم لم تحرر رغيفها من الاستعمار، ولا دواءها من التبعية، ولا سلاحها من أعدائها، فلا أقل من أن تدعم من يصبو لتحريرها بل لتحرير العالم من الصهيونية المارقة، إن أموال المسلمين تستنزفها الحفلات الراقصة على شاطئ الدماء الفوارة، وتستبد بها العصابات المارقة في مراقص الخنا ومراتع الفساد، بينما يتضور أطفال غزة جوعاً ونساؤها ألماً وحسرة، وأسودها خصاصة من أجل دفع الباغي.

فيا أمة محمد ﷺ لا تخلوا عن أسود كم فتأ كلكم كلاب عدوكم، والسلام.


أ.د إبراهيم أبو محمد
المفتي العام للقارة الاسترالية

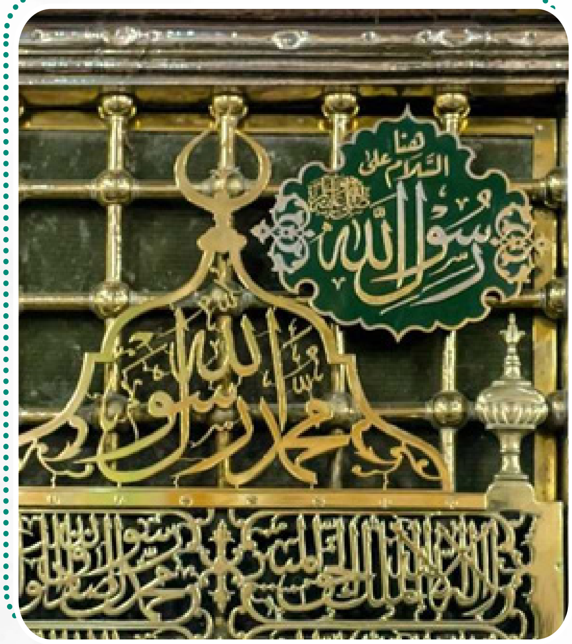
استئذان في أدب وعلى استحياء



في لقاء سابق بيني وبين شيخي الدكتور محمد الصغير، والكبير في همته واهتماماته، دعاني -مشكوراً ومأجوراً- لأكتب في مجلة أنصار النبي ﷺ، حملت الدعوة على محمل المجاملة وحسن الظن من فضيلته بأخيه وتلميذه، لكن الدعوة تكررت في عتاب محب أراد أن أنال شرفاً فوق العادة، وذكرني بها أستاذ فاضل هو أحد مساعدي الشيخ الكبير.

ومن المعروف أن الكلمة لا تستمد قوتها من موقع قائلها، ولا من فصاحة كاتبها وبلاغته في البيان والشرح، وإنما تستمد جمالها وسحر بيانها في التأثير والبقاء والخلود من عظمة من قيلت فيه، أو قيلت له، أو قيلت عنه. فإذا كانت الكلمة تُقال أو تُكتب لله سبحانه أو لرسوله ﷺ فعليك أن تتصور مساحة حضورها في العقل والوجدان، وعليك أيضاً أن تخيل سقف تأثيرها في النفس والقلب والروح.

وعندما يكون الحديث عن أعظم ضيوف الشرف في دنيا الوجود ﷺ فالجدير بنا أن نستلهم حِكمه وأسراره، ونتعرف على جوانب المنح الربانية العظيمة في حياته ﷺ من خلال المحن التي مرت به، ومن ثم فالحديث عنه حديث عن:



- العصمة التي لا تنافي المحنة.
- وعن الاصطفاء الذي لا يمنع الابتلاء.
- وعن المعجزة التي حدثت وتحدث.
- وعن الكرامة التي مُنحت من بعثته ووجوده للإنسانية عموماً والمسلمين خاصة، فخطفتها أيدي اللصوص.
- وعن الحكمة التي جردت الإنسان من شرفه حين تخلى عن دينه وباعه بدنياه أو بدنيا غيره، فخسر الاثنين معاً.

ضيف الشرف في كتابتنا لا يعلمنا فقط، وإنما يحيينا بروح الإيمان، ويجدد فينا صلابة اليقين بالحق والإصرار على البقاء والاستمرار في نصرته، حتى وإن لم يتحقق، ضيف الشرف ﷺ يرفع مستوى همتنا وإرادتنا حتى وإن كانت مكبلة بقيود الباطل وضلالاته، فيمنحنا عزيمة تجعلنا نحتقر ذلك الباطل حتى وإن

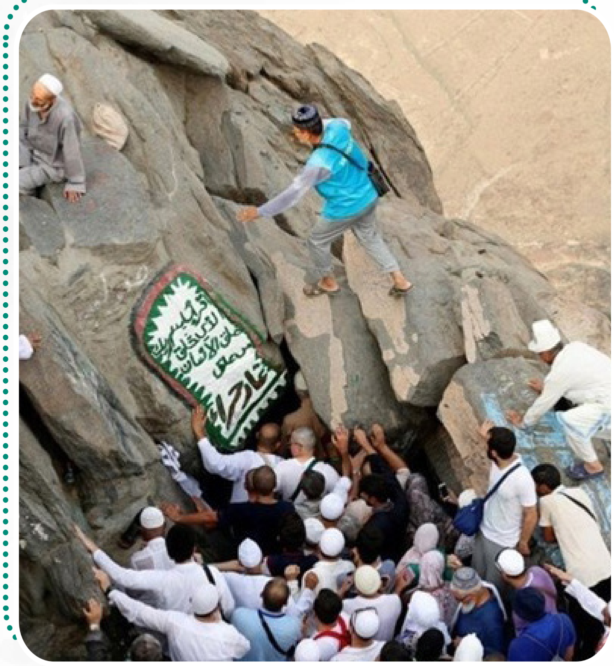


ساد وغلب، ضيف الشرف في دنيا الوجود هو دنيانا، وحياتنا، وحاضرنا، ومستقبل إنسانيتنا المعذبة، حتى وإن حاول الباطل أن يثير حول سنته ﷺ شيئاً من الغبار، وأن يجند بعض الحقراء ممن لا شرف لهم ليتقولوا عليه.

الشرف العظيم لي من هذه الدعوة المباركة لأكتب عنه بمشيئة الله تعالى حتى يجمعنا اللقاء به ﷺ، ولو كان المقال مجرد مدارسة وتعليم منه، فنجلس بين يدي توجهاته نتعلم ونسمو، وتحلّق أرواحنا في ظلال عظمته، وتتألق عقولنا بعطائه الذي جمع كل جوامع الكلم، وتفيض بركاته ﷺ على القلب المعنى فيبكي فرحاً بربه وبنبيه ﷺ، وبالمنهج الذى جاء ليحمي وجوده وحاضره ومستقبله ومستقبل الوجود معه.

وتغسلنا دموع الحب من كل أدران الحياة بخفتها وخستها، ويدخل بالنفس المتعبة في عالم من الحبور والبهجة، فيتسع المكان وإن ضاق، وينشرح الصدر وإن كانت تحيط به كل هموم الأرض، ويشرق وجدان المرء نوراً يتلألأ حين يلتقي صاحبه بأعظم من عرفت الدنيا ﷺ وأعظم من قادها ورباها، وعلمها ورشَّد خطوها لتكون في قصد السبيل. ومع أحبابنا رواد وقراء مجلة أنصار النبي ﷺ نلتقي بمشيئة الله تعالى مع أعظم ضيوف الشرف في دنيا الوجود، مع سيدنا رسول الله ﷺ في ميلاده ﷺ وبعثته، ودعوته وهجرته ورسالته، وتوجيهاته تلك التي منحت الحياة قيمتها ومعناها.

أيها السادة العلماء والقراء، بحبنا الكبير والعظيم نلتقي.



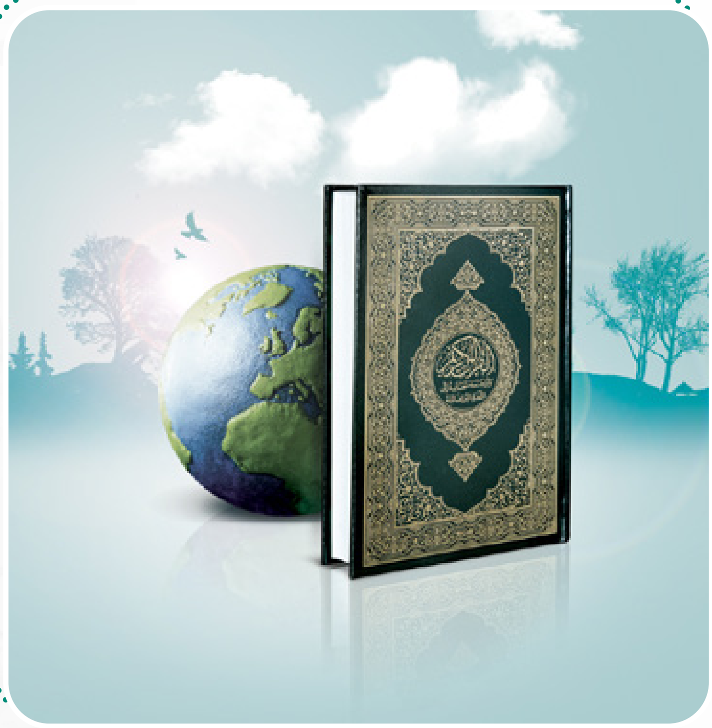
وبداية انبثاق النور كانت من حراء، وكمال تألقه وجمال روعته كان في عرفات.. في حراء كان اللقاء الأول، تحديداً لمنطلق المعرفة قراءة وكتابة، وكما تسيل أودية الماء بقدرها، تسيل كذلك أودية الكلمات، فما كان منها ساقطاً يدغدغ العواطف ويثير الشهوات ويهبط بمشاعر الإنسان، فذلك زبد يذهب جفاء إلى دورات المياه، ومثله كمثل شجرة خبيثة شاءت أقدار الله أن تنتزع جذورها من فوق الأرض ما لها من قرار. وأما ما كان منها يحيي القلوب من غفلة ويحميها من الهوى، كما يحمي العقول من الخرافة، ويبني في الناس خلقاً كريماً، ويشكل في التراكم الثقافي أساساً لحضارة، فذلك يصعد في الكلم الطيب والعمل الصالح، ويبقى في الكون كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

ومنذ اللحظة الأولى لهبوط الوحي بكتاب المنهج جاءت الكلمات واضحة لا لبس فيها ولا غموض، وطرح لأول مرة خيار ثقافي جديد يتجاوز الحدود الضيقة المحصورة والمحشورة في الجنس والشعب والأرض والأمة.. إنه خيار يرتفع بالإنسان فوق الأرض، ويعلو به، ويسمو فوق الحواجز والحدود. ومن هنا كان التوجيه صريحاً ألا تكون القراءة باسم حزب أو باسم شعب أو باسم جنس، أو حتى **باسم أمة، إنها** قراءة لكتاب الوجود والخلود «**باسم ربك الذي خلق**» يعلو بها القارئ تعليماً وترشيداً، ورفعة وسمواً عن انحطاط الجهل وانحصار المرء ضيقاً وتعصباً في الزمان والمكان والجنس.

بداية النور كانت بـ اقرأ من حراء، **وإشارة الرحيل بعد الكمال والتمام والرضى** كانت في عرفات «لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا».. بين البدء والمنتهى ثلاثة وعشرون عاماً، خلالها تكونت شخصية المسلم واكتملت رسالة المنهج طولاً وعرضاً وعمقاً.

طولاً: في الزمان واستطالته. **وعرضاً**: في المكان واتساعه. **وعمقاً**: في الحاجات المتجددة للبشر وامتدادها إلى قيام الساعة. ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]. ومن ثم تحددت ملامح المنهج في الخصائص التالية:

- أنه منهج كامل لا نقص فيه «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ».
- وأنه منهج تام يحتوي ويستوعب كل النعم الإلهية بتمامها ما أحصى البشر منها وما لم يحصوه أو يتعرفوا عليه بعد «وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي».
- وأنه المنهج المختار والمرتضى من الله لعباده، «وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً».



وبالكمال والتمام والرضى جاءت كلمات المنهج صدقاً وعدلاً لا تبديل فيها ولا تحريف، **صدقاً**: لا كذب فيه. **وعدلاً**: لا جور فيه. **وحفظاً**: لا تغيير فيه ولا تبديل، ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

❁ ومن ثم لحديثنا عنه حديث النفس المطمئنة إلى أن لديها منهجاً يحمل أعلى درجات اليقين العلمي بشروطه المكتملة، صدقاً في الرواية وسلامة في الضبط والتوثيق، ويستحيل في حكم العقل والمنهج العلمي أن تكون قد غابت منه كلمة واحدة، أو سقط منه حرف واحد، ولذا فلا نعبأ بتصريح أهوج يأتي من هنا أو من هناك يطعن في سلامة هذا المنهج، أو يشكك في صدقه ومصداقيته. تصريح من هذا النوع حول سنة رسول الله ﷺ يرتد على صاحبه فيكشف أميته في عالم الثقافة والمعرفة، ويفضح جهله وتعصبه للباطل، ثم يقذف به في نهاية المطاف إلى سلة المهملات. ومن ثم فليس لدينا وقت نضيعه في الرد على هؤلاء أو تفهيمهم أو تعليمهم، لأن كلماتهم لا تساوي المداد المبذول في الرد عليهم، ويأتي القول الفصل في قول الله تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧].

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا * وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥-٤٦].

فهل برح الخفاء؟



ذلك سيدي بعض من سناك نقدمها إليك من عمق المأساة التي تحتاج إليك؛ فآه لو كنت معنا أو كنا معك.. لو كنا معك ما زلّت على الدرب خطانا، ولا ذلت نفوس لغير خالقها وما خضعت رقاب لغير باريها.. لو كنت معنا أو كنا معك ما جاع فقير، وما تعرى صبي، و ما تجرعت امرأة في فلسطين ولا في غزة أو السودان ولا في ميانمار أو الايغور ولا في كل العالم كأس المذلة والمهانة.. لو كنا معك ما أبيد شعب في غزة، ولا تجرأ الصهاينة في فلسطين، ولا عبثت آلة الحرب في رفح أو لبنان.. لو كنت معنا أو كنا معك لأشرق صبح العرب الغائب هناك خلف الانقسامات والخلافات والخيانات.. لو كنت معنا أو كنا معك لعبرت بنا جسور الهم العربي، ولحقنت بيننا بحر الدم العربي المراق.. لو كنت معنا أو كنا معك لأنقذت أمتنا من عار الهزائم النفسية والفكرية، ولأخرجتها من مذلة التخلف والتبعية والعجز الفاضح والسكوت المريب والسكون المخزي.

لو كنت معنا أو كنا معك لحققت للأمة حلم الفجر العربي الغائب الذي طال انتظاره.. لو كنت معنا أو كنا معك لساد بيننا العدل المفقود، وحلت بيننا الأخوّة الضائعة، وتسربل الناس بالكرامة التي بيعت، في زمن تحولت القيم فيه إلى بضاعات في الأسواق.. لو كنت معنا أو كنا معك لانتهت الفوقية

والتحتية التي سادت العالم في غياب منهجك لحولت الناس والمجتمعات إلى شمال وجنوب، وسادة وعبيد، لو كنت معنا يا سيدي أو كنا معك ما تشدق بفحش القول سماسرة في وكر «تكوين» الذين هم دعاة البهتان والزور الذين يشيعون في المجتمعات الفواحش باسم الثقافة، والاستبداد باسم الحرية، والقهر والكبت باسم الديمقراطية واختيار الشعوب، وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً.



لو كنا معك لما قلبت الحقائق، ولا استبد الجهل بالناس، ولما طغى ليل المجون على تسابيح السحر.. لو كنا معك ما تطاول الصغار، ولا تخلى عن الدور الكبار، ولا تعدى ظلام الليل على ضوء النهار.. لو كنت معنا أو كنا معك ما جمعنا على موائد المذلة عار التطبيع، ولما قبلنا بالمهانة مبدأ المقايضة والمساومة على الأرض والمقدسات.. لو كنت معنا ما تنكب الطريق منحرف، ولا ضلّت خراف الناس وانجرفت، فبئس اليوم الذي ضيعنا عنك وتاه منا فيه منهجك.

ومعذرة سيدي إن وقف كاتب هذه السطور بين يديك في أدب وعلى استحياء يحاول بكل أدوات البلاغة والبيان فتهرب منه العبارة، وتخجل منه الفكرة، ويعجز منه اللسان، وتسخر منه الكلمات وهي تتساءل في استغراب وتعجب: ماذا ستقول كلماتك يا هذا بعد ما مدح الله له وثناء الله عليه؟

فيا سيدي يا رسول الله معذرة، وطب نفساً، فمن أمتك شعب في غزة يواجه الشر بإصرار متألق يعلو فوق الجراح، ويسمو فوق الآلام، ويستقبل حالة الفقد للأهل والأحبة بسلام نفسي مصحوباً

بالتسبيح والحمد فأيقظ رجع صداه ضمير العالم، وخطف سمع سكان الأرض وأبصارهم، وأبكى عيون الكثيرين في كل الدنيا رجالاً ونساء، وكان للنغم الطاهر الذي يتردد على ألسنتهم في تلك العبارات سحر جديد دفع غير المسلمين إلي البحث عن معنى تلك الكلمات: «الحمد لله»، «إنا لله وإنا إليه راجعون»، «نلتقي في الجنة»، «كلنا مشروع شهادة»، ومن ثم تفجرت أيضاً ينابيع الوعي من عمق المأساة في غزة، وتعجب الجميع وتساءلوا: أي نوع من الناس هؤلاء؟ هل هم من سكان الأرض؟

من أين جاءوا بكل هذه القوة وهذا الثبات؟

وبدأت يا سيدي على أيدي أتباعك وأحبابك في غزة دورة وعي جديد سرى في العقول والوجدان سريان الضوء والسنا في الليل الطويل المعتكر. أو سريان الماء في الشجرة الخضراء، ورأت الدنيا كلها وشاهد العالم في صمود نساء غزة وأطفالها انتصار الإرادة، حتى وإن دمرت البيوت وقصفت المدارس، والمساجد، والمستشفيات.



ولتهنأ روحك سيدى فالأبطال الصغار، أطفال غزة يعيدون للوجود الأمل بعد يأس طويل، ويستعيدون مهابة الإنسان في دنياه، وكأن الزمن قد قفز بهم وتجاوز بوجودهم عصور الوهن وقلة الحيلة والهوان والاستضعاف، فسمعتهم الدنيا وهم يرددون ببساطتهم وتلقائيتهم: **«سنعود بإذن الله لبيوتنا المدمرة،**

وسنجلس على الحطام، وسنبقى على الأرض لأنها أرضنا، ولن نغادرها مهما فعلوا بنا»، ويرددون في استبصار يقيني: «معنا ربنا، يا ربنا خذ من دمائنا ما شئت حتى ترضى، ولن نرضى إلا بما يرضيك منا وما يرضيك عنا «نصر أو استشهاد»».

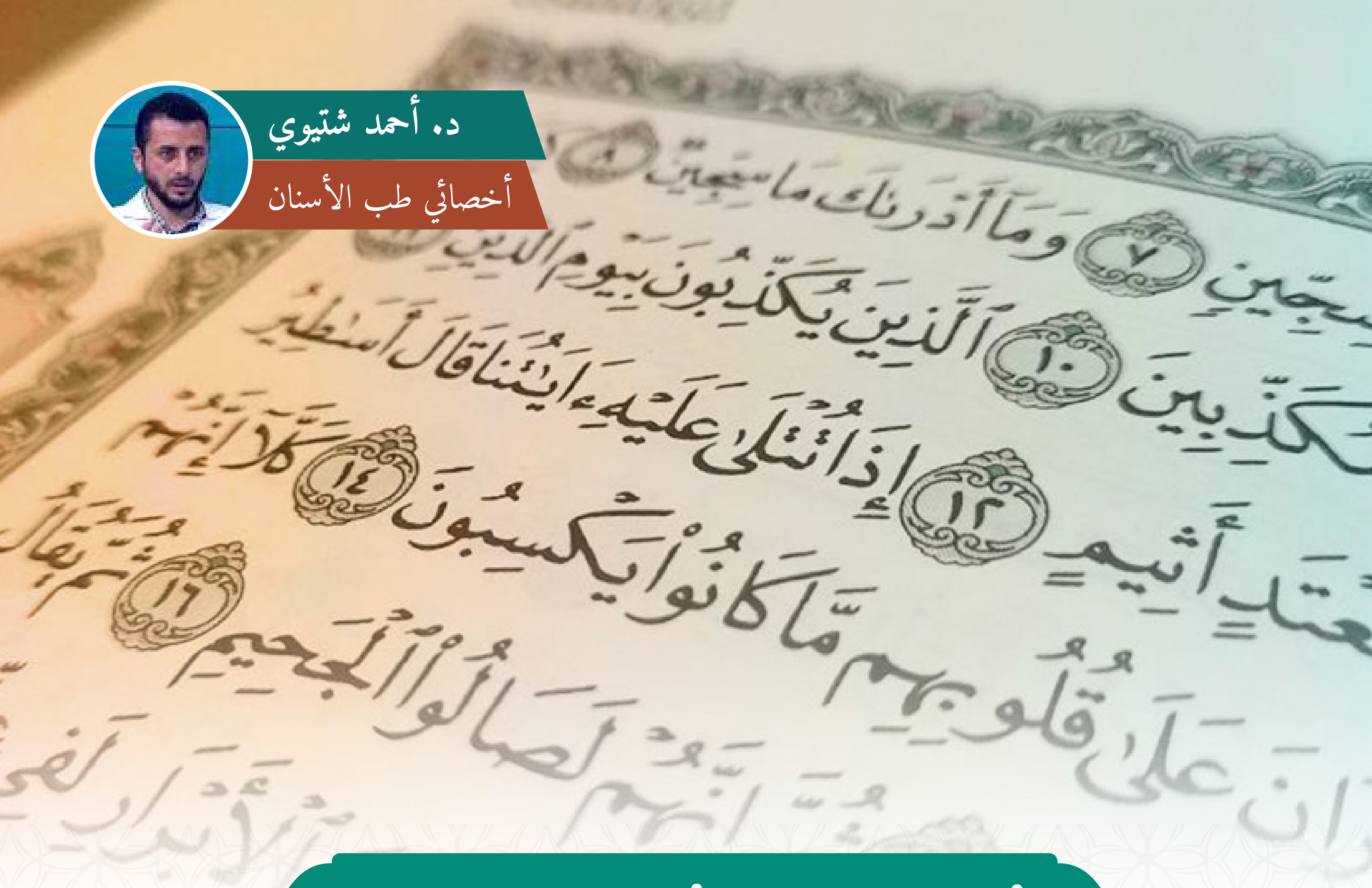
وبذات الصمود وذاك الاستبسال تسبب أطفال غزة وأبطالها في تحريك عقل المواطن الغربي ومعه كل شعوب الأرض، لتستعيد الإنسانية يقظة ضميرها وتستفيق من خداع استمر لما يقرب من قرن من الزمان، فاستردت الدنيا وعيها المسروق، وكأن قدر أهل غزة ومهمتهم خلال الشهور السبعة أن يعيدوا للدنيا بتضحياتهم العظيمة وعيها المفقود، ويردوا للزمن اعتباره، وللعروبة شرفها الشارد الضال، ويشيدوا من جديد بنيان الإنسانية الذي تهدم بالخوف من غرور القوة وصلافة الاستبداد ووحشية الغابة، حين يمتلك حيوانها الضال أدوات الفتك والقتل والتدمير.

فلتهنأ روحك سيدي، فبذور الخير التي غرست على يديك أنبتت رجالاً، وجذور الرجولة وقواعد البطولة ذات الأخلاق التي أرسيتها أثمرت وأينعت، وأثبتت أنها تستطيع تحريك التاريخ وتوجيه مساره، وأنها أيضاً قادرة على تصحيح جغرافية الأرض واسترداد الحق المسروق في غيبة حراس الشرف وحماة المقدسات، وستبقى أمتك يا سيدي ما بقيت الحياة وما بقي الليل والنهار.

أما أنت يا سيدى -رسولاً ورسالة ومنهجاً- فستبقى وتظل إشراقاً يحتضن الدنيا، ونهاراً لا يعرف ليلاً.

وبين يديك، وفي أدب وعلى استحياء أقول معتذراً: فداك نفسي، وأبي وأمي، وأعتذر إليك سيدي.

عاملك وخادمك في استراليا/ إبراهيم أبو محمد.



د. أحمد شتيوي
أخصائي طب الأسنان

أساطير الأولين (٢/١)

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، الذي بدأ وحيه أن يقرأ باسم ربه..

من الأشياء التي تستفزني وتستفز الكثيرين استمرار الفكرة الكاذبة بأن هذه المخلوقات تطورت من جزيء، تشكل هو من نفسه، ثم قامت الفوضى وصنعت عظمة!

وما يثير الاستفزاز غير هذا اللا منطق والاستخفاف بالعقل وكأنه مُحتكَر لدى البعض هو أن الحياة والروح ستدب من تلقاء نفسها في هذا التجمع من الخلايا أو الجزيئات، ثم يستدعي الأمر أن يقوم علماء كبار بالرد العلمي على مثل هذه الأمور.. لماذا؟ فقط لأنها رائجة وحاضرة، ليس لأنها فيها منطق بل لأنها حاضرة، وهذا ما يفهمك لماذا كان يعبد الإنسان حجارة وعجوة وبقرة، فقط لأنها أشياء دارجة وحاضرة.



من البديهي أن المزارع البسيط الذي لا يقرأ ولا يكتب ولم يدرس لا منطق ولا فلسفة ولا بيولوجيا، يمتلك عقلاً يمكنه من استنتاج وجود الله، هذا بخلاف الفطرة التي فُطر عليها، مثله تماماً مثل الأستاذ الجامعي الذي يُحكِّم في رسائل دكتوراه على مستوى دولي.. فكلاهما له حق تصويت واحد كما لهما دية واحدة، فلو قُتلا لا يُفرق بينهما في عقوبة القاتل ولا غضب الله عليه؛ فكل مؤهل للحساب أمام الله.. وكما هو مؤهل للمكافأة فهو مؤهل للعقوبة.

ومن العجيب أن أصحاب فكرة اللا إله أياً كان وصفها أو شكلها، ينظرون باستعلاء واحتقار لمن يؤمن بفكرة الخالق ويتخذونه مادة للسخرية، وهذه ليست حالة عقلية إنما هي حالة نفسية، وهناك من سيؤكد في عصرنا أنها عقلية مقدّرة ولكنها نفسية وإن بدأت عقلية، فمع الاستمرار ليس أمامها إلا أن تتحول لنفسية، وببساطة لأن العقل ميزان حساس ولن يتغاضى عما ليس بمنطق إلا أن يغفَّل بدافع نفسي، ومن الأمور المؤهلة للاستغفال هو استمرار حضور الفكرة وفرضها في المناهج بشكل مباشر والعلوم المختلفة بشكل غير مباشر حتى تظل حية.

ولنتجاوز قليلاً فكرة الإلحاد، و التي لا تعدو كونها إسرافاً من إسرافات البشر، مثل الشذوذ الذي يتلو الإباحية -مع فارق التشبيه وتوحد المنطلق فكلاهما طغيان- ولنعد لفكرة سبقتهما ولكنها متأصلة في عصرنا الحالي وهي من أهداف هذا المقال كانت تحتاج لتلك المقدمة..



إننا في عصر الحداثة الذي نحياه نعيش وقد حول الإنسان الغربي نفسه لإله يشرع لنفسه ما يريد وقتما يريد، محاولاً الإفلات من أي قيد، وأول هذه القيود هي الدين الذي يذكره بحدوده وما له وما عليه، ولم يهرب من الدين فحسب بل هاجمه وأعلن هجومه عليه على أعين العالمين وأصّل لنفسه ولفكره، ولذا ففي عصرنا تجد النظريات الداعمة لروح الإلحاد منتشرة كما قلنا يدرسها كل طالب في المدرسة، المدرسة المنتشرة في أرجاء الكوكب كله، المدرسة التي هي مدرستنا حالياً التي نشأنا فيها وسينشأ أبناؤنا، وستجد الإباحية وتأصيل حرية الزنا وحرية الجسد قضية حاضرة في كل المجتمعات ولها مَن يغرس لها دوماً ليجعلها حاضرة أمام كل دين أو عادة، ثم لابد أن تزيد دناستها دوماً فما لا يزيد ينقص وخير وسيلة للدفاع هي الهجوم، ولذا رأينا المثلية وعلى أي مستوى كان دعمها، وهذا تطور طبيعي للإسراف، وما المانع! فمن يؤصِّل لسان حاله يقول نحن أحرار وإن كنا نمارس مرضاً نفسياً أو طغياناً بشرياً، ومَن لم يقبل نخنقه ونحبسه وننزع منه أبناءه إن سمحت الظروف، لا يوقفهم إلا الظروف!

وطبعاً هذا الفجور والطغيان ومن بداياته سيكون له من يعارضه ويجابهه، ولذا فهناك أسلحة مشرّعة لمن يقاوم أو هجمات استباقية لتمهيد الأرض، أو قُل لحرقها، حتى تُزرع الفكرة فلا تجد لها ما

يزاحمها، ولذا كان دوماً لهذه النوعية من الأفكار -التي تستطيع أن تحزمها في حقيبة واحدة وتكتب عليها حزمة الطغيان البشري- كان لها طابع هجومي يرافقها في كل زمان ومكان، هدف الهجوم ليس تبرير الفعل البشري الذي يدّعون حريته، بل ينقدون الحق الإلهي قبل أن ينتقدوا حامليه، وبما أنك تدعي الحق فيجب أن يكون اتهامك مستعلياً مستكبراً فيقال: متخلفون، مأسورون للعادات والتقاليد، مربوطون بثقافاتهم لا يستطيعون الفكاك منها، أو أصحاب مصلحة كهنوتية متسلطون، ثم تُجمل هذه المعاني في كلمة رجعيون ثم تلقى على كل معارض للقذارات التي تجمّل لتُفرض على البشر، لا لمصلحة البشر بل لطموحات نفسية أو مادية لفئة من البشر.



وهذا العمل كما هو معروف ليس عملاً مستحدثاً، بل هو امتداد لخط الشيطان منذ بدء وظيفة الرسل، يعني منذ بدأ البشر يحيدون عن الصواب وظهر احتياجهم لمنذر منقذ، فترى أولياء الشيطان يفعلون ما يفعلون بنفس المنطق وانظر الى الآية الكريمة ﴿بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ * قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ * لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٨١-٨٣].

فانظر كيف يطغى الكافر فيستعمل مبدأ التعالي والتسفيه، واتهام الدين بأنه محض كلام سطحي ونسج خيالات بشرية، ومع أن هذا الطغيان القولي فيه من الغباء ما ليس بقليل إلا أنهم باستخفافهم يتجاوزونه أو يفرضونه فرضاً، وتراه جلياً في قولهم ﴿لقد وُعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل﴾، وكأنه قد رأى ما

صار إليه آباؤه بعد هلاكهم واكتشف الخدعة فأصبح نبيهاً واعياً، وهو ونحن معه لا نذكر أين كنا قبل أن نكون ولا نعرف ولم نرَ ماذا بعد ما نموت، وما هو الموت وكيف ومتى سنذوقه، ولم تأتِ روح ميتة فتخبرنا بشيء، فأي سفاهة تلك؟! ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٧].

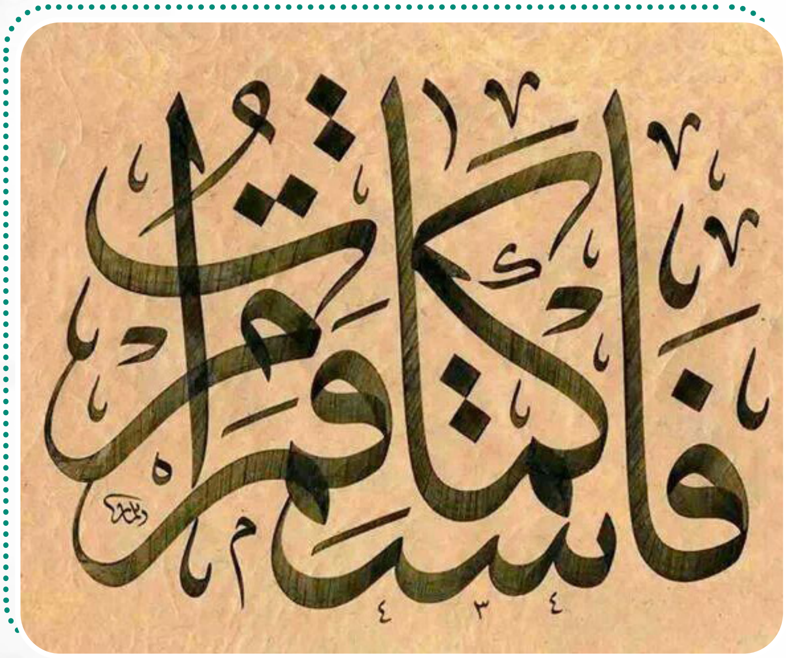
إلا أن الطغيان مهلك لأصحابه، يخدعهم فيطغى عليهم قبل أن يطغوا هم، فهو مرض لكي يظهر أثره لا بد أن يفترس حامله أولاً فترى صاحبه وكما يقال: «راكب دماغه».



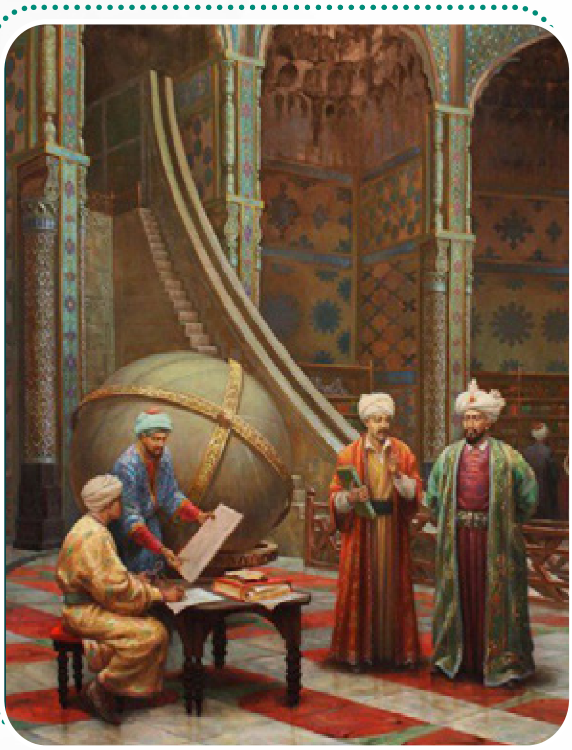
وكما ظهر في أول الآيات السابقة قال سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ فإن العادة قديمة والحجة واحدة، ولذا فقد وردت هذه الجملة (أساطير الأولين) في القرآن تسع مرات، أي استُدعي مشهد الطغيان هذا تسع مرات لإعلام المؤمنين بأن هذا هو نهج الطغيان الثابت، سواء كان قائله في زمن من أزمنة ما قبل التاريخ أو يقوله الآن مرتدياً الكرافتة عبر الأثير، لا فرق فالمنطلق واحد، وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

ربما يكون المقال إلى الآن يتحدث عن أمور عقدية كبرى، ودخل في قضية التوحيد وهذا صحيح ولكن ليس هذا هو الهدف الرئيسي، إنما هي مقدمة ضرورية فما ذكرته أصل والقادم فرع، ما ذكرته مقدمات ولب هذا المقال هي النتيجة، إن انعكاس هذه المقدمة علينا وعلى الإنسانية هي أزمة حياتنا وحياة

الإنسانية الآن، ونحن الموحدون نتأذى من هذا مع الإنسانية، مع أننا موحدون على الحنيفية السمحاء ولسنا بطغاة ولا مبدلين بفضل الله، إلا أننا نعيش وفق حياة ممزوجة بتصورات رسمها لنا الطغاة وتستغرق أذهاننا أوقاتاً وأوقاتاً لحل الإشكالات الفكرية التي تقابلنا عندما يتعارض شيء من تصورات الدين مع تصورات منهاج الطغاة المفروض على العالم، وكما بدأ المقال فإن أول تلك المفروضات هو نظرية النشوء والارتقاء والتركيز عليها، وما لها من مقدمات وتوابع على دين الإنسان ومصيره ونظرته لنفسه وتقديره لروحه وحياته وعمره وتقديره لحياة بني جلدته؛ بل وحياة الحيوانات والنباتات وحياة الأرض نفسها.



من تلك المفروضات الطغيانية أيضاً: محاولة فرض رؤية واحدة، فمثلاً في الفلسفة -أي علم الحكمة في عصرنا هذا- يوحَى إلى المتعلم أن الفلسفة لها منشأ واحد في أرض واحدة هي أرض بني الأصفر، أصحاب السيادة في الزمان الحالي، ولك أن تتخيل شخصاً يعيش في زمان يرجع فيه تصوراته لتلك الفلسفة أو على الأقل يشعر أنهم أصل التفكير وأصل بدء استعمال العقل، أي أهل التنوير، وإن لم يقتنع بهذا فهو أمام عبء نفسي ولا بد له من استدلال علمي لرد هذه الدعوى السائدة لتقليل أثرها النفسي وإطفاء هالتها المهيمنة التي تشبّع بها هو وبنو جيله في مدارس بلدته، على أيدي مدرسين من بني جلدته من بني الإسلام!



ومن تلك المفروضات الطغيانية أيضاً: أن الغرب وبعد أن احتكر لنفسه الفلسفة أو نصيب الأسد منها يحاول رد العلوم التجريبية على أنها نتاج عقله هو، هو الأقدم فيها ويخرج من أزمة الفترة الإسلامية بأن العرب لم يكونوا إلا مترجمين ناقلين للعلوم، فنحن ضعفنا فترة فجاء العرب فأخذوا العلم فكتبوه وحفظوه، ثم جئنا نحن فاستردنا بضاعتنا، وهذا هو تأصيل المستشرقين، ولك أيضاً أن تتصور أثر هذا على المسلم الذي يفهم دينه على أنه معمار للدنيا وللآخرة كيف يظل شاعراً بالتناقض، فكيف يكون أهل الإيمان على مدار التاريخ ليسوا أهل العمران والإنتاج والعلم، ويكون أهل الطغيان المسرفين هم أهل الرقي والتقدم، وتبحث فيما تعلمناه من تاريخ فلا تجد شواهد إلا أن ترجع لتاريخك المنزوي المُهمل، ولولا القرآن وما فيه من قصص وأحداث، ولولا أن الله تكفل بحفظه لظنت البشرية فعلاً أن الغرب هو مركز الكون! وفعلاً فمن يملك كل هذا السطو الفكري على البشر!

لقد تحكم الغرب في التعليم بشكل مباشر أو غير مباشر، في سنوات الدراسة ونظام المدارس وطرق التدريس، وما يجب أن يدرسه وما لا يجب وأي لغة أولى من الأخرى!

(يُستكمل في العدد القادم إن شاء الله)



د. هالة سمير

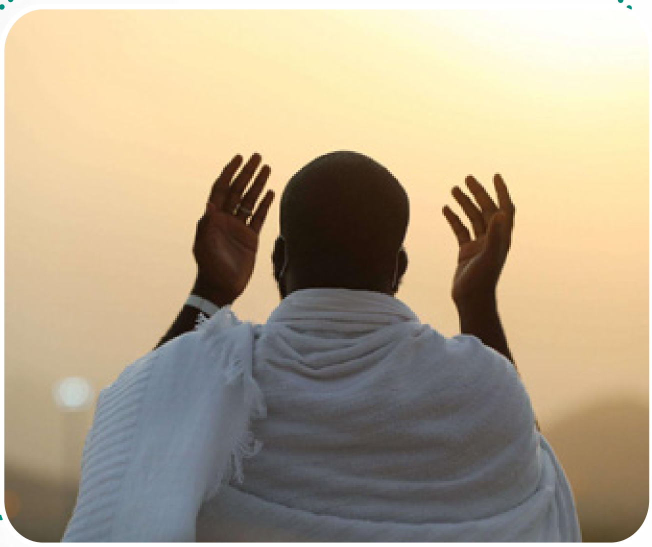
أمينة لجنة المرأة بالهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

غزة والحج

نقترب في هذه الأيام من أيام الحج المباركة، الحج الذي هو شعيرةٌ كبرى من شعائر الإسلام، وركنٌ من أركانه الخمسة، وفريضةٌ من فرائضه. ولا يخفى على مسلم ما لهذا الموسم من فيوض شعورية ملؤها الخضوع والتضرع لرب العالمين، والوحدة واللُحمة بين المسلمين، فيكثر فيه الأوب والإنابة إلى الله، والعطف على عباده، ومراعاة كمال الأحوال القلبية والجارحية جميعاً.



قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة البقرة: ١٩٧]. قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: «وقد ظهرت عناية الله تعالى بهذه العبادة العظيمة، إذ بسط تفاصيلها وأحوالها مع تغيير ما أدخله أهل الجاهلية فيها»[١].

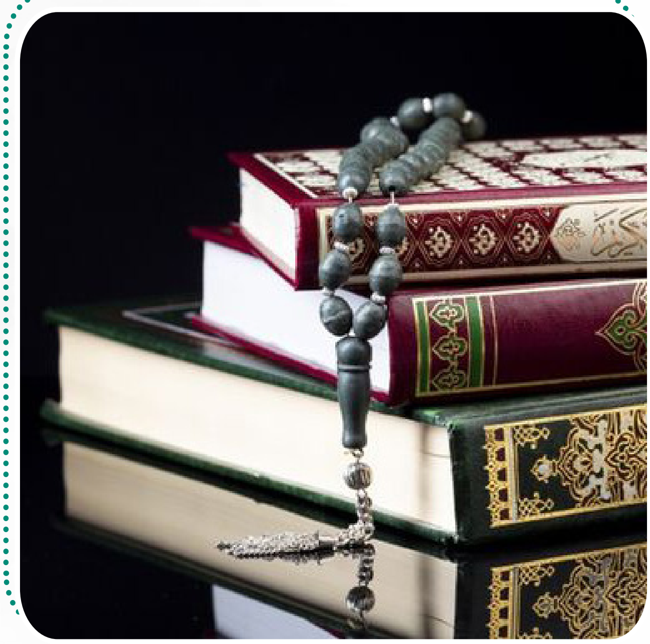


وقال السعدي رحمه الله: «والمقصود من الحج، الذل والانكسار لله، والتقرب إليه بما أمكن من القربات، والتنزه عن مقارفة السيئات، فإنه بذلك يكون مبروراً، والمبرور ليس له جزاء إلا الجنة، وهذه الأشياء وإن كانت ممنوعة في كل مكان وزمان، فإنها يتغلظ المنع عنها في الحج»[٢].

وإن من كمال أحوال العبد الإيمانية والقلبية إخلاصه لله تعالى المحبة والخوف والرجاء، ونصيحته للمسلمين، وحميّته للدين. قال النبي ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنا: لِمَنْ؟ قالَ: لِلَّهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ»[٣]. قال القرطبي: «قال الخطَّابِيُّ: النصيحةُ كلمةٌ يعبَّر بها عن جملةٍ هي إرادةِ الخيَرِ للمنصوح له، وهي في اللغةِ الإخلاصُ... فالنصحُ للهِ تعالى: هو صحةُ الاعتقادِ بالوحدانيَّة لله تعالى، ووصفُهُ بصفات الإلهية، وتنزيهُهُ عن النقائص، والرغبةُ في محابِّه، والبُعدُ عن مَساخطه. والنُّصُحُ لكتابِ الله تعالى: هو الإيمانُ

---

١ التحرير والتنوير، للإمام الطاهر ابن عاشور، طبعة دار سحنون، جزء ٢، ص٢٣١.
٢ تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، طبعة مؤسسة الرسالة، ص٩١.
٣ صحيح مسلم، ٥٥.



به، وتحسينُ تلاوته، وتفسير معانيه، وتدبُّرُ آياته، وتوقيرُهُ وتعظيمه، والدعاءُ إليه، والذَّبُّ عنه. والنصحُ لرسولِ اللهِ ﷺ: هو التصديقُ بنبوَّته، والتزامُ طاعتِهِ فيما أَمَرَ به ونَهَى عنه، وموالاةُ مَن والاه، ومعاداةُ مَن عاداه، وتوقيرُه وتعزيرُه، ومحبَّتُه ومحبةُ آل بيته، وتعظيمُ سُنَّته، وإحياؤُهَا بعد موته، بروايَتِهَا وتصحيحها، والبَحثِ عنها والتفقُّهِ فيها، والذَّبِّ عنها ونَشرِها والدعاءِ إليها، والتخلُّقِ بأخلاقِهِ الكريمة. **ونصيحةُ أئمَّةِ المسلمين:** هي طاعتُهُم في الحقِّ، ومعونَتُهُم عليه، وتذكيرُهُم به، وإعلامُهُم بما غَفَلُوا عنه أو جهلوه في أمر دينهم ومصالح دنياهم، وبالجملة: بأَن يكونَ معهم كما قال عليه الصلاة والسلام: أن تؤتِيَهُم مَا تُحِبُّ أن يؤتَى إِلَيكَ، وتَكرَهَ لَهُم ما تَكرَهُ لِنفسِكَ. وقد تقدَّم القولُ على قولِهِ: لَا يُؤمِنُ أحدُكُم حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفسِهِ. وإذا كان هذا في حَقِّ المسلمين، فالأمراءُ والأئمَّةُ بذلك أولى»[٤].

فالنصيحة والإخلاص لله ولكتابه ولرسوله وللمسلمين جميعاً من أهم معالم الدين، وعليها يقوم كماله، والحج لما كان مقصده هو تتميم إخلاص المسلم عبادته لربه بكل صور الإخلاص كانت النصيحة بكل صورها من أهم ما ينبغي على المسلم إتمامه من دينه. قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «**فمن أعظم مقاصد الحج وأعظم أهدافه إخلاص العبادة لله وحده، وتوجيه القلوب إليه جل وعلا، إيماناً بأنه يستحق العبادة، وإيماناً بأنه المعبود الحق، وإيماناً بأنه رب العالمين وحده، وأنه صاحب الأسماء والصفات الكريمة وحده لا شريك**

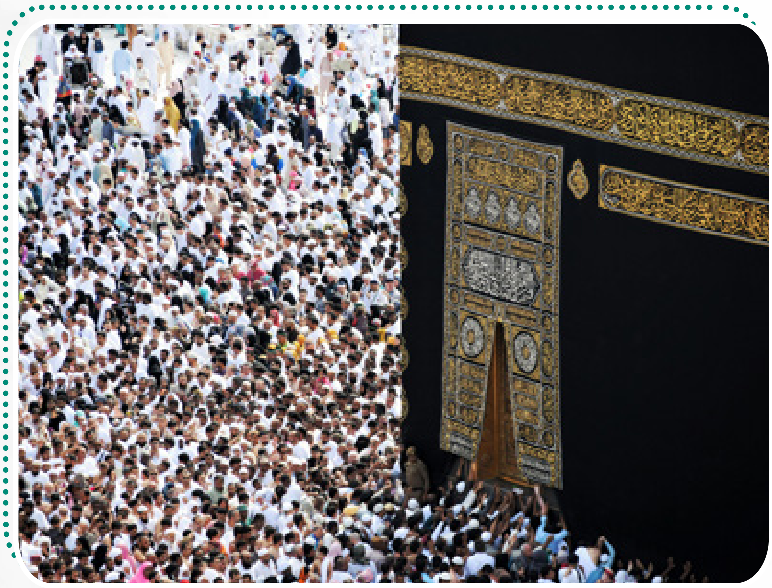
---

٤ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، طبعة دار ابن كثير، الجزء ١، ص٢٣٤-٢٤٤.

له ولا شبيه له ولا ند له سبحانه وتعالى. وقد أشار إلى هذا في قوله جل وعلا: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ وفي البقرة: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾»[٥].

إن إخلاص المسلمين عبادتهم لربهم لا يمكن أن يكون بمعزل عن تعظيم ما عظّمه الله وتحريم ما حرّمه، واستحضار المسلمين لمعاني نصرة المستضعفين وإغاثة إخوانهم والغضب للحرمات المنتهكة هو مما لا يُتصور من المسلم الطالب لحج مبرور أن تغيب عنه. وكل إخلاص يخلصه الإنسان لربه لا يمكن أن يغيب عنه اتباعه لشريعته التي شرعها وأحكامه التي حكمها.

ومن هذا ما رواه سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه قال عن رسول الله ﷺ أنه: «ذكر الرجلَ يُطيل السفر، أشعث، أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنَّى يُستجاب له!»[٦]. قال الإمام ابن دقيق العيد: «وقوله: ثم ذكر «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر» إلى آخره: معناه -والله أعلم- يطيل السفر في وجوه الطاعات: الحج وجهاد وغير ذلك من وجوه البر، ومع هذا فلا يستجاب له لكون مطعمه ومشربه



٥ مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز الجزء ١٦، ص٢٠٣.

٦ صحيح مسلم، رقم ١٠١٥.

وملبسه حراماً، فكيف هو بمن هو منهمك في الدنيا أو في مظالم العباد أو من الغافلين عن أنواع العبادات والخير. وقوله: «يمد يديه» أي يرفعهما بالدعاء لله مع مخالفته وعصيانه، وقوله: «فأنى يستجاب له؟» وفي رواية: «فأنى يستجاب لذلك؟» يعني من أين يستجاب لمن هذه صفته، فإنه ليس أهلاً للإجابة»[٧].



إن حال الوحدة والألفة والأخوّة بين المؤمنين التي وصفها النبي ﷺ بقوله: «تَرَى المُؤْمِنِينَ في تَراحُمِهِمْ وتَوادِّهِمْ وتَعاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إذا اشْتَكَى عُضْوًا تَداعَى له سائِرُ جَسَدِهِ بالسَّهَرِ والحُمَّى»[٨].

قال ابن بطال رحمه الله بعد هذا الحديث في جملة أحاديث أخرى تدور معانيها حول أمر الرحمة:

«في هذه الأحاديث الحض على استعمال الرحمة للخلق كلهم كافرهم ومؤمنهم ولجميع البهائم والرفق بها. وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا، فينبغي لكل مؤمن عاقل أن يرغب في الأخذ بحظه من الرحمة، ويستعملها في أبناء جنسه وفى كل حيوان، فلم يخلقه الله عبثًا، وكل أحد مسئول عما استرعيه وملكه من إنسان أو بهيمة لا تقدر على النطق وتبيين ما بها من الضر، وكذلك ينبغي أن يرحم كل بهيمة وإن كانت في غير ملكه، ألا ترى أن الذي سقى الكلب الذى وجده بالفلاة لم يكن له ملكًا فغفر الله له بتكلفة النزول في البئر وإخراجه الماء في خفه وسقيه إياه، وكذلك كل ما في معنى السقي من الإطعام، ألا ترى قوله عليه السلام: «ما من

---

٧ شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد، طبعة مؤسسة الريان، ص٦٠.

٨ صحيح البخاري، رقم ٦٠١١.

مسلم غرس غرسًا فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة». مما يدخل في معنى سقى البهائم وإطعامها التخفيف عنها في أحمالها وتكليفها ما تطيق حمله، فذلك من رحمتها والإحسان إليها، ومن ذلك ترك التعدي في ضربها وأذاها وتسخيرها في الليل وفي غير أوقات السخرة»[٩].



فهذا ما يقتضيه حال المؤمن الصادق مع البهائم والحيوانات ثم أبناء جنسه من غير أهل ملته ودينه، فكيف بإخوانه الذين يلزمه موالاتهم ونصرتهم. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦] وقال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

قال ابن كثير رحمه الله: «﴿بعضهم أولياء بعض﴾ أي: يتناصرون ويتعاضدون، كما جاء في الصحيح: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك بين أصابعه، وفي الصحيح أيضاً: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر». وقوله: (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) كما قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون

٩ شرح صحيح البخاري لابن بطال، طبعة مكتبة الرشد، الجزء ٩، ص٢١٩-٢٢٠.

عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وقوله تعالى: ﴿ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة﴾ أي: يطيعون الله ويحسنون إلى خلقه، (ويطيعون الله ورسوله) أي: فيما أمر، وترك ما عنه زجر، (أولئك سيرحمهم الله) أي: سيرحم الله من اتصف بهذه الصفات، (إن الله عزيز حكيم) أي: عزيز، من أطاعه أعزه، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، (حكيم) في قسمته هذه الصفات لهؤلاء، وتخصيصه المنافقين بصفاتهم المتقدمة، فإن له الحكمة في جميع ما يفعله تبارك وتعالى»[١٠].

وأخبر الله تعالى عن حال المؤمنين العام بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. قال ابن عاشور رحمه الله في تفسير هذه الآية: «جيء بصيغة القصر المفيدة لحصر حالهم في حال الإخوة مبالغة في تقرير هذا الحكم بين المسلمين... للرد على أصحاب الحالة المفروضة الذين يبغون على غيرهم من المؤمنين، وأخبر عنهم بأنهم إخوة مجازاً على وجه التشبيه البليغ، زيادة لتقرير معنى الأخوّة بينهم حتى لا يحق أن يقرن بحرف التشبيه المشعر بضعف صفتهم عن حقيقة الأخوة. وهذه الآية فيها دلالة قوية على تقرر وجوب الأخوة بين المسلمين؛ لأن شأن (إنما) أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما ينزل منزلة ذلك... فلذلك كان قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ مفيد أن معنى الأخوة بينهم معلوم مقرر. وقد تقرر ذلك في تضاعيف كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ في سورة الحشر، وهي سابقة



١٠ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، طبعة دار طيبة، جزء ٤، ص١٧٥.

في النزول على هذه السورة فإنها معدودة الثانية والمائة، وسورة الحجرات معدودة الثامنة والمائة من السور. وآخى النبيء ﷺ بين المهاجرين والأنصار حين وروده المدينة وذلك مبدأ الإخاء بين المسلمين. وفي الحديث: «لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام أفضل».

وفي باب تزويج الصغار من الكبار من صحيح البخاري أن النبيء ﷺ خطب عائشة من أبي بكر. فقال له أبو بكر: «إنما أنا أخوك»، فقال: «أنت أخي في دين الله وكتابه وهي لي حلال». وفي حديث صحيح مسلم: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم». وفي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» أي: يحب للمسلم ما يحب لنفسه، فأشارت جملة «إنما المؤمنون إخوة» إلى وجه وجوب الإصلاح بين الطائفتين المتباغيتين منهم ببيان أن الإيمان قد عقد بين أهله من النسب الموحى ما لا ينقص عن نسب الأخوة الجسدية، على نحو قول عمر بن الخطاب للمرأة التي شكت إليه حاجة أولادها وقالت: أنا بنت خفاف بن أيماء، وقد شهد أبي مع رسول الله الحديبية فقال عمر: مرحباً بنسب قريب»"[11].

فهذه الحال الشريفة العامة بين المسلمين في الأحوال العادية هي من أبرز ما يتجلى ويجب إظهاره وإبرازه في موسم الحج المبارك، باجتماع المسلمين من شتى بقاع الأرض وأصقاعها على قلب واحد، وشعور واحد، وغاية واحدة.



---

١١ التحرير والتنوير، الجزء ٢٧، ص٢٤٣-٢٤٤.

نصرة غزة

وإنه مما يفسد هذه الغاية ويضيعها خذلان أي من هؤلاء المجتمعين لإخوانهم المؤمنين مما هو واقع تحت الظلم والقهر والعدوان. إن مقتضى هذه الحالة الشعورية التي يدعو إليها الإسلام عموماً ويبرزها في الحج خصوصاً يجعل هذا الموسم منادياً على جميع المسلمين بنصرة إخوانهم في غزة بكل السبل الممكنة، لا يحجزون عنهم شيئاً مما هو في أيديهم كبيراً أو صغيراً.

هذه الدعوة الإبراهيمية التي يجيبها الحجيج بالتلبية يكاد يسقط عنهم فضل إجابتها إن هم غضوا الطرف عن إخوانهم المستضعفين في بقاع العالم، من غزة ونحوها من بلاد المسلمين. إن الملبّي لنداء ربه لا بد له من تلبية نداء إخوانه إن صدق، بكل ما يمكن من أسباب التلبية وأشكالها.

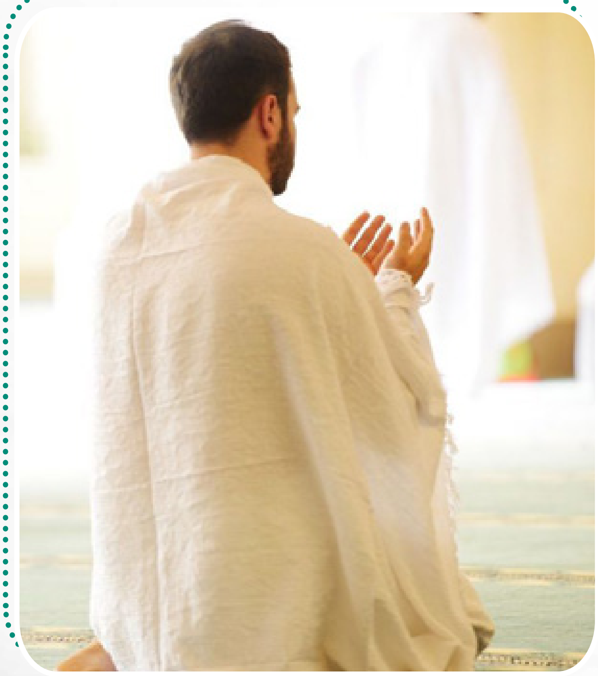
هذا موسم الحج.. يدعو الناس إلى توحيد العبادة للرحمن، والكفر بالشيطان وأوليائه، والحرية العامة من كل أسباب الذلة لغير الله، والخروج من أغلال الطغيان، طغيان النفس، وطغيان العالم. وإن نداء الحج هو نداء للصفوة من أحرار العالم، الذين عرفوا تمام الحرية، وأبصروا طريق الله، وفهموا حقيقة الدنيا ومآلات الأمور. أفلا يحق عليهم أن تكون دعواهم الكبرى في ذلك الموسم نصرة المجاهدين المظلومين من إخواننا المسلمين في غزة؟

أليست حريتهم مقتضية لرفع لوائهم وتلبية ندائهم؟ إن نداء الله المرفوع بالتكبير يقضي على كل مسلم أن ينصر الحق ويخذل الباطل، فكيف بمن نصر الباطل وخذل الحق، من أجل أمور لا يقع بها ضر ولا نفع إلا من الله، ثم يقول: لا شريك لك! لو تحققت التلبية في قلبه لما خذل الحق لغير الله.

هذا نداء المسلمين عن قريب، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. فمن كان ملبياً لله حقاً فليُلبّ نداء إخوانه المسلمين من المجاهدين والمستضعفين! ألم يسمع نداء الله أيضاً: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٤-٧٥].

وقوله: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. «الهلاك بالإمساك عن النفقة في الجهاد أو تركه لأنه يقوي العدو عليكم «وأحسنوا» بالنفقة وغيرها»[١٢].

ومن كان حامداً لله مقراً بنعمته فليشكر ذلك بصنيعه لإخوانه المسلمين ببذل ماله ونفسه ودعائه. ومن كان ناسباً الملك لله وحده فلا يجعلنّ في قلبه مخافةً ولا ذلاً ولا ضعفاً وخضوعاً لغير خالقه بالقدر الذي يملكه ويستطيعه.



إنه لا ينبغي لحاج مسلم طالب لثواب الله حقاً خاضعاً له مقراً له بالوحدانية ولعبده بالرسالة، أن يخذل إخوانه في فريضة حجه. والخذلان أشكال

١٢ تفسير الجلالين، طبعة دار الحديث، ص٤٠.

وأنواع. فلا ينسهم من الدعاء، ولا من الدعوة إلى نصرتهم بما يستطيع، ولا يضيع حقوقهم التي افترضها الله عليه من ماله، وأن يتذكرهم، ويحزن لحالهم، ويجعلهم من شغله وهمه الذي يهمه في كل سفر وحضر. إن المرء إذا لم يضمن هذا من نفسه فكيف يرجو من الله الذي افترضه عليه أن يتقبل منه نسكه الذي به تمام دينه، وفلاحه في الآخرة، قال رسول الله ﷺ: «الحَجُّ المَبْرُورُ ليسَ له جَزَاءٌ إلَّا الجَنَّةُ»[١٣].



إننا في هذا الموسم وقد أعلنا أن ربنا واحد وأن أمتنا واحدة، قد أتت إجابة للنداء الإلهي لا بد أن نعلن توحّد الهمّ واتجاه القلوب لقضية غزة وأهلنا في فلسطين. فلنجعل لهم نصيباً وافراً من دعائنا المستجاب إن شاء الله على موقف عرفة، وفي سائر أيام الحج المباركة. ولا ينبغي لأحد الاستهانة بقدر الدعاء ولا بقدرته على التغيير، فالدعاء سلاح المؤمن، والدعاء هو العبادة، والمسلم إذا أخلص الدعاء لربه فهو قادر على صنع المعجزات. فلنا أن ننصر إخواننا خير نصر بخير سلاح، وهو التوجه إلى رب الدعاء بالضراعة والطلب، فكيف إذا كان الدعاء هو خير دعاء، كما قال النبي ﷺ: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة»[١٤].

---

١٣ صحيح البخاري، رقم ١٧٧٣.

١٤ رواه الترمذي، رقم ٣٥٨٥.

إن استثمار هذه الفرصة العظيمة واغتنام ساعات الإجابة في هذا اليوم هو خير ما نعبّر به عن شعور الأخوّة وأننا جسد واحد همه واحد وألمه واحد. إن الإنسان إذا أهمّه أمر وغمّه فزع إلى ربه حتى يفرّجه عنه، أفلا نفزع إلى الله في خير يوم طلعت عليه الشمس إلى بارئنا سبحانه حتى يفرّج عن إخواننا! ليكن دعاؤنا جميعاً في هذه الأيام المباركة لله تعالى أن ينصر الإسلام والمسلمين ويحرر المسجد الأقصى من أيدي اليهود الغاصبين.



ثم لا بد للمسلم أن يجعل لإخوانه نصيباً من إنفاقه كما يجعله لأهله، وسيأتي في هذا الموسم وقت الأضحيات والعطايا، فلنحرص أن نوصل إليهم من الخير الذي نحبه لأهلنا أضعافاً مضاعفة، وليكن بين المسلمين من التكافل وكفاية بعضهم لبعض ما ينبئ عن حال المسلمين من الوحدة والتكافل والجسد الواحد والأمة الواحدة، لعل الله يكتب لها نصراً بأيدي أبنائها عما قريب، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

بادية شكاط
كاتبة جزائرية



لأننا ملزمون بالقيادة

مبادرة: «رحمة للعالمين» لأجل غزة

تحت شعار: «حرية، عدالة، ورحمة»

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء و المرسلين والمبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد، وبعد:

ديباجة: لأن أمد الباطل يطول بين الناس بقدر غيبتهم عن الحق، ولأن الفساد يسري في حياتهم بقدر طمس الضمائر الحية فيهم، ولأن نكبة العالم اليوم أنه لم تعد للمستضعفين فيه مرجعية قانونية ولا إنسانية يتكئون عليها في نكباتهم، أو حكومات ذات سيادة تكون الركن الشديد الذي يحول دون العواصف التي تهز أركان أمنهم وسلامهم، فتحميهم من همجية المفسدين، وعنهجية الطغاة المستبدين..

وبعد أن تبين للعالمين أن العالم اليوم يعيش ولادة جديدة لنظام عالمي جديد، حوّل الكرة الأرضية إلى حلبة صراع، الغلبة فيها للأقوياء مهما كانت الأدوات التي اعتمدوها ضد الضعفاء..

وجب التفكير خارج تلك الصناديق المغلقة التي ألفناها، واستبدال تلك المرجعيات بمرجعيات حقيقية تحمي الإنسان أينما كان، دون تمييز بين عرق أو دين، أو أي إثنيات مختلفة تصُف الناس في مصاف متقدمة وأخرى متخلفة.

فإننا نطلق هذه المبادرة الشعبية خارج جميع الدوائر الحكومية التي خابت فيها الآمال في حقن دماء أطفال ونساء وشيوخ أبرياء، فالمتأمل للساحة الإسلامية يدرك ضيق مساحات الفاعلية واتساع الانفعالية، وعظم الإذعان المنفصم عن الإيمان، وعظيم حجم التذمر مقابل التفكر، وكأن العالم الإسلامي لم ينشطر قطعاً جغرافية فحسب، بل انشطر كقطع من الليل في سماءاته الفكرية، فلم يذهب عليها عقله حسرات، فانطلق كغثاء قد مسه الوهاء في مختلف الانزلاقات وأسافل المنحدرات.



وانطلاقاً من كل هذه الأوضاع الموجعة وجب جمع الشتات الممزق تحت غطاء من الحرية، العدالة، والرحمة، دون شائبة إكراه أو اغتيال للقيم الإنسانية.

أهداف المبادرة:

أولاً: الإسهام في دعم المقاومة الفلسطينية وفي تحرير بيت المقدس.

ثانياً: جمع الكوادر والعقول من مختلف التخصصات في حزمة ضوء واحدة بحيث تتفاكر وتتشاور، ثم تجتمع على كلمة سواء في وضع الحلول المناسبة ذات الفاعلية.

لهذه الأزمة ولما يماثلها من أزمات قد تعصف بالأمة الإسلامية.

ثالثاً: رفع صوت الحق ودحر الظلم والطغيان بالقوة الناعمة.

رابعاً: جمع المبادرات الخيرية في مصب واحد، بحيث تشكل قوة ضاغطة ذات فاعلية.

خامساً: الخروج من الاعتمادية على الدوائر الحكومية، ومؤسسات بنيت على قواعد نظام عالمي نرى شمسه تأفل في رابعة النهار.

سادساً: تكذيب زيف ما ألصقوه بالإسلام من إرهاب، وتبيان عدالة هذا الدين ورحمته ورحمة نبيه ﷺ.

الوسائل:



أولاً: جمع توقيعات الموافقين على المبادرة.

ثانيًا: نشر المبادرة على مختلف المنابر الإعلامية المتاحة.

ثالثًا: جمع مختلف الطاقات البشرية التي داخل التكتلات والمنظمات غير الحكومية.

رابعًا: انتقاء المبادرات الفاعلة التي تحقق ما نرجوه من غايات، وجمعها في مبادرة واحدة: «مبادرة رحمة للعالمين».

خامسًا: وضع قنوات واقعية لتفعيل المبادرة.

أكاديمية أنصار النبي ﷺ
SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY



فقه الحج

هذه دورة عن فقه الحج قام بإلقائها فضيلة الدكتور ياسر النجار، تناول فيها أهمية الحج وإنه ركن من أركان الإسلام، وذكر الأدلة الشرعية، وأقوال العلماء بالتفصيل والتأصيل، ثم تكلم الشيخ عن تعريف الحج وأركانه وشروطه وعلى من يجب، وأنواع الحج وذكر ذلك في سبعة عشر محاضرة.

من أهداف الدورة:

- تغطية جزء من فقه العبادات مما لا يسع المسلم جهله.
- معرفة حكم الحج وهل يجب على الفور.
- معرفة خصال الاستطاعة المعتبرة شرعًا.
- معرفة الشروط الخاصة بالنساء في الحج.
- معرفة شروط صحة الحج.

يمكنك الاشتراك في الدورة من هنا

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

17 محاضرة — 10 ساعات



دورة علمية تتناول حدث الهجرة كاملاً من بداية إرهاصات الهجرة إلى وصول النبي ﷺ المدينة، وأسبابها وأحداثها ونتائجها، وتبين ما ثبت وما لم يثبت من الوقائع التاريخية حول هذا الحدث العظيم، وتتناول حدث الهجرة النبوية بالتفصيل، وما الذي حدث مع النبي وأصحابه، والهجرة الأولى إلى الحبشة، ذكر الوفد الذين قدموا من الأنصار لبيعة رسول الله، وسرد حدث الهجرة على طريقة القراءة وإسقاطها على واقع المسلمين، حتى يستفيد من سردها كل مسلم ومسلمة.

9 محاضرات — 3 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

أكاديمية أنصار النبي ﷺ
SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY

فِقهُ الصِّيام



مع فضيلة الشيخ الدكتور
جعفر الطلحاوي
أستاذ الشريعة الإسلامية بالأزهر الشريف

هي دورة علمية يقدمها فضيلة الشيخ الدكتور/ جعفر الطلحاوي في فقه الصيام وما يلحق به في عدة حلقات، تُقدم شرحاً تفصيلياً لفقه الصيام، وذكر القول الراجح من أقوال العلماء، كما تجيب على أكثر الأسئلة شيوعا وتكراراً في باب فقه الصيام، وذكر الراجح من أقوال العلماء في المسألة، دون الدخول في تفاصيل أقوال المذاهب، والمسائل الخلافية بينهم، وما يلحق به كـ (الاعتكاف - وزكاة - الفطر)، وهي دورة علمية بين يدي رمضان نصل بها إلى عموم المسلمين تعليماً وتفقها.

20 محاضرة | 8 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة





دورة شرح الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية ﷺ، التي ألفها العلامة ابن أبي العز الحنفي الدمشقي في مئة بيت، ذكر فيها سيرة وحال النبي ﷺ من مولده إلى وفاته، في أبيات على بحر الرجز ولذا سميت الأرجوزة، وقام بشرحها فضيلة الدكتور محمد سعيد بكر في كتاب تحت عنوان (القيم النبوية في الأرجوزة الميئية) في أربعة عشر لقاء في أكاديمية أنصار النبي ﷺ.

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

15 محاضرة | 5 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة



دورة قواعد الإدارة النبوية يقدمها فضيلة الدكتور محمد سعيد بكر، يتناول فيها كيف كانت إدارة النبي ﷺ في التخطيط والتنظيم، والمتابعة، والمراقبة، والتوجيه، وكيف تعامل مع إدارة الأزمات، وإسقاط ذلك على واقع الإدارة الحديثة وآلية تفعيل هذه القواعد في وقتنا الحاضر، وذلك في عشر محاضرات.

10 محاضرات

3 ساعات

أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY

30 محاضرة | 10 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

فقه الجهاد



دورة علمية تأصيلية في فقه الجهاد وأحكامه في الشريعة الإسلامية، قدمها فضيلة الدكتور عبد الحي يوسف، تناول فيها تعريف الجهاد وأنواعه ومراتبه ومراحل تشريعه، ثم استفاض الشيخ في التفصيل في مسائل الباب وبيان أحكامها وأدلتها وإنزال ذلك على واقع الجهاد في فلسطين.

شرح العقيدة المقدسية



دورة شرح العقيدة المقدسية لفضيلة الشيخ الدكتور الحسن الكتاني، شرح فيها كتاب العقيدة المقدسية لفضيلة الشيخ محمد يسري إبراهيم، وتوضح الدورة عقيدة المسلمين في بيت المقدس والمسجد الأقصى، ومكانة هذه المقدسات في الإسلام، وما يجب على المسلمين تجاهها، مع الرد على كافة الشبهات المثارة حول هذه المسألة.

19 محاضرة | 8 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

سلسلة

السيرة النبوية

استعراض لوقائع السيرة النبوية
التي نحتاجها في واقعنا المعاصر

- من نبعته إلى بعثته ﷺ
- من هجرته إلى وفاته ﷺ
- من بعثته إلى هجرته ﷺ
- الغزوات النبوية



الشيخ د. محمد الصغير

رئيس الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

سلسلة السيرة الفرنسية

السيرة النبوية

استعراض لسيرة النبي ﷺ من خلال دراسات ومؤلفات المستشرقين والمؤرخين الفرنسيين، تحقيقا لقوله تعالى:

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾

- السيرة النبوية الفرنسية



محمد إلهامي

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

﴿قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾



أئمة الهدى

من تراث العلماء والدعاة والشهداء الراحلين



لن يتمكن الصهاينة من إبادة الفلسطينيين

حوار مع د. عبد الوهاب المسيري
رحمه اللّه*

- الصهيونية صيغة إبادية لكنها تساقطت على صخرة الواقع الفلسطيني المقاوم .
- الإبادة في وجدان الصهاينة لكنها مستحيلة لأنهم يحاربون شعباً يتزايد كماً وكيفاً.
- الصهيونية هي إحياء للحروب الصليبية ومحاولة لتنفيذها من جديد في العصر الحديث.
- العدو الصهيوني يعُد الغرب الرأسمالي قاعدته الاستراتيجية خاصة أمريكا.

---

* د. عبد الوهاب المسيري، الصهيونية واليهودية، تحرير: سوزان حرفي، ط: دار الفكر/دمشق،٢٠٠٩م، ص٩٥-١٠٢.

س: الاستعمار الصهيوني جزء من التشكيل الاستعماري الغربي في شكله الاستيطاني، فما هي أهم الصفات المشتركة بين الاستعمار الغربي والاستعمار الصهيوني؟

د. عبد الوهاب المسيري: الاستعمار بجميع أشكاله ينطلق من رؤية عنصرية للآخر، فالمستعمِر في هذه الحالة الإنسان الغربي يرى نفسه باعتباره عنصراً متفوقاً عرقياً وحضارياً، ولهذا السبب له حقوق مطلقة، أما الآخر فهو أدنى حضارياً وعرقياً ولذا فإنه لا حقوق له، ومن حق الإنسان الأبيض صاحب الحقوق والقوة أن يوظفه لمصلحته فيحوله إلى مادة استعمالية نافعة.



ولكن إذا كان الآخر لا يمكن توظيفه فما هو الحل؟ هنا تظهر الإبادة حلاً. حينما ذهب الإنسان الأبيض إلى أمريكا الشمالية اكتشف أنه لا يمكنه توظيف الهنود الحمر فهم أصحاب الأرض وكانوا متماسكين اجتماعياً وحضارياً وقاوموه، فقام بإبادتهم. وفي الوقت ذاته قام باختطاف ملايين الأفارقة من بلادهم ونقلهم إلى الأمريكتين، وقام بتوظيفهم. وبالمناسبة كان الأفارقة الذين لا تنطبق عليهم المواصفات المطلوبة لتحويلهم إلى مادة استعمالية يُقذف بهم في البحر ليلتهمهم سمك القرش، وفي أثناء عملية النقل كان من يمرض ويصبح عديم الفائدة يلقى المصير نفسه!

الصيغة الصهيونية هي صيغة إبادية، فالعبارة التي وردت في وعد بلفور والتي تذهب إلى أن إنشاء الدولة الصهيونية يجب ألا يضير الجماعات غير اليهودية، قامت بتهميش العرب، الأغلبية الساحقة للسكان،

وحينما جاء الصهاينة وقالوا إن فلسطين هي أرض الميعاد وإن لهم حقوقاً مطلقة.. هذه أيضاً صيغة إبادية، وحينما يقولون إن أمن إسرائيل يمتد من النهر إلى البحر أو من النيل إلى الفرات أو من كذا إلى كذا، هذه كلها صيغ إبادية، لكنها صيغ إبادية تساقطت على صخرة الواقع الفلسطيني المقاوم.



س: في ضوء تعريفك للصهيونية ما الفرق بين اليهودية والصهيونية، وهل كل يهودي صهيوني، وكل صهيوني يهودي؟

د. عبد الوهاب المسيري: الشرع اليهودي عرف اليهودي بأنه كل من وُلد لأم يهودية أو تهوّد حسب الشريعة اليهودية، ولكن نتيجة للتطورات الكثيرة التي دخلت على العقيدة اليهودية، وعلى واقع أعضاء الجماعات اليهودية اهتز هذا التعريف وأصبح لا علاقة له بالواقع. ويمكن القول بأن كلمة «يهودي» في الوقت الحالي تشير إلى اليهودي بالمعنى الإثني الديني، كما تنص الشريعة اليهودية، ولكنها تشير أيضاً إلى اليهود بالمعنى الإثني المحض؛ أي اليهودي الملحد الذي لا يؤمن بالعقيدة اليهودية ولكنه يرى نفسه يهودياً لأنه ينتمي إلى ما يسمى «التراث اليهودي». ويلاحَظ أن اليهودية الإصلاحية عدلت من الشريعة اليهودية ليعد يهودياً من ولد لأم يهودية أو لأب يهودي.

ويجب أن نفرق بين «العبراني» و«اليهودي» . فالعبراني هو عضو في الأسباط العبرانية الاثني عشر التي كانت مستقرة في أرض كنعان فلسطين وهاجرت إلى مصر ثم خرجت منها وعادت إلى كنعان فلسطين. وقد تم هذا كله قبل أن تتبلور العقيدة اليهودية. ولذا فلفظ «يهودي» لا يمكن أن يطلق على العبرانيين، ولا يمكن استخدامه إلا في مرحلة متأخرة من تاريخ هذه الجماعة البشرية.

أما الصهيوني فهو مَن يؤمن بالعقيدة الصهيونية (إما في شكلها الاستيطاني وإما في صورتها التوطينية) ومن يدعو إليها. والعقيدة الصهيونية إيديولوجية سياسية علمانية، قد يؤمن بها يهودي ملحد، وقد يدافع عنها مفكر أمريكي لا ملة له ولا دين. وثمة كثير من الصهاينة المسيحيين الذين يعتنقون الرؤية الصهيونية ويدافعون عنها انطلاقاً من بعض المقولات المسيحية التي فُسرت تفسيراً حرفياً.



أما «الإسرائيلي» فهو المستوطن الصهيوني الذي يقيم في فلسطين المحتلة قبل عام ١٩٦٧ وبعده؛ فهو مواطن في الدولة الصهيونية، وغالبية الإسرائيليين تتبنى الرؤية الصهيونية أو ما تبقى منها، ومنهم من يرفض الرؤية الصهيونية ويرون ضرورة وضع نهاية لهذا المشروع وتحويل إسرائيل إلى دولة لمواطنيها وليس للشعب اليهودي.

من هذا كله يمكن القول إن ليس كل اليهود صهاينة وليس كل الصهاينة يهوداً، وأن ثمة فارقاً بين اليهودي والصهيوني من جهة والإسرائيلي من جهة أخرى.

س: الإبادة باعتبارها حلاً موجودة داخل الفكر الصهيوني، ماذا عن الممارسة، عن الواقع ذاته؟

د. عبد الوهاب المسيري: الإبادة بالفعل واردة على مستوى الوجدان والفكر ولكنها مستحيلة على مستوى الممارسة الفعلية؛ فالصهاينة يعرفون تماماً أن كل عمليات الإبادة التي قام بها الإنسان الأبيض ضد السكان الأصليين تمت من القرن السابع عشر حتى نهاية القرن التاسع عشر، وهي إبادة تمت ضد



شعوب ذات حضارة جميلة ولكنها بسيطة ليس لها أبعاد تاريخية واضحة، ولذا لم يمكنها أن تستوعب دروس التاريخ وهي شعوب لم تتمكن من استيعاب التقنية الحديثة، ولا سيما التقنية العسكرية، كما أن بعض هذه الشعوب كانت متصارعة ومتنافرة، وتعاون بعضهم مع الإنسان الأبيض كما أنهم لم يكونوا منظمين، ولم تكن عندهم نظم إدارية قادرة على التخطيط. هذه الصفات كلها غير متوافرة في حالة فلسطين؛ فالعدو الصهيوني يحارب شعباً يتزايد كماً وكيفاً.

وكما قال أرنون سوفير عالم الجغرافيا الإسرائيلي «إن الفلسطينيين سيهزموننا في غرف النوم ومدرجات الجامعات». والشعب المطلوب إبادته شعب له تراث تاريخي طويل فهو ليس من الشعوب البسيطة، وليس مجرد قبائل متناثرة، هو شعب تسانده بقية الجماهير العربية والإسلامية التي تعطيه المدد المعنوي والمادي، كما تتعاطف معه كل القوى المناهضة للاستعمار، وهو شعب قادر على تطوير نفسه وتطوير استخدام السلاح بما يتناسب مع الإمكانات واللحظة، ابتداءً من الحجر ثم صعوداً إلى قسام واحد وقسام اثنين وقسام ثلاثة... وهكذا. وتنظيماته السياسية تتطور وتتحسن، بالاضافة إلى أنه أدرك أهمية العلاقات الدولية، وكيف أن الخارج الدولي يؤثر في الداخل القومي. وهو يعرف أن الإعلام قوة ضخمة لا يمكن تجاهلها؛ فالفضائيات تبث ما يحدث في نقطة ما في العالم إلى بقية أجزاء العالم.

في الماضي كان من الممكن إبادة شعب دون أن يشعر أحد، وحين تعرف حقيقة الأمر بعد عشرات السنين فإن المسألة تصبح أكاديمية، أما الفضائيات فهي تجعل هذا الأمر صعباً في الوقت

الحاضر والإعلام، بما في ذلك الإعلام الغربي، فيه من الشرفاء من يرصد الإرهاب وعمليات الإبادة، ما حدث في سجن أبو غريب عرفه العالم بأسره في غضون شهرين، ومسألة الصورة الإعلامية أصبحت مسألة مهمة للغاية، ولا سيما في حالة إسرائيل التي تستمد قوتها وشرعيتها من صورة إعلامية قامت بترويجها، بمعنى أن كل العناصر التي جعلت الإنسان الأبيض في أمريكا الشمالية أو أستراليا ينجح في إبادة السكان الأصليين غير متوافرة في الحالة الصهيونية.

س: ومع هذا يتواتر ذكر إبادة الفلسطينيين؟

يجب هنا التمييز بين الصحافة الصفراء والفكر العسكري، الصحافة الصفراء يسهم فيها صحفيون يبغون التهييج ولا يقومون بتقديم خطط محددة وتوضيح طريقة تنفيذها والعواقب الناجمة عنها. أما الفكر العسكري فهو أمر مختلف، فهو يحسب المسألة بطريقة علمية، ولذا حين طرح المفكر الاستراتيجي الإسرائيلي فان كريفيلد حلاً لإشكالية الانتفاضة لم يقترح الإبادة حلاً، وإنما اقترح توجيه ضربة موجعة مؤلمة للفلسطينيين، على أن تتم هذه الضربة بالمدافع حتى يراها الفلسطينيون كلهم ثم ينسحب الجيش الإسرائيلي ويبني حائطاً لا يمكن للطيور أن تعبره. الإبادة ليست حلاً مطروحاً.

س: وماذا عن الترانسفير؟

د. عبد الوهاب المسيري: الترانسفير بمعنى نقل الفلسطينيين قسراً من الضفة إلى خارجها أمر مستحيل هو الآخر، فهذا الحل يتصور أن الفلسطينيين سيجلسون كشيء سلبي وتأتي الحافلات الإسرائيلية لنقلهم خارج الحدود وهذا تصور ساذج للغاية. أما الترانسفير بمعنى التضييق على الفلسطينيين اقتصادياً ومعنوياً وجعل حياتهم في فلسطين أمراً في غاية المشقة، فهذا قائم على قدم وساق، وعلى الأمة العربية أن تتصدى لهذه المحاولة بشتى السبل.

س: تؤكد في الكثير من كتاباتك أن المشروع الصهيوني يشبه في كثير من الوجوه المشروع الصليبي. فما هي نقاط التشابه بين الحالتين؟



د. عبد الوهاب المسيري: ابتداء أفضّل دائماً استخدام مصطلح «ممالك الفرنجة» وهو المصطلح الذي استخدمه المؤرخون العرب القدامى. ولكننا بسبب تبعيتنا الإدراكية، آثرنا ترجمة المصطلح عن الإنجليزية والفرنسية Crusades وأصبحنا نقول الممالك الصليبية، مع أنها أبعد ما تكون عن المسيحية، فالمسيحية بالنسبة إليها، تماماً كاليهودية بالنسبة إلى الصهيونية، هي مجرد اعتذاريات تبريرية، ولذا أفضّل أن أستخدم عبارة ممالك الفرنجة أو «ممالك الفرنجة التي يقال لها صليبية». إلا إذا تطلب السياق غير ذلك، وإذا وردت العبارة في اقتباس ما، وهو في هذه الحالة ينسب إلى صاحبه.

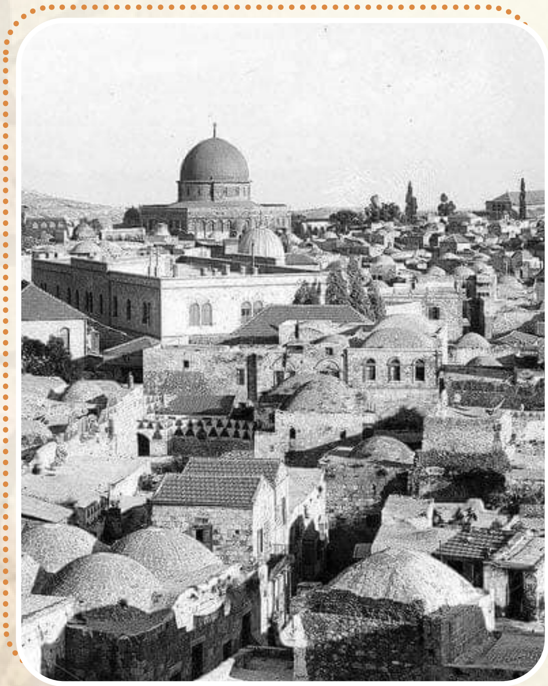
س: فلنعد إذن للسؤال الأصلي، ما هي نقاط التشابه بين ممالك الفرنجة والدولة الصهيونية؟

د. عبد الوهاب المسيري: لا يملك الدارس للمشروعين الفرنجي والصهيوني إلا أن يلاحظ عمق التشابه بينهما، وهو أمر متوقع لأن كليهما جزء من المواجهة التي تتفاوت في حدتها بين التشكيلين الحضاريين السائدين في الغرب والشرق العربي؛ فحملات الفرنجة التي يقال لها «الحملات الصليبية» هي نقطة انطلاق أوروبا نحو التوسع والإصرار على بسط سيطرتها على الخارج، وعلى حد قول أحد مؤرخي حملات الفرنجة الغربيين إن حملات الفرنجة احتوت بذور كل أشكال الإمبريالية الأوروبية التي حكمت فيما بعد حياة جميع شعوب العالم.

ولعله لهذا السبب أصبحت حملات الفرنجة صورة مجازية أساسية في الخطاب الاستعماري الغربي، وأصبحت ديباجاتها هي نفسها ديباجات المشروع الاستعماري الغربي. وقد رأى كثير من المدافعين عن المشروع الصهيوني، من اليهود وغير اليهود، أنه استمرار وإحياء للمشروع الفرنجي (أي الصليبي) ومحاولة وضعه موضع التنفيذ من جديد في العصر الحديث. فلويد جورج، رئيس الوزارة البريطانية التي أصدرت وعد بلفور، صرح أن الجنرال اللنبي الذي قاد القوات الإنجليزية التي احتلت فلسطين شن وربح آخر الحملات الصليبية وأعظمها انتصاراً.

ويمكننا القول إن المشروع الصهيوني هو نفسه المشروع الفرنجي بعد أن تمت علمنته، وبعد أن تم إحلال المادة البشرية اليهودية بعد تحديثها وتطبيعها وتغريبها وعلمنتها، محل المادة البشرية الغربية المسيحية.

ولنحاول الآن أن نبين بعض نقاط التشابه الأساسية بين المشروعين. يبدو أن فلسطين مستهدفة دائماً من صناع الإمبراطوريات؛ إذ إنها تُعد مفتاحاً أساسياً لآسيا وإفريقية، وتعد معبراً على البحرين الأحمر والأبيض، وتقف على مشارف الطرق البرية التي تؤدي إلى العراق وإيران، وهي أيضاً معبر أساسي لشطري العالم الإسلامي. ولذا نجد أن المشروعين الفرنجي والصهيوني قد جعلا من فلسطين مسرحاً لأطماعهما ونقطة ارتكاز لانطلاقهما باعتبارهما مشروعين استعماريين.



ولكن كلاً من المشروعين لم يكونا مشروعين استعماريين وحسب وإنما كانا مشروعين من النوع الاستيطاني الإحلالي؛ فالمشروع الفرنجي كان يهدف

إلى تكوين جيوب بشرية غربية وممالك فرنجية داخل العالم الإسلامي، ولكنها تدين بالولاء الكامل للعالم الغربي، ولذا جاءت جيوش الفرنجة ومعها كتلة بشرية من الغرب المسيحي ليحل محل العنصر البشري العربي، والمشروع الغربي في هذا لا يختلف عن المشروع الصهيوني إلا في بعض التفاصيل.

فغزو فلسطين تم أولاً على يد القوات البريطانية، ثم حضر المستوطنون الصهاينة بعد ذلك بوصفهم عنصراً يقوم بالزراعة والقتال. وقد كانت المؤسسات الاقتصادية للفرنجة، مثلها مثل قرينتها الإسرائيلية تتسم بطابع عسكري، كما أن التنظيم الاقتصادي التعاوني لم يكن مجهولاً لدى الفرنجة. ويمكن القول بأن دويلات الفرنجة مثلها مثل الدولة الصهيونية، كانت ترسانات عسكرية في حالة تأهب دائم للدفاع عن النفس وللتوسع كلما سنحت لها الفرصة.



ومن المعروف أن الغزاة الاستيطانيين عادة ما يسلكون طريق البحر ثم يستقرون على الساحل أو يحتفظون بركيزتهم الأساسية فيه كما حدث في جنوب إفريقيا والجزائر، حتى لا يفقدوا صلتهم بالوطن الأم، فهم يعتمدون عليه اعتماداً يكاد يكون كاملاً. وهذا يعود إلى طبيعتهم الاستيطانية الإحلالية، فقد طردوا السكان الأصليين وحلوا محلهم ومن ثم خلقوا مشكلة لاجئين، تحولوا إلى وقود يجند سكان المنطقة ضدهم. لهذا يضطر المستوطنون دفاعاً عن أنفسهم وضماناً لبقائهم واستمرارهم أن يستمدوا مقومات بقائهم واستمرارهم من دعم عسكري ومالي وهوية ثقافية ومادة بشرية من وطنهم الأصلي. وهذه سمة أساسية في الكيانين الفرنجي والصهيوني، مع تنويعات فرعية تنصرف إلى التفاصيل لا الجوهر؛ فمثلاً اعتمدت ممالك

الفرنجة على أوروبا كلها مصدراً للدعم، ولكن اعتمادها كان على فرنسا بالدرجة الأولى، وكذلك، فإن الدولة الصهيونية التي عدت أوروبا قاعدتها الاستراتيجية واعتمدت على معظم دول العالم الغربي الرأسمالي مع التركيز على بلد واحد هو إنجلترا ثم فرنسا لمدة قصيرة، وأخيراً الولايات المتحدة منذ منتصف الستينيات.

والغزوتان الفرنجية والصهيونية كانتا تهدفان إلى حل بعض مشاكل المجتمع الغربي وتخفيف حدة تناقضاته؛ فالمجتمع الوسيط الغربي كان يخوض عملية بعث اقتصادي فتحت شهيته للاستيلاء على طرق التجارة المتجهة إلى الشرق، وهذا يشبه من بعض الوجوه، وإن كان بدرجة أقل، انفتاح شهية رجل أوروبا الشره في القرن التاسع عشر الميلادي الذي لم يهدأ له بال إلا بعد أن وقع العالم كله في قبضته.

وقد استخدمت أوروبا كلا المشروعين الفرنجي والصهيوني في التخلص مما أطلق عليه في القرن التاسع عشر الميلادي الفائض البشري؛ أي العناصر التي لم تستطع أن تحقق الحراك الاجتماعي داخل مجتمعاتها ولذا كانت تهدد السلام الاجتماعي، ولم يكن هناك مفر من تصديرها للشرق حتى يحقق الغرب سلاماً اجتماعياً داخلياً. والمشروع الفرنجي بدوره كان يهدف أيضاً إلى تخليص أوروبا من فائضها البشري الذي كان يهدد سلامها الاجتماعي حسب تصور البعض على الأقل.

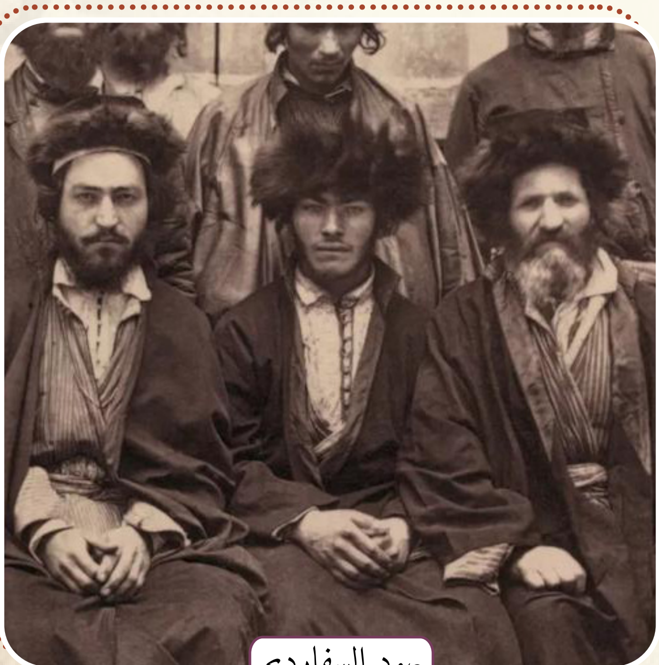


وكلا المشروعين يستخدم الديباجات الدينية الإنجيلية والتوراتية لتحقيق أهداف مادية إمبريالية علمانية؛ فالمشروع الصليبي جهز الحملات العسكرية باسم أمير السلام (المسيح) وقام باحتلال الأرض وذبح الآلاف من سكانها. والمشروع الصهيوني هو الآخر جرد حملاته العسكرية باسم الوعد الإلهي

وقداسة الشعب اليهودي فقام بإهدار قداسة وإنسانية الفلسطينيين وطردهم من أرضهم. وكلا المشروعين، على ادعاءات المستوطنين الدينية الصاخبة، لا يمكن أن يقبلوا محاكمتهم من منظور المعايير الأخلاقية لعقائدهما الدينية.

ويبدو أن أزمة التجمع الفرنجي لا تختلف عن أزمة التجمع الصهيوني، فيُلاحظ أن الكيان الفرنجي كان يعاني من أزمة سكانية، وذلك نظراً لانخفاض عدد سكان أوروبا عام ١٣٠٠ بعد انتهاء فترة تزايد السكان، الأمر الذي أدى إلى عدم مجيء مزيد من المادة البشرية، كما كان الكيان الفرنجي يعاني من تناقص نسبة المواليد. وهذا لا يختلف كثيراً عن أزمة المستوطن الصهيوني السكانية، بعد أن جفت ينابيع الهجرة اليهودية من شرق أوروبا؛ لأن يهود غرب أوروبا والولايات المتحدة لا يهاجرون إلى الدولة الصهيونية.

ويلاحظ أن كلاً من التجمع الفرنجي والصهيوني كان يتسم بتقسيم ثلاثي؛ ففي القمة كان يأتي الفرنجة في الممالك الصليبية، يقابلهم الإشكناز في التجمع الصهيوني، وفي الوسط كان يوجد بعض المسيحيين الشرقيين الذين تعاونوا مع الفرنجة، يقابلهم السفارد في التجمع الصهيوني، وفي القاع كان يوجد العرب المسلمون في كلا المجتمعين.



يهود السفارديم

ومن المعروف أن الجيوب الاستيطانية التي لا تبيد السكان الأصليين مآلها إلى الزوال؛ لأن السكان الأصليين يستمرون في مقاومتهم حتى ينهكوا عدوهم تماماً. وهذا ما حدث بالنسبة إلى ممالك الفرنجة فقد تم القضاء عليها، لأسباب عديدة، من أهمها أن الشعوب الإسلامية لم ترض بوجود الفرنجة، فاستمرت عملية المقاومة زهاء قرنين حتى انتهى المشروع الفرنجي ولم يبق منه سوى بعض الخرائب الصليبية.



وبالنسبة إلى الصهيونية فما زال العرب يقاومون والحمد لله، وأعتقد أن مدريد وأوسلو وقبول الكيان الصهيوني للسلطة الفلسطينية هو تعبير عن الإرهاق الصهيوني؛ فقبول إسرائيل بالسلطة الفلسطينية هو بدايات الهزيمة، وكما يقول بعض المتطرفين الصهاينة إنه لأول مرة تم تعريف حدود الدولة الصهيونية، وفي هذا اعتراف ضمني بالوجود الفلسطيني. ولأول مرة توجد داخل الدولة الصهيونية كتلة بشرية ضخمة تطالب بحق تقرير المصير، كما توجد مناطق فلسطينية محررة، بل إن مجرد دخول مصطلح «فلسطيني» في المعجم الصهيوني هو انتصار ضخم؛ لأنه يهز الخريطة الإدراكية الصهيونية.



المؤرخ أورخان محمد علي

رحمه الله*

سياسة السلطان عبد الحميد

تجاه الحركة الصهيونية

طُرد اليهود من كثير من البلدان الأوروبية التي سكنوا فيها دون أن يتعايشوا ويتآلفوا وينسجموا مع شعوبها، بل تقوقعوا على أنفسهم وعاشوا في أحياء منعزلة مقفلة عليهم أطلق عليها اسم «الجيتو» (Ghetto System)؛ فكرهتهم هذه الشعوب ونبذتهم وأساءت معاملتهم وحرمت عليهم في معظم الأحيان تولي المناصب العامة، بل أكرهتهم أحياناً على التنصر، وخُيروا في أحيان أخرى بين التنصر والطرد من البلاد.

---

* أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني: حياته وأحداث عهده، ط٤ (القاهرة، دار النيل، ٢٠٠٨م)، ص٢٠٣ وما بعدها.

فقد طُردوا من إنجلترا عام ١٢٩٠م، ومن فرنسا عام ١٣٠٦م، ومن إسبانيا عام ١٤٩٣م، ومن روسيا عام ١٨٨١م بعد اغتيال القيصر، إذ اتُّهموا بالاشتراك في عملية الاغتيال. وفي سنة ١٤٨٣م خيّرهم لويس الثاني عشر ملك فرنسا بين الطرد وبين التنصر، فقام يهود فرنسا باستشارة حاخامي «إسطنبول» في هذه الكارثة التي حلت بهم، وتلقوا منهم الجواب التالي:



«إن ملك فرنسا يطلب أن تعتنقوا الديانة المسيحية، فلبّوا طلبه، إذ ليس باقتداركم مخالفته، ولكن احفظوا على الدوام شريعة موسى في قلوبكم. وتقولون: إنهم يقصدون الاستيلاء على أموالكم، فاجعلوا أبناء كم تجاراً، فبواسطة التجارة تسترجعون مالكم وتضيفون عليه مالهم. تؤكدون لنا بأنهم يهدمون مجامعكم وكنائسكم، فابذلوا الجهد لكي يصير أولادكم كهنة أو إكليريكيين، وهكذا يتسنى لكم أن تهدموا كنائسهم»[1].

وعلى عادة المسلمين في التسامح الديني، فإن العثمانيين لم يمانعوا في التجاء اليهود إلى بلادهم هرباً من الاضطهادات. ومع أنهم لم يجدوا أية مضايقات في الدولة العثمانية إلا أنهم أصروا على تشكيل أحيائهم الخاصة «الجيتو» دون أن يكون هناك أي مبرر سوى رغبتهم في العيش المنعزل أو تعودهم على ذلك لسنين طويلة. وقد انصرفوا إلى مزاولة التجارة والصيرفة والصياغة، ووصل بعضهم إلى مناصب رفيعة في الدولة العثمانية فكان منهم وزراء ونواب.

١ موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، حسان الحلاق، ص ٢٩-٣٠.

ولا نريد هنا أن نستعرض بالتفصيل أحوال اليهود في أنحاء الإمبراطورية العثمانية فهذا خارج عن نطاق بحثنا، ولكننا سنشير باختصار إلى موقف السلطان عبد الحميد تجاه أطماع اليهود في أرض فلسطين، وذلك بعد ظهور الصهيونية كحركة سياسية ودينية وفكرية وتبلورها وذيوع أخبارها بعد المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد سنة ١٨٩٧م في مدينة «بال» بسويسرة، والتي نشطت في الدعوة إلى جمع اليهود وتهجيرهم إلى فلسطين لتثبيت موضع قدم لهم هناك تمهيداً لتحقيق أملهم في السيطرة الكاملة على أرض فلسطين. لما كانت فلسطين تقع آنذاك ضمن أملاك الدولة العثمانية، فقد اتجهت أنظار ومحاولات زعماء اليهود إلى السلطان عبد الحميد لعله يوافق على مقترح من مقترحاتهم العديدة لتشكيل نواة صغيرة في فلسطين أو فيما يجاورها، كخطوة أولى تتبعها خطوات أخرى للوصول إلى الهدف النهائي.


السلطان عبد الحميد

ولم يكن هيرتزل أول من بذل مساعيه لدى السلطان في هذا الموضوع، وإن كان هو الشخصية البارزة والنشطة في هذه المحاولات، فقد أرسلت جمعية «أحباء صهيون[٢] أحد أعضائها وهو لورنس أوليفانت (Laurence Oliphant - صاحب كتاب «أرض جلعاد»[٣] The Land of Giolead وكتاب مع نزهات في جبل لبنان)، إلى السلطان تعرض عليه جهود اليهود في تعمير تركيا وتجديد شبابها مقابل السماح لهم بالاستيطان في أرض شرقي الأردن وسوريا الجنوبية. فرُفض الطلب من قبل السلطان الذي

---

٢ أحباء صهيون مؤسسة يهودية أنشئت في روسيا عام ١٨٨٢، عملت على إنشاء المستعمرات في فلسطين لتهجير اليهود إليها.

٣ أرض جلعاد تقع في شرقي الأردن.

كان يحدس المرامي الحقيقية لليهود قائلاً: «إن اليهود يستطيعون العيش بسلام في أية جهة من المملكة إلا في فلسطين، لأن الدولة العثمانية ترحب بالمضطهدين، ولكنها ترفض مساعدة اليهود في إقامة مملكة لهم في فلسطين أساسها الدين»[٤].

كما تقدّم المصرفي اليهودي المعروف السير صموئيل مونتاجو -أصبح لورداً فيما بعد- وكان عضواً في البرلمان البريطاني عن حزب الأحرار ورئيساً لجمعية «أحباء صهيون» في بريطانيا إلى السلطان باقتراح مشابه سنة ١٨٩٣ فرفض طلبه كذلك[٥].

ولكن هرتزل كان دون شك أبرز شخصية آنذاك في مجال السعي لإقامة الدولة الصهيونية وأنشط الساعين إليها، فقد كتب كتاباً بعنوان «الدولة اليهودية» عام ١٨٩٥م ونشره عام ١٨٩٦م، وقد بذل جهوداً كبيرة لاستمالة السلطان إليه، وأرسل له رسائل عديدة ومشاريع مختلفة حافلة بالعروض المغرية مقابل تحقيق أمله في تثبيت قدم اليهود في جزء من فلسطين، وزار إسطنبول في الفترة من سنة ١٨٩٦ إلى سنة ١٩٠٢م خمس مرات، استطاع أن يقابل السلطان في أثنائها مرتين. كانت زيارته الأولى في ١٨٩٦، والثانية في ١٨٩٨، والثالثة في ١٩٠١، والرابعة والخامسة في ١٩٠٢م.


هرتزل

٤ موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، حسان الحلاق، ص٥٨.

٥ يوميات هرتزل، الملحق ص٥٤٢.

بالنسبة لزيارته الأولى يذكر هرتزل في ٣-٥-١٨٩٦م في يومياته ما يأتي: «زارني ديونس روزنفيلد رئيس تحرير «البريد العثماني» في القسطنطينية، وقد عرض عليّ خدماته بالتوسط. يقول إنه على علاقة طيبة مع عزت بك الرجل المقرب من السلطان. أخبرته بكلمات قليلة عن القضية وقلت له: إننا سندفع لتركيا كثيراً وسنقدم عطايا كبيرة لمن يتوسط لنا إن نحن حصلنا على فلسطين، ونحن لا نرضى بأقل من التنازل عنها كبلد مستقل، ومقابل هذا نحن مستدعون أن نسوي أوضاع تركيا المالية[٦].

ثم يخطر له، أو يقترح عليه صديقه «نيولنسكي» أن يلوح بإغراء آخر للسلطان وهو مساعدته في المسألة الأرمنية التي كان الرأي العام الأوروبي ثائراً على السلطان بسببها، لذا نراه يسجل في ٧-٥-١٨٩٦ من يومياته: «ولكن هناك طريقة أخرى يمكن أن تؤثر على السلطان بها، وهي مساندته في قضية الأرمن»[٧].

أما رفيقه «نيولنسكي» الذي كان صديقاً للسلطان، فقد رتب لقاء مع السلطان نقل فيه مقترحات هرتزل فكان جواب السلطان كما سجل هرتزل في يومياته ما يأتي على لسان صديقه: «قال السلطان لي: إذا كان هرتزل صديقك بقدر ما أنت صديقي فانصحه أن لا يسير أبداً في هذا الأمر، لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحدة من البلاد؛ لأنها ليست لي بل لشعبي، لقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بإراقة دمائهم، وقد غذوها فيما بعد بدمائهم، وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا، لقد حاربت كتيبتان من جيشنا في سورية وفي فلسطين، وقتل رجالنا الواحد بعد الآخر في «بلفنة» لأن أحداً منهم لم يرض بالاستسلام، وفضّلوا أن يموتوا في ساحة القتال. الإمبراطورية التركية ليست لي وإنما للشعب التركي، لا أستطيع أبداً أن أعطي جزءاً منها. ليحتفظ اليهود ببلادهم، فإذا قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل، إنما لن تُقسم إلا على جثثنا، ولن أقبل بتشريحنا لأي غرض كان»[٨].

---

٦ يوميات هرتزل الملحق، ص٢٨.
٧ يوميات هرتزل الملحق ص٢٩.
٨ يوميات هرتزل، ص٥٣. ونحن نشك أن السلطان استعمل تعبير «الإمبراطورية التركية»، ولعل هذا سهو في النقل من نيولنسكي، ومعروف أن كلمة «تركي» كانت تعني المسلم آنذاك في العالم الغربي.



ومع أن هذا الجواب كان شديداً على هرتزل إلا أنه لم يكن من النوع الذي يفقد أمله بسرعة، إذ بدأ بالبحث عن إغراء جديد يستطيع أن يلوح به ويستميل قلب السلطان، فأضاف اقتراح إعادة جزيرة قبرص من إنجلترا إلى الدولة العثمانية إضافة إلى عرض خدماته في القضية الأرمنية مع مبلغ إضافي من المال ينقذ الموقف المالي الحرج للدولة العثمانية. فنراه يسجل في يومياته: «كانت نصيحة عزت بك[٩] أن يشتري اليهود أي مقاطعة أخرى يقدمونها إلى تركيا كبديل لفلسطين مع مزيد من المال، ففكرت رأساً بقبرص»[١٠].

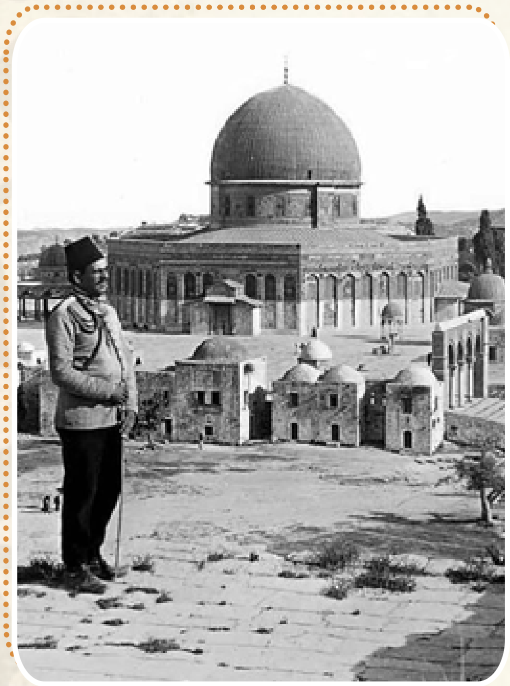
لم تنفع هذه المحاولات في زحزحة السلطان عن موقفه، فترك هرتزل إسطنبول صفر اليدين ولكن على أمل بلقاء السلطان، ذلك لأن السلطان وهو السياسي المحنك لم يشأ أن يقفل الباب في وجهه نهائياً وذلك لسببين رئيسين:

١ السبب الأول: هو نية السلطان في استخدام هرتزل -وكل الأوساط والمؤسسات التي تقف وراءه- في خدمة سياسته وتحقيق أغراضه، والتلويح بإمكانية الاستقراض المالي منهم للدول التي كان يزمع الاستقراض منها فعلاً؛ لكي يقوي مركزه في هذه المباحثات المالية.

٩ عزت بك كان من رجال القصر المقربين إلى السلطان.

١٠ يوميات هرتزل، الملحق، ص٣٥.

٢ **والسبب الثاني:** هو التأجيل قدر الإمكان من فتح جبهة جديدة ضده في تلك الأوقات الحرجة التي كانت فيها المشكلة الأرمنية في أوجها، لأنه كان على وعي تام بالنفوذ اليهودي الكبير في عالم الصحافة والمال والسياسة في أوروبا. وكان إغلاق الباب في وجوههم بشكل نهائي لا يعني إلا هبوب عاصفة شديدة من المتاعب والمشاكل والمضايقات ضد الدولة العثمانية الغارقة أصلاً في كثير من المشاكل.



أي إن موقف السلطان كان دقيقاً وحرجاً للغاية، فهو من جهة لا يستطيع التخلي عن أي شبر في فلسطين، وعليه من جهة أخرى أن يتجنب إثارة عداوة المؤسسات اليهودية الواسعة النفوذ في أوروبا.. فما الحل إذن؟ الحل هو أن يمتنع عن إعطاء أية وعود محددة لهم، ولكن بشكل يبقيهم على أمل غامض يدفعهم إلى تكرار المحاولة، وعدم قطع هذا الخيط الرفيع من الأمل، أي كسب أكبر قدر ممكن من الوقت، لذا نراه يمنح هرتزل وساماً لجبر خاطره بعد رد طلبه ذلك الرد الحازم.

ولكن الطرف الآخر في هذه اللعبة السياسية أي اليهود لم يكونوا مغفلين؛ إذ حدس بعضهم لعبة السلطان، لذا نرى أن السير صموئيل مونتاجو -السابق الذكر- يحذر هرتزل من مناورات السلطان: «إن أول وأهم ما يشك فيه مونتاجو هو السلطان، إذا تم دفع جزية القرض له فإنه سيرمي بالمهاجرين اليهود جانباً»[11].

ولكن الأمل الضئيل بقي قائماً لدى هرتزل مما دفعه إلى مزيد من المحاولات مع السلطان وهذا ما كان السلطان يريد الوصول إليه. اتجه هرتزل إلى إسطنبول في زيارته الثانية في ١٤-١٠-١٨٩٨ بمناسبة زيارة

---

١١ يوميات هرتزل الملحق ص ٣٩.

قيصر ألمانيا للدولة العثمانية، وذلك على أمل التأثير على القيصر للتوسط لدى السلطان لصالح القضية الصهيونية، ولكنه لم ينجح في هذا المسعى رغم بذله جهوداً كبيرة إذ لم يعده القيصر بأي شيء، فرجع خائباً.


فامبيري

لم يفقد هرتزل الأمل، وواصل جهوده واتصالاته لعله يفوز بمقابلة السلطان، وقد نجح في ذلك سنة ١٩٠١ بوساطة صديقه المستشرق الهنجاري «فامبيري» -الذي كان صديقاً شخصياً للسلطان- فشد الرحال على عجل إلى إسطنبول وكانت تلك زيارته الثالثة لها، وقد نبه صديقه «فامبيري» إلى أن السلطان سيستقبله ولكن ليس كصهيوني، بل كرئيس لليهود وصحافي نافذ[١٢]، وطلب إليه أن يكون حذراً جداً في المقابلة، لأن السلطان يكره الصهيونية: «إياك أن تحدثه عن الصهيونية، إنها فانوس سحري، القدس مقدسة لهؤلاء الناس مثل مكة»[١٣].

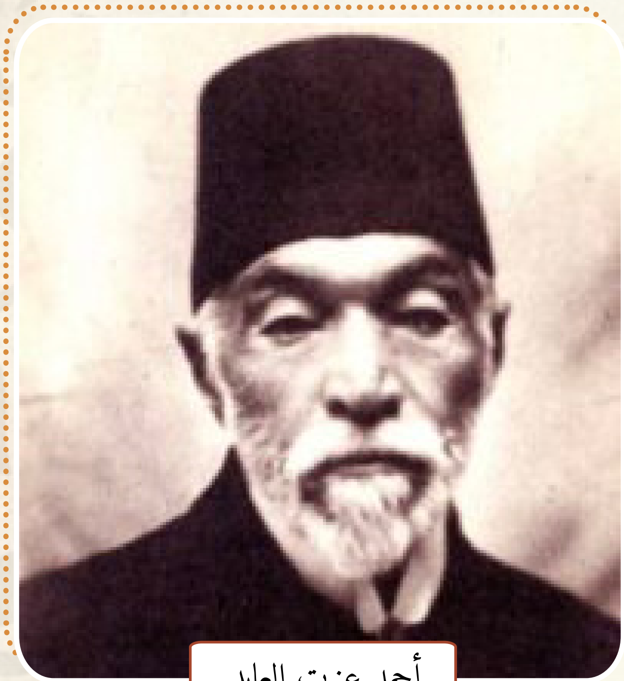
تمت المقابلة واستغرقت ساعتين تقريباً، حرص السلطان خلالها أن يكون مستمعاً هادئاً معظم الوقت، تاركاً هرتزل يسترسل في تقديم مشاريعه وحلوله لمشاكل الدولة العثمانية المالية لاسيما في موضوع الدين العام، ثم أشار السلطان إلى الثروات غير المستغلة في بلاده، وطلب منه تقديم دراسة وافية عن كيفية استغلال هذه الثروات وإيجاد موارد جديدة للدولة، ولم يتطرق هرتزل إلى مشاريعه في فلسطين وإلى طلباته ومقترحاته في هذا الخصوص، وإنما طلب وهو على وشك الانصراف تصريح عطف لصالح اليهود، وهو ما لم يعد به السلطان ولم يفعله، فهو مع تسامحه مع اليهود شأنه في ذلك مع

---

١٢ يوميات هرتزل، ص١٧٢.

١٣ يوميات هرتزل، ص١٧٢.

أصحاب الديانات الأخرى إلا أنه كان يكره الصهيونيين ويراهم خطراً على مستقبل بلاده، لذا نراه يقول لهرتزل في بداية اللقاء: «إنه حافظ دائماً على إبقاء إمبراطوريته مفتوحة أمام اللاجئين اليهود كملجأ لهم حين اضطُّهدوا في بعض البلدان الأوروبية»[١٤]. وانتهت المقابلة دون أن يحصل هرتزل على شيء.

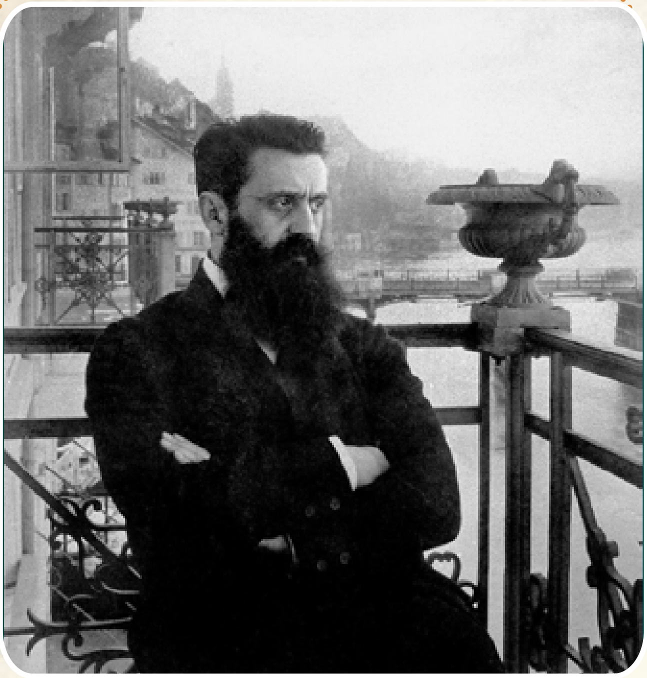

أحمد عزت العابد

في زيارته الرابعة التي تمت في ١٥-٥-١٩٠٢ لم يستطع مقابلة السلطان، بل قابل بعض موظفي القصر أمثال إبراهيم بك وعزت بك، اللذين حاسباه على بعض تصريحاته في أوروبا وعلى عدم تحقيقه أياً من وعوده ومشاريعه السابقة، وكررا له موقف السلطان من هجرة اليهود، وقال له عزت بك: «إن جلالة السلطان مستعد أن يفتح إمبراطوريته أمام اللاجئين اليهود من جميع الدول بشرط أن يتعهدوا بأن يصبحوا رعايا عثمانيين، بكل ما يفرضه ذلك عليهم من واجبات من حيث القانون والخدمة العسكرية... عليهم قبل أن يدخلوا بلادنا أن يتخلوا عن جنسياتهم السابقة، ويصبحوا رعايا عثمانيين، بهذه الطريقة يستطيعون سكن أية مقاطعة في البلاد عدا فلسطين بادئ الأمر... مقابل ذلك يريدكم جلالة السلطان أن تؤلفوا وكالة لتصفية الدين العام وللقيام باستثمار مناجم معادن الإمبراطورية كلها»[١٥].

ومع إن هرتزل حاول حذف شرط إستثناء سكنى اليهود في فلسطين في مذكرة قدمها للسلطان، إلا أن الجواب جاء بالرفض، وبقي الاستثناء قائماً، مما كان يعني فشله مرة أخرى.

---

١٤ يوميات هرتزل، الملحق ص١٧٣-١٧٧.
١٥ يوميات هرتزل، ص١٩٦-١٩٧.



ومع أنه ترك إسطنبول غاضباً محنقاً، إلا أنه واصل مراسلاته لحاشية السلطان ورجال قصره، مكرراً طلباته السابقة شارحاً منافعها للدولة العثمانية مضيفاً إليها بعض الإغراءات المالية التي لم تؤد إلى أية نتيجة لدى السلطان؛ بل أعلن غضبه عليه وقطع اتصاله به[١٦].

ولكن هرتزل الذي لم ييأس من جراء إعراض السلطان عنه، بدأ يفكر في عرض آخر، فقد جرب عرض المال، وعرض المساعدة في القضية الأرمنية، وعرض إرجاع قبرص فلم تفلح هذه العروض.. إذن أليس من جديد؟ خطرت له فكرة جديدة شرحها للسلطان في رسالة كتبها له في ٣-٥-١٩٠٢:

«لي الشرف أن أقدم لحكمة جلالتكم المتناهية الاقتراح التالي: إنني أدرك الصعوبة التي تواجه حكومتكم بسبب ذهاب شباب تركيا لتلقي العلم في الخارج، وما يتعرض له هؤلاء الشبان من ضياع، خاصة في تأثرهم بالأفكار الثورية مما يجعل الحكومة أمام أحد الأمرين: إما أن تحرم هؤلاء من التدريب العلمي أو أن تعرضهم إلى مخاطر الغوايات السياسية، على أن هناك حلاً للمشكلة، وأنا أسمح لنفسي بكل تواضع أن أقدم لحكمة جلالتكم هذا الحل: إننا معشر اليهود نلعب دوراً هاماً في الحياة الجامعية في جميع أنحاء العالم، والأساتذة اليهود يملأون جامعات البلدان، كما أن هناك عدداً كبيراً من العلماء والمتخصصين في جميع الحقول التعليمية، لهذا فإننا نستطيع أن نقيم جامعة يهودية في إمبراطوريتكم ولتكن في القدس[١٧] مثلاً، عندها لن يضطر الطلاب

---

١٦ يوميات هرتزل، ص١٩٩-٢١٣.

١٧ أقام اليهود فعلاً هذه الجامعة سنة ١٩٢٥.

العثمانيون إلى الذهاب إلى الخارج، بل يبقون في بلادهم ويتلقون في بلادهم فيها أفضل ما تقدمه أحسن الجامعات ومدارس التدريب المهني ومدارس الزراعة، ولن تقدم مثل هذه المؤسسة إلا ما هو الأفضل، وعندها تقوم بدورها في خدمة العلم والطلاب والبلاد»[١٨].

إذن فقد كان هرتزل ينوي الضرب على وتر قيل إنه حساس جداً لدى السلطان، الذي أشيع عنه أنه ذو وسوسة دائمة وخوف مستمر على حياته وعلى حكمه، ولكن السلطان خيب ظنه في هذا أيضاً، إذ أرسل إليه جواباً بوساطة عزت بك قال فيه: «إن الإمبراطورية العثمانية مشغولة في الوقت الحاضر بإصلاح الحالة المالية للخزينة». وهكذا رجع هرتزل خائباً مرة أخرى.

كانت الزيارة الأخيرة لهرتزل لإسطنبول في ٢٥-٧-١٩٠٢ بدعوة من السلطان الذي قرر أن يلعب بورقة هرتزل؛ لأنه كان على وشك الدخول في مفاوضات مالية مع فرنسا.



في هذه الزيارة التي قابل فيها السلطان قدم مقترحه بالسماح لليهود باستعمار العراق مضافاً إليها حيفا وضواحيها، أي بقي متمسكاً بطلبه في استقطاع جزء من فلسطين، كما هاجم مشروع الوزير الفرنسي «روفيه» وهو مشروع

١٨ يوميات هرتزل، الملحق ص٢٣١-٢٣٤.

إقراض لتركيا، لأنه كان يعلم أن ذلك المشروع إذا تحقق فستقل الحاجة إليه وإلى مشاريعه، بينما كان هدف السلطان استعمال هرتزل وزيارته كورقة في يده في المفاوضات المالية التي كان يزمع دخولها.



وقد عرض هرتزل في هذه الزيارة دفع مبلغ يزيد عن ثلاثين مليوناً من الجنيهات الذهبية وهو مبلغ ضخم آنذاك إذا أخذنا القوة الشرائية له في الحسبان، كما اقترح على السلطان إصدار تصريح عطف على اليهود: «وأضفت قائلاً: إذا تفضلتم يا صاحب الجلالة مثلاً بأن تعلنوا في يوم عيد ميلادكم المقبل عطفكم على الشعب اليهودي في وقت التلغراف والمواصلات السريعة اليوم، فسيكون لهذا الإعلان رد فعل سريع ومهم في جميع أنحاء العالم، سيكون فيه إشارة تجذب المواهب والأموال والصناعة وأنواعاً من المشاريع، لن تستفيد من هذا مقاطعتا العراق وحيفا وضواحيهما فحسب بل جميع الإمبراطورية العثمانية»[١٩].

و لم يقطع السلطان أي وعد له، بل أحاله إلى الصدر الأعظم، وعندما بدأ هرتزل حواره مع الصدر الأعظم ومع رجال القصر سمع الرأي السابق نفسه وبإصرار: «يمكن للإسرائيليين أن يقبلوا ويستقروا في الإمبراطورية العثمانية شرط أن لا يكونوا جميعاً في مكان واحد، بل يفرقوا في أماكن تعينها لهم الحكومة،

---

١٩ يوميات هرتزل، الملحق ص٢٣٢.

وبشرط أن يُقرر عددهم مسبقاً من قِبل الحكومة، وسيعُطَون الجنسية العثمانية ويُسألون عن جميع الضرائب المدنية بما فيها الخدمة العسكرية، كما سيكونون خاضعين الجميع لقوانين البلاد كالأتراك تماماً»[٢٠].

أي إن السلطان لم يعد بأي شيء ولم يكن يحدد أو يعين حتى أي أرض قريبة من فلسطين، ولا يحدد أي رقم محدد لقبول المهاجرين، فكل هذه الأمور ستكون في قبضته وتحت إرادته.

وهكذا غادر هرتزل إسطنبول في ٢-٨-١٩٠٢ خائباً لم يحقق شيئاً طوال سنوات عدة من المحاولات والجهود، وبعد أن استنفذ كل أنواع الإغراءات، وكتب في يومياته وهو يغادر إسطنبول غاضباً: «وها أنا قد خلصت مرة ثانية من جب القتلة وبلاد اللصوص»[٢١]. و«بعد تقديم التحيات تركت جب علي بابا والأربعين حرامياً»[٢٢].

والشيء الذي يلفت النظر حقاً هو أن السلطان عبد الحميد شعر بالخطر قبل الجميع.. شعر به حتى قبل ظهور هذا الخطر على السطح وتبلوره في المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٦م، بل حتى قبل قيام هرتزل بكتابة كتابه المعروف «الدولة اليهودية» عام ١٨٩٥م، إذ كان يرصد جميع التيارات الفكرية والسياسية في أوروبا بدقة، والدليل على ذلك نلمسه في «الفرمانات» الثلاثة المتعاقبة التي أصدرها سنة ١٨٩١ ومنع بموجبها هجرة اليهود إلى فلسطين وقيّد وحدد زياراتهم إلى القدس، أي إنه حدس بالخطر الصهيوني قبل ظهور هرتزل على مسرح الأحداث، وفهم المرامي البعيدة لرغبة اليهود في الهجرة إلى فلسطين.

---

٢٠ يوميات هرتزل، ص٢٣٦.
٢١ يوميات هرتزل، ص٢٣٦.
٢٢ يوميات هرتزل الملحق ص٢٣٦.



أ. د. محمد أديب صالح
رحمه الله

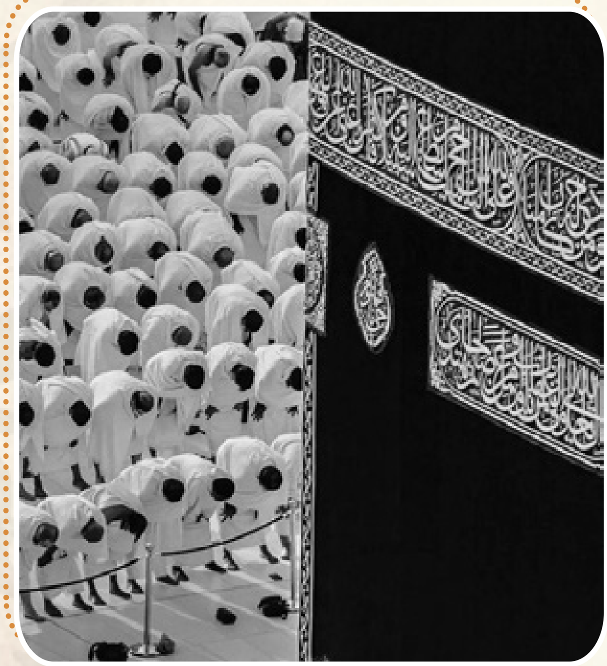
طواف وطواف

عندما يفتح المؤمن قلبه لخطاب السماء، ويحاول أن يبصر أمور دينه بوحي صحيح ونفس مشرقة وعقل مستنير، يستطيع أن يكون حيث يريد له الإسلام أن يكون، وأن يعطي لكل شيء قدره الذي به تميز الأمور وتتضح الخصائص ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ * وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ * وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ﴾ [فاطر: ١٩-٢١].

---

* المصدر: محمد موسى الشريف (فك الله أسره)، المقالات النفيسة في الحج إلى الأماكن الشريفة، ط١ (جدة: دار الأندلس الخضراء، ٢٠٠٠م)، ص٢٢٢ وما بعدها.

أقول هذا والمسلمون على موعد مع الحج والعمرة، وشدّ الرحال إلى المسجد النبوي، وزيارة الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه.. إنهم على موعد كريم مع البيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً تلبية لأذان إبراهيم عليه السلام واستجابة لدعوة القرآن ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].. أيام قليلة، وترى وفود الله تؤم أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين.



أيام قليلة ويتعالى الهدير المقدس وترى ما لا يكاد يصدَّق من مظاهر الإيمان والطاعة والخشوع لله القادر القاهر، والعبودية المطلقة لعظمته وجلاله سبحانه، والمساواة التي تحقق أكبر تجربة يمكن أن يرتحل إلى تحقيقها الإنسان. وفي يقيني أن ما تصنعه شعائر الحج والعمرة وآداب الزيارة في نفس المؤمن -أن لو أديت العبادة على وجهها الصحيح المشروع- تعجز عن صنعه تربية سنين.

إن المسلمين على صعيد الفرد والجماعة مدعوون لإدراك أن الحاج يقصد البيت فيطوف حول الكعبة، ويسعى ويقف بعرفة، ويؤدي ما يؤدي من شعائر وأعمال.. امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى ووقوفاً عند حدوده، وفي ذلك ما فيه من تأكيد معنى التوحيد -خصوصاً في الطواف- والانعتاق من الوثنية، على مختلف صنوفها ومظاهرها، وفي مقدمتها هناك وثنية النفس والأنا.



أما أولئك الذين يعودون من الحج، وفي جعبة كل منهم عشرات الأحاديث، وألوان القصص عن الأمور القريبة التي لا علاقة لها بقلب أو طاعة، أو تقوى، وعن الأمور التي عاقت سبيل أحدهم عن الراحة كما ينبغي، وحالت دون توفير ما يجب لذاته الكريمة، حطاً وترحالاً، وتميزه عن إخوانه من الناس كما يشاء، أما أولئك وفي زمرتهم من يحمله حب الدنيا وجمع المال على الاستغلال والتقصير في حقوق الآخرين، فأخشى ما يخشى عليهم أن يكون الواحد منهم -والعياذ بالله- لم يتخل عن الطواف حول نفسه، فهي أولاً وقبل كل شيء، ولم يجانب السعي بين أصناف شهواته وأغراضه.

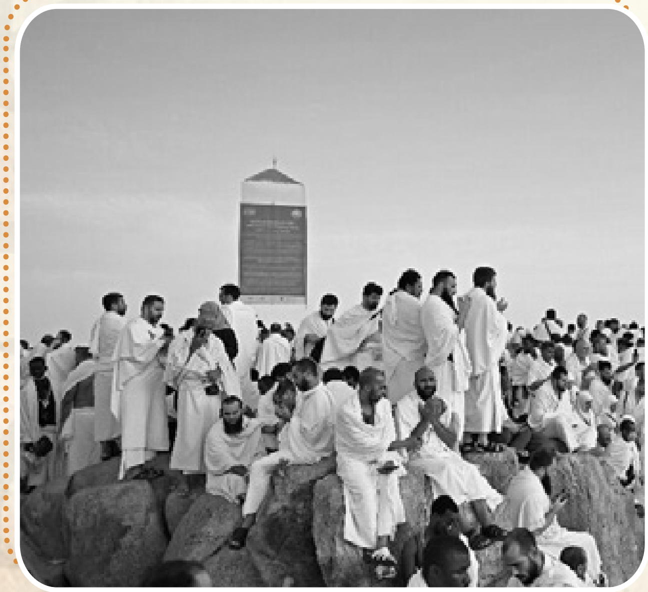
إنه ما من أحد ينكر أن يكون المسلم على إدراك للواقع، ووعي لما يجب أن يكون من كل أمر يعود نفعه على الأمة، في توفير ما به يقوى المسلم على أداء شعائر دينه في تلك البقاع المباركة خير ما يكون الأداء؛ ولكن المروع في الموضوع، أن يقع المؤمن في شراك الوثنية، من حيث لا يشعر، حتى يبدو في تصرفاته ناسياً ما جاء من أجله، فلا هم له إلا نفسه، وأغراضه، دون شعور بمقتضى العبودية والافتقار إلى الله، مع الآخرين، وينطلق وكأنه في رحلة خاصة القصد منها كذا وكذا، مع أن الأمر أمر عبادة وتكليف وإقامة شعائر، وثم في تغيير المألوف، والانتصار على العادات المستحكمة من وافر الخير والثمرات.. ترى هل هو طواف حول الكعبة أو حول النفس؟

وأداءً للأمانة: هل عليّ من بأس في الإشارة إلى أنه مما يتجافى مع حس المؤمن القلبي الصادق أن يكون هنالك فراغ وتطلع إلى القريب الفاني، والعاجل المستدرك في تلك المواطن مع ما يفترض من

الإدراك العميق لمعنى الطواف، والوقوف بعرفة، والسعي بين الصفا والمروة، والتلبية الرائعة المستعلية، وغير ذلك من الشعائر، وأين يجد الفراغ من يذكر ذنوبه وما يحمل من أوزار، وأن المقام مقام افتقار وتضرع وخضوع، وأن الموطن موطن لجأ إلى الله بالقبول، ودعاء خاشع باللسان والدمع وخفقات القلب، أن يهيئ لهذه الأمة من أمرها رشداً، يا الله يا ذا الجلال والإكرام ما أعز من لا يذل إلا بين يديك، وما أكرم من لا يخضع إلا لسلطانك!

وهل كثير على أولئك الذين سمت هممهم فأدركوا الغاية من الوقوف بين يديك وشغلهم ذلك عن كل شيء؛ فلا المال ولا الأهلون، ولا الدنيا بما فيها ومَن فيها بسرائها وضرائها بنعيمها وبؤسها بإقبالها وإدبارها.. بحائلة دونهم ودون أن يكون رضاك هو المبتغى، والزلفى إليك هي المقصد، إنه ليس كثيراً عليهم ذلك، فعلى قدر الإدراك للغاية يكون الجد والعمل، وعلى قدر استنارة البصائر، وامتلاء القلب بالخشية، يستعذب الحرمان والعذاب، ومنك العون أولاً وقبل كل شيء.

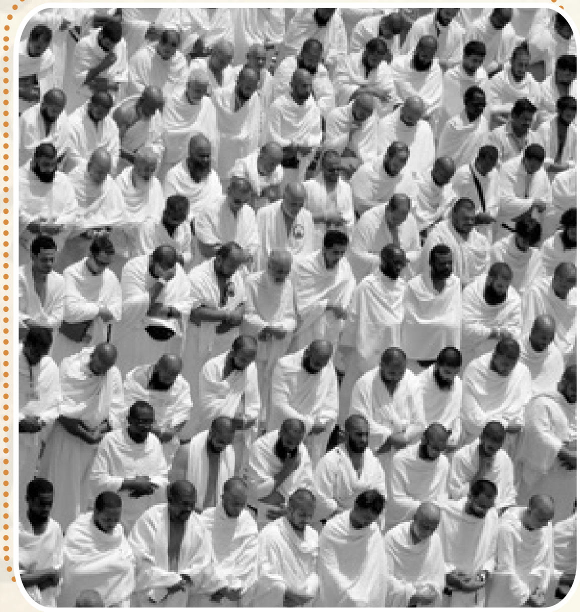
وبعد ذلك: ألم يكن من كريم فضلك، وسعة رحمتك وإحسانك، أن تهيئ لعبادك مواسم خير تنظر بها إليهم، وتعيد أكفّهم التي رفعت إليك مملوءة بالمغفرة والعطاء، وتجعل من دموعهم التي سكبوها، وزفراتهم التي صعدوها، معالم نور في حياتهم تضيء لهم الطريق، وتهون عليهم الصعاب وترقى بهم إلى مدارج الخير؟



ألا ليت شعري من للمسلمين أن يعودوا سيرتهم الأولى، علماً، وعملاً وسلوكاً وصدق غاية، وسلامة اتجاه كيما يحققوا بعضاً من المعاني التي أرادها الله من فوق سبع سماوات يوم أنزل على نبيه محمد ﷺ كتابه وأكمل الدين بعظيم أركانه وسلامة بنيانه، وكان من هذه الأركان فريضة الحج التي تفيض بالوافر من الخير والكثير الطيب من عناصر الفلاح.

فما أجدرنا أن نذكر -مثلاً- أن هدير التلبية المقدس:

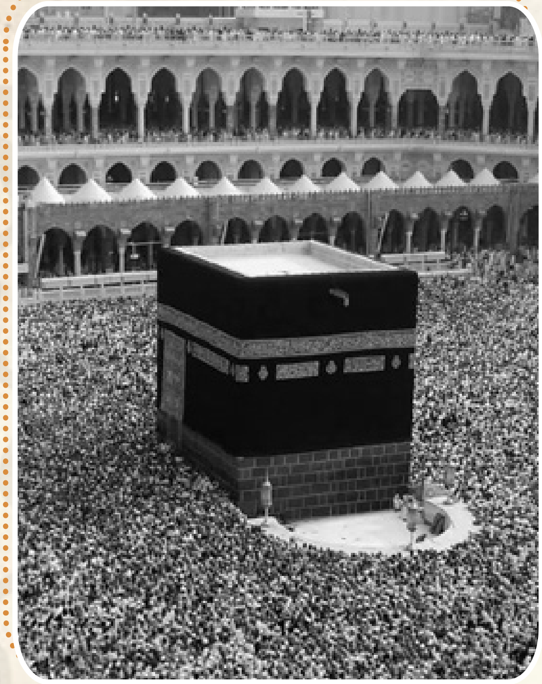
«**لبيك اللهم لبيك**» الذي تضج به الصدور، وتنطلق به الحناجر لم يكن في شرعة الإسلام إلا عنوان توجه المؤمنين الصادق إلى عالم الغيب والشهادة، والإعلان القوي المدوي عن اعترافهم له بالربوبية، وتوحيدهم المطلق لذاته والإقرار بأنه هو المنعم المتفضل، وأنه مالك الملك الجدير بكل محمدة وشكران.



ولقد نطقت كل الدلائل التي حملت آثار جولات العقيدة في جزيرة العرب، ومعالم انطلاقتها في العالمين أن هدير التلبية هذا كان هديراً في أعماق النفس، كما هو هدير تنطلق به الحناجر، وترتفع به الأصوات.. هدير في النفس يحملها على الصعب والذلول في سبيل عقيدة التوحيد، وحداء يدفعها إلى القمة ويروضها على صدق الالتزام بحق هذه العقيدة.

وكما كانت تنطلق حناجر المسلمين بالتلبية كانت تنطق تصرفاتهم وتحركاتهم على كل صعيد، حتى رأت الإنسانية من آثار ذلك العجب العجاب، فأنى رجعت البصر وفي أي ميدان من الميادين رأيت صرحاً محكم البنيان يشير إلى سلامة المنطلق وصدق الاتجاه، وخل عنك ما يتغنى به أولئك الذين يحكمون على تاريخنا من

خلال قصة وردت هنا أو واقعة وقعت هناك، حيث لا يتوفر المصدر العلمي ولا العقل السليم في كثير من الأحيان.



هذا وما من شك أن رحلة الحج المباركة، هي -والله شهيد على ما نقول- من أكرم وأفضل ما عرف ويمكن أن يعرف الإنسان من رحلات، فإذا خلصت النية وصدق المسعى، وكانت الوجهة امتثال أمر واجتناب نهي، وتطبيق شرعة؛ فما أجمل ما ينعم به المسلم من سعادة الدنيا والآخرة! بما صدق في سعيه وما وجه الله وجهه وأخلص إليه نيته.

ويا نعم ما يرتع به من رياض الجنة أولئك الذين يجودون بالدمع سخياً ضارعين خاشعين يسألون الله -وهم يطوفون حول بيته العتيق، أو يصلون عند مقام إبراهيم، أو يقبلون الحجر الأسود، أو يسعون بين الصفا والمروة، أو يسلمون على رسول الله رحمة العالمين- أن يغفر زلاتهم وأن يتجاوز عن خطيئاتهم، وأن يشملهم بعنايته ورحمته، فله الحمد وإليه المشتكى، وهو المستعان وبه المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه.

ولقد علمنا رسول الله ﷺ أن العبودية الصادقة لله هي مفتاح كل خير، ومن هنا شرعت التلبية، فإذا صعد الحجيج مرتفعاً، أو نزل وادياً، أو تحول من هنا إلى هناك رأيت -وكأن الدنيا كلها- تلبي معه وتكبر معه، وتدعو معه وتكبر معه، وتبكي خاشعة معه، وهؤلاء العباد المذنبون الضارعون الذين جاءوا بافتقارهم إليه، وذلهم بين يديه، يدعون سميعاً قريباً مجيباً، لا يضيع مثقال ذرة، ولا تخفى عليه خافية ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].



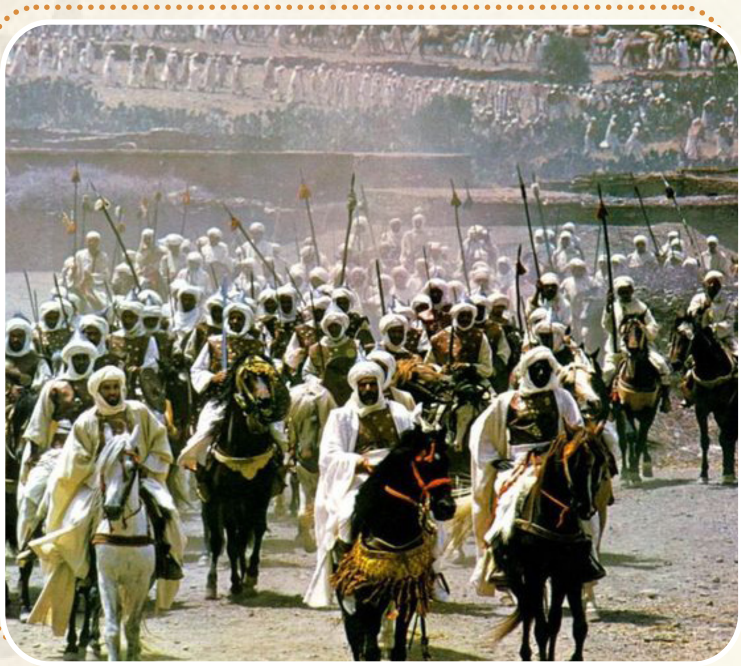
وعطاؤه لا ينفد، وخيراته لا تنقضي، والسعيد السعيد من شمر عن ساعد الجد، حازماً أمره عازماً على المسير: المسير إلى مرابع الرضا والعطاء؛ ليأخذ نصيبه كاملاً غير منقوص ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]، وصلى الله وسلم على نبي الرحمة حيث يقول: «عينان لا تمسهما النار.. عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله».

إن المسلمين اليوم تنتظرهم في هذا العالم البعيد القريب واجبات لا يطيق أداءها أولئك الذين تثقلهم المعاصي، وتنأى بهم عن جادة الحق ألوان الشهوات، وليس أقلها الخلود إلى الراحة وطلب العافية والسلامة. وترقبهم من بعيد -هو بالقريب أشبه- أعباء لا قِبل لهم بها إذا لم يخلصوا أنفسهم لدين الله، ويعطوا من وجودهم وكيانهم ما لا يخل به مؤمن بيوم الحساب، يوم تخشع الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً وقد خاب من حمل ظلماً.

وفي حديث موصول مع الحج -وهو ركن من أركان الإسلام- ترى المسلمين يتحركون جموعاً تتلاحق، ومناكب تتدافع لإقامة شعائره، على الأرض التي كانت مهد الوحي، وموئل التنزيل، ومنطلق العمل المثمر البناء.. في حديث موصول مع هذه الفريضة التي أكرم الله بها هذه الأمة المحمدية، أقول عن تجربة: إن فرضاً على أولئك الذين سعدوا بكريم التطلعات إلى خير هذه الأمة ومستقبلها أن يعملوا على أن يكون الحج وما يرافقه من أعمال جزءاً كريماً مرموقاً من التربية العملية التطبيقية، في إعداد

النفس على تمثل العبودية الصادقة، والصعود إلى قمة حب المساواة والخير للجميع، والشعور بالأخوة الإيمانية الصادقة، وتعويد على التخلي عن كل ما يجعل الفرد يخلد إلى الأرض، وتحرر من كل ترف نفسي يؤذي أولئك الذين يزعمون أنهم على الطريق الصاعدة في سبيل الله.

ثم تفتيح الأبصار والبصائر على تلك البقاع التي ركض المسلمون عليها خيولهم في سبيل الحق، فأزاحوا ركام الوثنية والأوثان من طريق الإنسانية الطويل ورفعوا علم التوحيد، وعبدوا بجهود مضنية لا تعرف الكلال دروب المعرفة التي زانها من أول يوم سلامة الفطرة، وكفاءة العقل، وكرامة الإنسان.



ألا إنه لا بد من منهج سديد تنهزم معه مظاهر المرض المؤذية التي يلمسها المرء في الحياة التعبدية لكثير من المسلمين حين يستحوذ عليهم الجهل، ويخضعون لداعي الشيطان، فلا تحرك نفس الواحد منهم، ولا ينبض قلبه بشيء من الحنين ما دام في ريعان الشباب، إن الحج هو للشيوخ المسنين الذين يدعوهم الموت وينتظرهم القبر، مع أن شعائر الحج مهما تيسرت الأسباب، وتقدمت وسائل الحضارة لا بد لها من شيء من الطاقة، والقدرة على التحمل، والعبادة في أصلها تكليف والله المستعان، وعنايته هي العناية.

هذه واحدة، فإذا أضفت إليها الشعور عند البعض أن الحج حمل ثقيل يريد هذا المسلم أن يلقيه عن كاهله وكفى، فهناك الطامة الكبرى، والحرمان الذي ما بعده حرمان والعياذ بالله تعالى .على أن مردّ كثير



من المظاهر التي قد لا ترضي في حياتنا التعبدية هو الجهل الذي كان أثراً من آثار ابتعاد الأمة عن مدلول الإسلام الصحيح، ومفهوماته الكريمة كما جاءت في منابعها الأصيلة الغنية بالعطاء .ومع ذلك فإن المعجزة الكبرى تكمن -في تقديري- وراء ذلك السلوك الذي يزين تصرفات تلك الألوف المؤلفة أيام الحج، وتعدد الألوان واللغات والأقاليم، واختلاف العادات والطبائع والأمزجة والموروثات، ووجوب أن يقوم هؤلاء جميعاً بأداء شعائر معينة في أوقات معلومة محددة، وعلى أمكنة معلومة محددة، يمكنك -واضعاً في حسابك كل هذه الاعتبارات- أن تقرر على صعيد الأرقام والبحث المجرد أن سلوك الحجيج سلوك هو أقرب إلى الكمال ولا نظير له في دنيا الناس.

وإذا استطاع المسلمون من طريق المعرفة علماً وتربية وسلوكاً أن يقتحموا العقبة حتى ترى المسلم -عموماً- يبادر إلى الحج عندما تتوفر له الاستطاعة، وهناك يتصرف في عبادته وتعامله مع الآخرين، ومحاولة الإفادة من السيرة وتاريخ الرجال تصرف الإنسان المستنير الذي يتمتع بقسط مقبول من الثقافة والوعي والذوق الإسلامي الصحيح، عبودية لله وصدق أخوة مع الآخرين.. أقول: إذا استطاع المسلمون أن يقتحموا تلك العقبة فيا خير ما نجنيه من ثمرات لأمتنا وللبشر أجمعين!

والذي يبدو حلماً، أو خيالاً في نظر بعض الناس، يمكن أن يتحول إلى واقع مشرق وحقيقة ناطقة هادية إذا صدقت العزائم، وتعاون القادرون بكفاءاتهم وأموالهم وطاقاتهم كل بحسب ما لديه لا يخل

بالمستطاع، وعملوا على التثقيف الصحيح كما تقتضيه أصالة هذه الأمة، وأن يُعنوا بالعربية عناية خاصة لفهم الإسلام، والعمل على نشر هذا اللسان المقدس الذي نزل به القرآن في ربوع تلك الملايين التي لا يمكن أن تتصل بدينها وتاريخها، وتدرك مثلها إلا من طريق العربية ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].



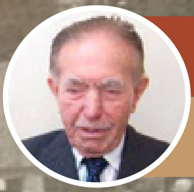
إن هذه النقطة التي لا يجدي فيها إلا الصدق والحزم وتجنيد الطاقات والكفاءات هي امتحان الإخلاص و برهان كثير من الدعاوى، ودليل صحة النسبة إلى خير أمة أخرجت للناس.

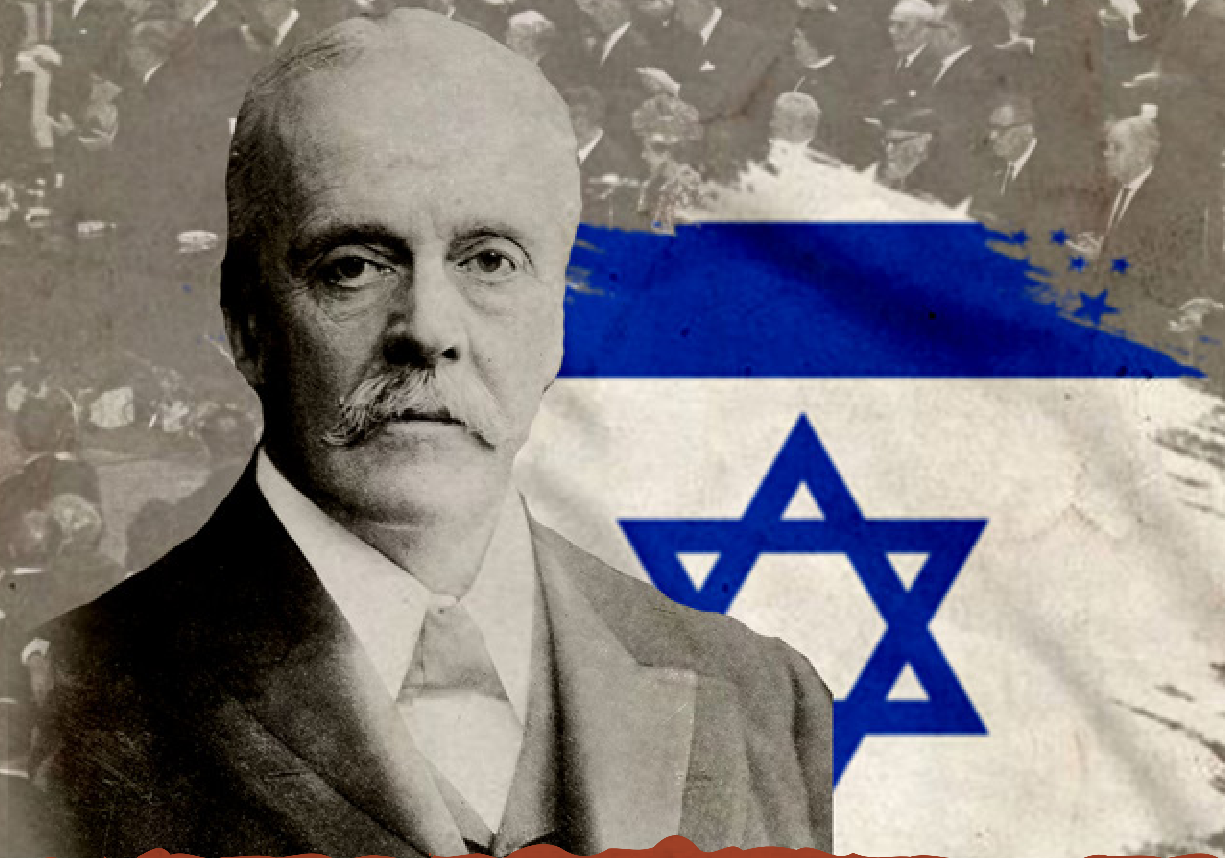
وأخيراً -ومن الأعماق- هنيئاً لأولئك الذين أسعدهم الله بالسير إلى بيته خالصين مخلصين، وتقبل الله طاعتهم، ورزقنا وإياهم حسن المثوبة وكرامة المغفرة في عباده الذين رضي عنهم ورضوا عنه، ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

والحمد لله رب العالمين[1].

١ حضارة الإسلام، ٥-١١.

شيخ المناضلين الفلسطينيين/ بهجت أبو غربية
رحمه الله*





وعد بلفور

وسياسة إقامة الوطن القومي اليهودي

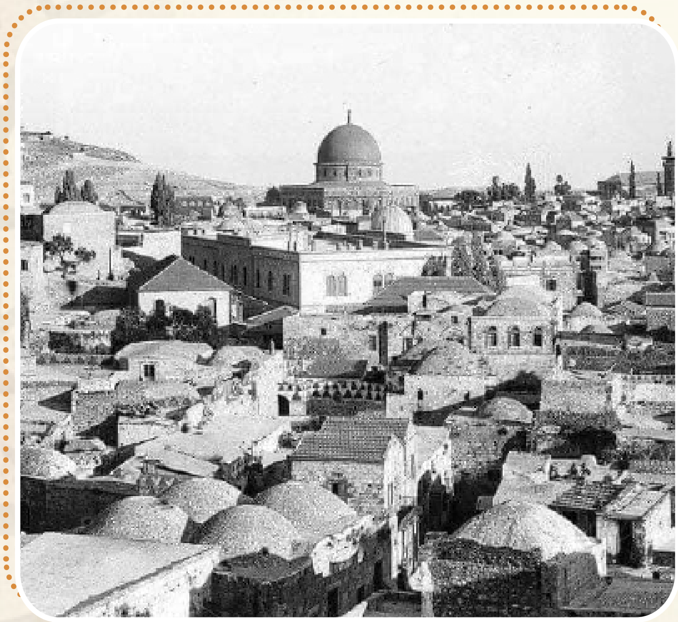
إذا كان القرن التاسع عشر هو قرن التوسع الاستعماري والتسابق والصراع بين الدول الاستعمارية، فإن أوائل القرن العشرين كانت مرحلة تثبيت هذا الاستعمار. وتروي بعض المصادر التاريخية أن مؤتمراً عُقد سنة ١٩٠٧، على الرغم من استمرار الصراع بين الدول الاستعمارية، على احتلال المستعمرات صدر عنه ما عرف فيما بعد بتقرير لجنة (كامبل بانرمان).

* بهجت أبو غربية، في خضم النضال العربي الفلسطيني، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٣م)، ص٦ وما بعدها.

عُقد هذا المؤتمر في إنجلترا وشارك فيه عدد من مفكري الدول الأوروبية الاستعمارية، وكان محور أبحاثه دراسة الأخطار التي تهدد مستقبل الاستعمار، ووضع الخطط الكفيلة بدرئها، وضمان استمرار احتفاظ الدول الاستعمارية بمستعمراتها. ويتضمن تقرير لجنة (كامبل بانرمان) الذي صدر عن هذا المؤتمر دراسات وتحليلات، ثم مقترحات وقرارات تلخص في ما يلي:

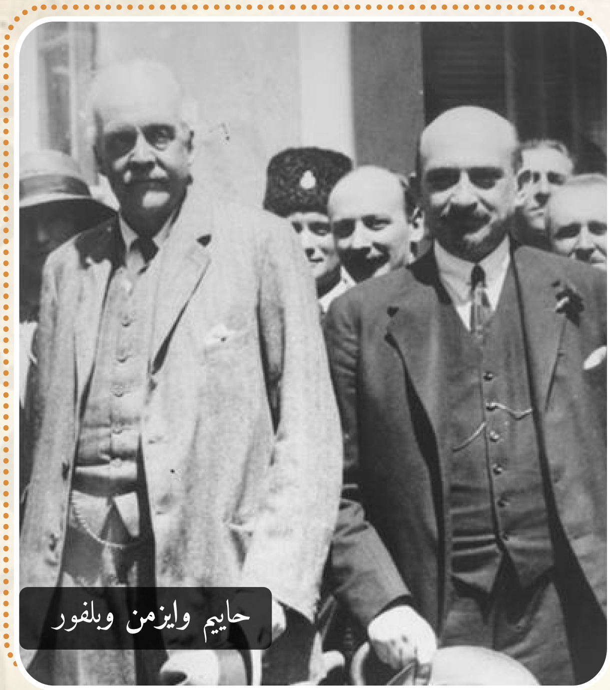
١ أن أكبر خطر يهدد بقاء الدول الاستعمارية في مستعمراتها يكمن في حوض البحر الأبيض المتوسط، حيث يعيش على شواطئه الشرقية والجنوبية شعب واحد له ماضٍ تاريخي مرموق يتكلم لغة واحدة، ويدين كله تقريباً بدين واحد، وتوجد في بلاده إمكانيات الرقي والتقدم.

٢ أن هذا الشعب مجزأ إلى أقاليم، ويجب أن تعمل الدول الاستعمارية بكل الوسائل على استمرار هذه التجزئة وتعميق أسبابها.



٣ يجب أن يقام فاصل بشري غريب في أنسب مكان من هذه البلاد؛ ليفصل بين عرب المشرق وعرب المغرب ويقطع الامتداد العربي، وهذا المكان هو فلسطين.

في الوقت نفسه، كانت الحركة الصهيونية قد أسست وهي التي كان في برنامجها إقامة دولة يهودية في فلسطين. ولا أريد هنا أن أتوسع في تاريخ الحركة الصهيونية وارتباطها بالاستعمار، فمصادر هذه الأبحاث كثيرة وموسعة، ولكنني أريد أن أؤكد الارتباط القوي منذ البداية بين الصهيونية والاستعمار.


حاييم وايزمن وبلفور

تروي بعض المصادر أن فكرة إقامة دولة يهودية في فلسطين أقدم مما ذُكر، وأن نابليون بونابرت كان يحمل هذه الفكرة، ومن المعروف أنه في الثاني من تشرين الثاني/ نوفمبر سنة ١٩١٧ صدر الوعد المشهور بوعد بلفور عن وزير خارجية بريطانيا، والذي صيغت عباراته بعناية فائقة شارك فيها الدكتور حاييم وايزمن بنفسه، وهو زعيم الحركة الصهيونية في ذلك الوقت، وجاء في هذا الوعد ما يلي:

«عزيزي اللورد روتشيلد! إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي، وسوف تبذل خير مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية، وليكن معلوماً أنه لا يسمح بإجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين الآن، أو بالحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الأخرى وبمركزهم السياسي فيها».

صدر الوعد، كما هو واضح خلال الحرب العالمية الأولى، وبقي سراً فترة من الزمن، وصيغت عبارته بشكل مضلل، وهو باختصار خطة متفق عليها بين الاستعمار والصهيونية لمصلحة الطرفين، وتعهد من بريطانيا بتنفيذ هذه الخطة وإقامة دولة لليهود في فلسطين يوم كانت بريطانيا لا تملك فلسطين ولا تملك السيطرة عليها. ومهما قيل في وعد بلفور إنه مجرد وعد إلا أنه كان الأساس الذي قامت عليه الدولة الصهيونية فيما بعد. وإن وعد بلفور وإقامة دولة صهيونية في فلسطين يقعان في إطار الخطط الاستعمارية

المرسومة بعناية من أجل تمزيق العالم العربي وإضعاف العرب، وبالتالي من أجل احتفاظ الدول الاستعمارية بمستعمراتها ونفوذها الاستعماري ومصالحها الاستعمارية في المنطقة العربية.

صدرت عن المسؤولين البريطانيين فيما بعد عدة تصريحات تؤكد ما سبق، منها قول ونستون تشرشل سنة ١٩٢٢ وكان وزيراً للمستعمرات في حينه:


ونستون تشرشل و بلفور في للقدس

«وإن بريطانيا ملزمة تنفيذ وعد بلفور وليس في وسع العرب منع تنفيذه، وليس أمامهم إلا أن يقبلوا به».

وسنرى أن حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين بذلت جهداً جباراً، وقدمت مساعدات فعالة للحركة الصهيونية لإنشاء دولة صهيونية في فلسطين. ومن هنا بدأت المشكلة وما تزال قائمة: هل أرض فلسطين للعرب أم للصهاينة؟

سايكس - بيكو

لا بد هنا من الإشارة إلى معاهدة سايكس - بيكو التي عُقدت قبيل صدور وعد بلفور، حيث اشتركت فيها بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية، وكانت معاهدة سرية اتفقت فيها الدول الثلاث على اقتسام الممتلكات العثمانية بعد انتهاء الحرب، ومعظمها بلاد عربية. ومن المعروف أن هذه المعاهدة فضحتها روسيا بعد قيام الثورة الاشتراكية فيها. وهذه المعاهدة أيضاً تؤكد النوايا الاستعمارية وتوضح الأساليب الاستعمارية

والنظرة الاستعمارية إلى الشعوب الضعيفة؛ فالدول الاستعمارية اقتسمت البلاد العربية بموجب معاهدة سايكس - بيكو قبل أن تحتلها، وأعطيت فلسطين للصهيونية قبل أن تصبح فلسطين تحت سيطرتها. كل ذلك جرى دون أي اعتبار لرأي السكان الأصليين أصحاب البلاد، ورغباتهم وأمانيهم، بل من غير علمهم.

وعلى هذا الأساس يمكن أن نفسر مساعدة الإنجليز للشريف حسين وللعرب في الثورة ضد الأتراك العثمانيين خلال الحرب العالمية الأولى؛ فالمستعمرون، وخاصة بريطانيا، كانوا يعرفون أن العرب متذمرون من حكم واستبداد العثمانيين، وأنهم ينزعون إلى الخلاص منهما، فاتصلوا بالشريف حسين وشجعوه على الثورة ضد الأتراك ووعدوه وعوداً، بالرغم من غموضها، توحي بأن بريطانيا ستساعد العرب على الاستقلال والوحدة العربية. ومهما كانت نوايا العرب ورغباتهم وأهدافهم من الثورة على الأتراك، فالاستعمار عمل على جعل هذه الثورة في خدمة المخططات الاستعمارية وحاول جاهداً أن يأخذ موافقة الشريف حسين والأمير فيصل بن الحسين على سياسة إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين. ومما لا شك فيه أن قيام الثورة العربية ضد الدولة العثمانية ساعد الحلفاء مساعدة كبيرة على احتلال فلسطين وسوريا الكبرى كلها والعراق.

فرض الانتداب

نشطت بريطانيا وفرنسا بعد الاحتلال في إعطاء الشرعية القانونية لاحتلالها فلسطين وشرق الأردن والعراق بالنسبة لبريطانيا، وسوريا ولبنان بالنسبة إلى فرنسا. ونتيجة لهذه المساعي وبالرغم من بعض الصراع مع الولايات المتحدة الأميركية قررت عصبة الأمم سنة ١٩٢٢ فرض الانتداب على هذه البلاد. وتضمنت المادة الثانية من صك الانتداب البريطاني على فلسطين أن على الدولة المنتدبة

أن تضع فلسطين في أوضاع سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي. وبذلك أصبح وعد بلفور متضمناً ومعززاً بصك الانتداب، وليس بموافقة بريطانيا فقط بل بقرار من أكثر من عشرين دولة. وبالرغم من أن الولايات المتحدة لم تكن عضواً في عصبة الأمم، فقد أعلنت موافقتها هي الأخرى على صك الانتداب على فلسطين.



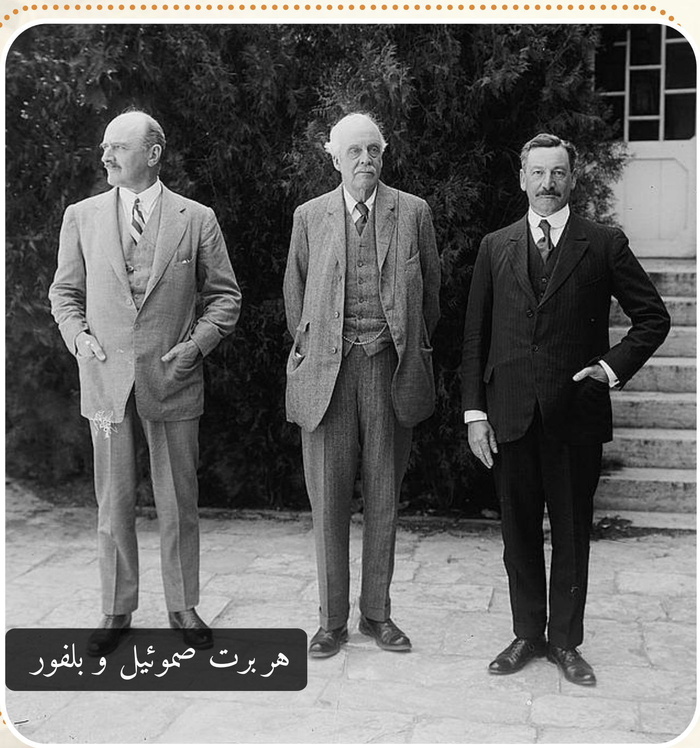
ونصت المادة الرابعة من صك الانتداب على فلسطين: «الاعتراف بوكالة يهودية تشير على حكومة الانتداب، وتتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك، مما يؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي».

ولا عجب بعد هذا أن أصبحت الوكالة اليهودية بعد فترة قصيرة من الانتداب حكومة داخل الحكومة.

من ناحية أخرى قضى الفرنسيون على حكم الملك فيصل في دمشق، وشتتوا الرعيل الأول من قادة بلاد الشام الذين التفوا حول الملك فيصل، وعين الإنجليز الأمير عبد الله بن الحسين أميراً على شرق الأردن. وبذلك تمزقت بلاد المشرق العربي إلى أقاليم معزولة بعضها عن بعض، ولهذا كان على عرب فلسطين أن يواجهوا وحدهم تقريباً المؤامرات والمخططات الاستعمارية الصهيونية المدبرة لفلسطين، وعملت بريطانيا باستمرار كل ما تستطيع لعزل فلسطين عن امتدادها العربي لتمهد للصهيونية ولتساعدها على إنشاء الدولة الصهيونية.

إدارة حكومة الانتداب في فلسطين

لكي يكون مجرى الأحداث واضحاً للقارئ أذكر هنا بإيجاز شكل الحكم أيام الانتداب البريطاني على فلسطين، فمنذ الاحتلال قام حكم عسكري برئاسة ضباط بريطانيين، كان كل منهم يمارس صلاحيات الحاكم العسكري في منطقته. فأصبحت كل مدينة وقضاؤها منطقة إدارية عسكرية منفصلة عن الأخرى، ويرتبط الحكام العسكريون مباشرة بالقيادة العامة للجيش البريطاني.


هربرت صموئيل و بلفور

وقد ظل الحكم العسكري قائماً حتى سنة ١٩٢٢، بالرغم من أن بريطانيا كانت عينت السير هربرت صموئيل وهو يهودي بريطاني مندوباً سامياً على فلسطين وشرق الأردن سنة ١٩٢٠ وكان لتعيين هذا اليهودي مندوباً سامياً مدلول واضح على إصرار بريطانيا على سياسة إقامة الوطن القومي اليهودي. ومن التصريحات التي صدرت عن هربرت صموئيل سنة ١٩١٩ حين كان مستشاراً للحكومة البريطانية في الشؤون الفلسطينية قوله: «في الوقت المناسب يجب أن تصبح فلسطين كومنولث ذا حكم ذاتي، تحت رعاية أكثرية يهودية قائمة».

وبعد انتهاء الحكم العسكري سنة ١٩٢٢ أقيمت إدارة مدنية برئاسة المندوب السامي يساعده في حكم فلسطين مجلس تنفيذي، يتألف من السكرتير العام ومن جميع رؤساء الدوائر، وكلهم من الإنجليز وبذلك يكون السكرتير العام بمثابة رئيس الوزارة، والمجلس التنفيذي الوزارة. وقُسمت فلسطين إدارياً إلى ألوية، وقسم اللواء إلى أقضية، وكان يحكم كل لواء حاكم إنجليزي ويحكم كل قضاء مساعد لحاكم اللواء، إنجليزي أيضاً.

كانت قيادة البوليس إنجليزية محضة، أي أن جميع ضباطها إنجليز، وفي كل لواء مدير بوليس إنجليزي، وفي كل قضاء مساعد لمدير البوليس، وكلهم إنجليز.



وإلى جانب هذا الكادر الرئيسي كان هناك جيش من كبار الموظفين البريطانيين في مختلف الدوائر، فضلاً عن رؤسائها، وعدد غير قليل من الضباط وصف الضباط والأفراد من رجال البوليس البريطاني، ولم يكن هناك موظفون إداريون عرب أعلى من مرتبة قائمقام، أي مساعد لمساعد حاكم اللواء. ومن ناحية البوليس لم يكن في القيادة العامة أي ضابط عربي، ولم يكن هناك أي مدير بوليس أو مساعد مدير بوليس عربي، وكان محرماً على غير الضباط الإنجليز حمل رتبة أعلى من رتبة رئيس (ثلاث نجوم)، وفضلاً عن ذلك كانت هناك باستمرار حاميات من الجيش البريطاني النظامي ترابط هنا وهناك لمساندة الحكم عند اللزوم.

يتبين مما ذُكر أن شكل حكم الانتداب لم يكن يختلف في شيء عن حكم المستعمرات البريطانية، سوى أن القبضة البريطانية في فلسطين كانت أشد من أجل ضمان إقامة الوطن القومي اليهودي: الدولة الصهيونية.

مواجهة عرب فلسطين للمخططات الاستعمارية الصهيونية

تنبه عرب فلسطين إلى خطر الحركة الصهيونية أيام الحكم العثماني. فمنذ سنة ١٨٨٢ بدأت الموجة الأولى من الهجرة اليهودية إلى فلسطين حين كان عدد اليهود في فلسطين ٢٤٠٠٠ فقط. ولم تقابل هذه الموجة بالمعارضة إلا بعد أن أخذت فيما بعد الطابع الاستيطاني الزراعي متأثرة بالأفكار الصهيونية. وبدأ الاحتكاك في الريف ثم تحول إلى صدام عنيف عندما بدأ المستوطنون الجدد باجلاء الفلاحين عن الأراضي التي اشتروها من الملاك الإقطاعيين اللبنانيين والسوريين ومن الحكومة.

وجرى أول صدام سنة ١٨٨٦ عندما قام الفلاحون المطرودون من الخضيرة وملبس (بيتح تكفا) بمهاجمة هاتين المستعمرتين، مما دفع الحكومة العثمانية سنة ١٨٨٧ إلى فرض قيود على الهجرة الصهيونية. وتكرر الهجوم على مستعمرات يهودية أخرى للأسباب نفسها سنة ١٨٩٢، وصدرت قرارات جديدة من الحكومة العثمانية للحدّ من الهجرة اليهودية لم تلبث أن ألغيت تحت ضغط أوروبي.



وامتدّ العداء للصهيونية إلى المهنيين والتجار، ثم شمل قطاعات لم تتضرر مباشرة من الهجرة الصهيونية في مراحلها الأولى. وأخذت المقاومة تشتد بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧، وشهدت سنة ١٩٠١ حملة احتجاجات واسعة من العرائض الجماعية ضد شراء اليهود الأراضي الزراعية، خصوصاً

عندما قامت الجمعيات الصهيونية بشراء مساحة واسعة من الأرض من عائلة سرسق اللبنانية بالقرب من طبريا، ونجح العرب بالفعل في استصدار قرارات من الباب العالي العثماني بإلغاء بعض الصفقات.

في سنة ١٩٠٣ بدأت موجة الهجرة اليهودية الثانية إلى فلسطين، وفي سنة ١٩٠٧ أنشئ أول كيبوتس يهودي يعتمد العمل اليهودي الزراعي الجماعي، ووقع صدام بين العرب والصهيونيين في يافا سنة ١٩٠٨ سقط فيه قتلى وجرحى، واتسعت مقاومة الصهيونية وأصبح السياسيون والمثقفون والصحفيون يبدون اهتماماً متزايداً بموضوع الهجرة واستملاك الأراضي، واستمرت مقاومة الصهيونية حتى صدور وعد بلفور واحتلال بريطانيا فلسطين.



وبالرغم من ذلك بلغ عدد اليهود في فلسطين في نهاية الحكم العثماني سنة ١٩١٧ نحو ٥٦ ألفاً.

وعلى الرغم من عمليات التستر والتمويه التي لجأت إليها الحكومة البريطانية لإخفاء حقيقة نواياها ومخططاتها، فقد أعلن شعب فلسطين منذ البداية رفضه الاحتلال البريطاني ورفضه وعد بلفور والهجرة اليهودية، وطالب بالاستقلال. وعبر عن ذلك بوسائل متعددة منها تشكيل المنظمات الشعبية، وعقد المؤتمرات الوطنية، والقيام بالمظاهرات والإضرابات، والنشاط الصحفي، وإرسال الوفود السياسية إلى بريطانيا.



المفكر الإسلامي أنور الجندي
رحمه الله*

المسيحية واليهودية

ومحاولة السيطرة على الإسلام

قالت بربارة توخمان الكاتبة اليهودية في كتابها (التوراة والسيف): «وهكذا دخل الجنرال اللنبي إلى القدس عام ١٩١٨، فنجح حيث كان ريتشارد (ريكاردوس قلب الأسد) قد أخفق، ولولا ذلك الانتصار لما كانت إعادة إسرائيل إلى أرض الميعاد قد أصبحت حقيقة واقعة، وكذلك لم يكن بإمكان اللنبي أن ينجح لولا محاولة ريتشارد، أي لو لم تكن النصرانية قد أقامت في الأصل الأساس الذي يحمل النصارى على التعلق بالأرض المقدسة، إن من غريب التهكم أن يكون اليهود قد استعادوا موطنهم إلى حد ما، بفعل الدين الذي أعطوه للأميين».

---

* أنور الجندي، الإسلام والعالم المعاصر، ط٢ (بيروت: دار الكتّاب اللبناني، ١٩٨٠م)، ١/ ٤١٩ وما بعدها.

وهكذا تنكشف أوجه الصراع بين المسيحية واليهودية في محاولة السيطرة على الإسلام، وتبدو براعة اليهودية في نقل الكرة من قدم إلى قدم حتى تصبح في حوزتها.. لقد كان هدف الماسونية الأساسي هو هدم البابوية، ولكن الهدف أيضاً قد امتد إلى القضاء على أكبر مركز ديني في أوروبا وهو الكنيسة الروسية، ثم امتد مرة أخرى إلى القضاء على الخلافة الإسلامية في تركيا، وقد تحقق ذلك في سنوات قليلة متوالية في أعقاب الحرب العالمية الأولى.



ومعنى هذا أن أكبر مكاسب هذه الحرب قد حصلت عليها اليهودية؛ فإن اليهودية الماسونية التي أشعلت الثورة الفرنسية في أوروبا كلها لتحقيق وجود اليهودي وسيطرته على المجتمع الأوروبي، هي نفسها التي استطاعت عن طريق اليهود الدونمة في (سالونيك) إسقاط السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ وإسقاط الخلافة عام ١٩٢٤؛ فقد كان اليهود يرون في السلطة العثمانية شبحاً مخيفاً للخلافة الإسلامية خطراً على مستقبلهم، وقد حاولوا احتواء السلطان عبد الحميد والدولة العثمانية وبذل (هرتزل) في سبيل ذلك جهد الطاقة فلم يستطع الوصول إلى شيء[1].

كان ذلك عام ١٩٠٢، عندئذ قرر المحفل الماسوني خلع السلطان عبد الحميد، وكلّف قادة (تركيا الفتاة) و(الاتحاد والترقي) تنفيذ القرار، وكان اليهود قد نجحوا في السيطرة على هذه الجمعية حيث

---

١ راجع كتابنا: العروبة والإسلام تصحيح أضخم خطأ في التاريخ الإسلامي المعاصر.

سيطر عليها جماعة الدونمة (المتظاهرون بالإسلام من يهود أسبانيا الذين اتخذوا سالونيك مقاماً لهم بعد فرارهم من محاكم التفتيش) حتى حققوا ذلك عام ١٩٠٩.

وكان انقلاب تركيا قد أسلم زمام تركيا لليهود[٢] الماسون الدونمة (طلعت، وجاويد، وجمال، وأنور، ونيازي)، ثم جاء (كمال) بعد الحرب العالمية الأولى وتمزُّق تركيا وسقوطها ليقيم الدولة التركية العلمانية التي ألغت الخلافة واللغة العربية والشريعة الإسلامية والأذان، وأغلقت المساجد.

وفي انقلاب مصطفى كمال أتاتورك وهو من اليهود الدونمة جرت المجازر للمسلمين وسلمت البلاد الإسلامية التي كانت تابعة للدولة العثمانية إلى الاستعمار والصهيونية، بعد أن سلم الاتحاديون طرابلس الغرب.

لقد كان خلع عبد الحميد مقدمة لإلغاء الخلافة، وكان إلغاء الخلافة هو الذي فتح الباب واسعاً خلال حكم الاتحاديين منذ (١٩٠٩- ١٩١٦) للسيطرة على فلسطين، وتحقيق هدف اليهود باستيلاء المسيحية ممثلة في بريطانيا على القدس ١٩١٧، كمقدمة لاستيلاء اليهود عليها بعد خمسين عاماً ١٩٦٧. وكان ذلك من أخطر أهداف اليهودية والمسيحية: تمزيق الدولة الإسلامية الكبرى وفصل العرب عن الترك، وهدم الجامعة الإسلامية، وإلغاء الخلافة.


هرتزل مع وفد صهيوني في القدس

٢ راجع الدكتور محمد علي الزعبي: الماسونية في العراء.

وفي فلسطين قتلت المسيحية واليهودية المسلمين في صورة وحشية (مرة أخرى) تفوق كل ما يُروى عن الطغاة. ولا ريب أن الخلافة الإسلامية خلال التحديات التي واجهت السلطان عبد الحميد قد كشفت عن قدرة ضخمة في مواجهة الأخطار، دفعت هذا السلطان السياسي البارع إلى رفع راية الجامعة الإسلامية لجمع المسلمين من مختلف أنحاء العالم تحت لواء الخلافة؛ لمواجهة خطر الاستعمار الفرنسي المسيحي والغزو الصهيوني اليهودي، وكان موقفه من عروض اليهودية العالمية شريفاً. قال في خطابه:


السلطان عبدالحميد

وأنصح الدكتور هرتزل ألا يتخذ خطوات أخرى في هذا الطريق؛ فإني لا أستطيع أن أتنازل عن قدم مربعة واحدة من هذه الأرض.. أرض فلسطين، لأنها ليست أرضي وإنما هي أرض شعبي، شعبي الذي حارب في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه، دع اليهود يحتفظون بملايينهم، فإذا تفككت إمبراطوريتي، فإن اليهود قد يحصلون على فلسطين دون مقابل، ولكنهم لن يصلوا إليها إلا على أشلاء أجسامنا بعد تمزيق أوصالها، إنني لا أستطيع أن أوافق على إجراء التجارب الجراحية على أجسام أبناء شعبي الأحياء[٣].

ولا ريب أن سيطرة اليهودية الصهيونية على فلسطين قد جاء عن طريق انجلترا، ثم أمريكا، وهما دولتان بروتستنتيتان باضت الماسونية العالمية فيها وأفرخت، وأدخلت في عقول المسيحيين أسطورة الأرض الموعودة حتى آمنوا بها، وكان ذلك أيضاً هو المدخل إلى قرار المجمع المسكوني الثالث عام ١٩٦٤ بتبرئة اليهود مما سُمي تهمة قتل المسيح.

٣ النص عن يوميات هرتزل.

وقد غاب عن المسيحيين مخططات اليهود إزاء دينهم وما كتبوه في بروتوكولات صهيون، من خطط السيطرة عليهم، وما صرح به كثير من حاخاماتهم من أمثال ما يقوله الحاخام بينا موريخ: «اليهودي لا يقنع بهزيمة المسيحية، بل يريد تهويد أتباعها، إنه يحطم العقيدة المسيحية، إنه يثير الخلاف ويفرض إرادته على العالم من وجهة الأخلاق والحياة».

ويقول أحد الحاخامات: «أمامنا الآن بعض سنوات قليلة لتحل اللحظة التي يتم فيها تحطيم الدين المسيحي تحطيماً كاملاً، فالمسيحية تتلوى وتعاني النزع الأخير. وقد أصاب الذبول صنم العالم المعبود الذي مضى إلى الفناء، والمسيحيون الخوارج الكفرة الذين يدعون أحقية الحق الأقدس قد وجهوا إلى الطريق الخاطئ، فإننا جاهدنا طويلاً لنفهمهم أن المسيح لم يوجد على سطح الأرض إطلاقاً».

أين هذا من مفهوم الإسلام وسماحته وتكريمه للسيد المسيح واعترافه به نبياً مرسلاً؟



ولا ريب أن هدف اليهودية التلمودية الجديدة الممثلة في الصهيونية، هو ما أشاروا إليه مرات وخاصة في البروتوكولات: «يتعين علينا أن نكتسح جميع العقائد والأديان الأخرى. وإذا كان ذلك سيؤدي إلى وجود ملحدين. ينكرون الخالق».

ومن موقف اليهودية الصارم ضد المسيحية فإن القاصد الرسولي الأب ماركولي يتحدث عن علاقة البابا بالصهيونية فيقول: لقد حدثت تغييرات شتى في الوقت الأخير من العلاقات بين اليهود والحكومة الإنجليزية، وكان من شأن هذه التغييرات أن بعثت اهتمام الدول عامة بمسألة الشعب اليهودي من جديد. وبالتالي بدأ الفاتيكان يهتم بالمسألة.

والبابا ينظر بعين الرضا والارتياح إلى مشروعات الصهيونية في فلسطين وهو يراها مصدر بركاته للسلام العالمي.

ويعتقد البابا بيوس التاسع أنه يحق للصهاينة أن يحملوا كافة الكائس الدينية على الاهتمام بأمانيهم ويقول: «على أني أؤكد أن الكنيسة الكاثوليكية وهي أكبر كنيسة في العالم، تؤيد الصهيونية وأمانيها». ولا ريب أن مثل هذه الوثيقة تكشف أمرين:

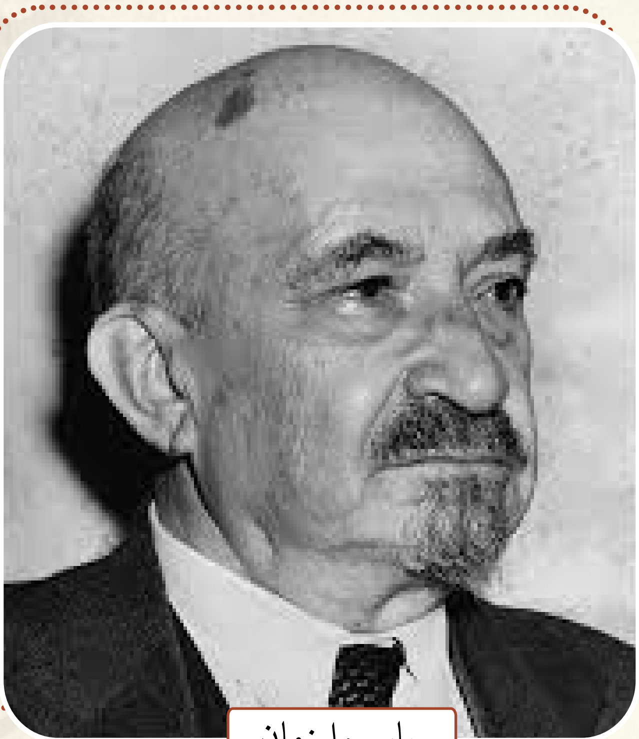
- **أولاً:** مدى ما استطاعت اليهودية العالمية أن تصل إليه من احتواء المسيحية.
- **ثانياً:** مدى ما وصلت إليه الكنيسة من الضعف والانحدار.



نعم، لقد استطاعت اليهودية أن تستقطب عدداً ضخماً من المسيحيين ذوي المناصب الثقافية والسياسية، وأن تجعلهم مسيحيين صهيونيين.

وهذا ألفريد لينتال في كتابه (إسرائيل ذلك الدولار الزائف)، يقول:

غزا اليهود المجتمع المسيحي، ولعب المسيحيون الصهيونيون دوراً حساساً في هذه الحركة المحبوكة تماماً والحسنة التمويل، إن مشاعر العطف على الصهيونية ليست مقصورة على اليهود فحسب؛ فالصهيونية في الولايات المتحدة قد سبقها المثال الذي ضربه حاييم وايزمان حين استفاد من مزج العناصر المسيحية والأخرى اليهودية في انتزاع وعد بلفور، فاعتمدت هي بدورها على المسيحيين الأمريكيين كي يقدموا لها خدمات لا تحصى، وقد استخدمت أسس علم النفس للحصول على تأييد مزدوج، عن طريق ضمير العالم المسيحي المضطرب الذي يتوق إلى التكفير عن الدور الذي قام به من الاضطهاد المتواصل لليهود،


حاييم وايزمان

ثم العاطفة الليبرالية المعتمدة على الضعف والشفقة الموجودة لدى الأغنياء، والمشاعر الدينية عند المثقفين التوراتيين الذين نظروا إلى أن إنشاء إسرائيل هو في الحقيقة بشارة ضرورية لقدوم المسيح. وقد قبل بعض المسيحيين الادعاء بأن التوراة تطالب بعودة يهود اليوم الموجودين في منفاهم إلى وطنهم القومي في فلسطين، بدعوى أن دولة إسرائيل الحديثة هي دولة ورد ذكرها في الكتب المنزلة.

غير أن الكثيرين من المسيحيين اندفعوا أيضاً لأن الديانة الإسلامية تعتبر في نظرهم ديانة وثنية متطرفة؛ فكان تأييدهم لإسرائيل وسيلة من وسائل مقاومة خلق وحدة عربية مسلمة، وتعود هذه المحاباة

والتعرض للمسلمين إلى العصور السالفة أيام حدث الصراع بين المسلمين والمسيحيين، وانتشرت القصص الخيالية حول الحروب الصليبية.

ويعني هذا بأن اليهودية التلمودية استطاعت أن تخدع المسيحية الأوروبية والأمريكية، ففي نفس الوقت الذي تعمل فيه على تدميرها، وتكتب ذلك صراحة في كتبها، فهي تستغلها عن طريق تحريف النصوص على أن تؤازرها في دعواها الباطلة، بل إنها هي التي تذهب في ذلك كل مذهب حين تزيف وقائع التاريخ وتكشف عن جانب واحد منه، هو جانب التحريض على المسلمين، بإعادة إذاعة موقف المتعصبين من المسيحيين في الحروب الصليبية، بل إن جريدة (التيمس) التي عرفت بمحاباتها لليهود واليهودية، كانت تذكر اليهود دائماً بالدور الذي يلعبونه دوماً في تهييج الخلاف بين المسلمين والنصارى، والمعروف أن اليهود قاموا بمؤامرات ضخمة في سبيل إيقاع المسيحيين في الإمبراطورية العثمانية في خلاف مع الدولة، واستفادوا من ذلك الاستيلاء على الأراضي.

وقد أشار ألفريد لينتال إلى هذا المعنى كله بقوله: مقدرة الصهيونية في استغلال المسيحي العادي والمنظمات المسيحية، والانفتاح الجديد على المسيحية بتزوج عدد كبير من اليهود من المسيحيين.

يقول لينتال: إن اليهودي عندما يتزوج من مسيحية يظل يتزعم قضية إسرائيل بقوة، بينما الشريك المسيحي للزواج لا يستطيع إلا أن يبدي تسامحاً كاملاً مع رفيقه.



الشيخ عبد الرحمن الدوسري

رحمه الله*



الأسلحة التي انتصر بها الصهاينة

إن الصهاينة وكل عدو لله من الكفرة الفجرة لا يمكن أن ينتصر على المؤمنين بالله حقاً المتبعين ما أنزله، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وإقامة حدوده، وتحكيم شريعته في كل شيء، والسير وفق منهجه في الشئون السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، فمن عامل الله معاملة المحب لحبيبه، وراقبه مراقبة من يمثل عظمته بين يديه، كان في معيته ونصرته، وكان مستمطراً لمدده الذي لا يغلبه غالب، والله غالب على أمره وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض، وإن الله لمع المحسنين. وهو القائل أيضاً: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

---

* عبد الرحمن آل نادر الدوسري، توفي: ١٩٧٩م، فقيه ومفسر ومحدث وشاعر، من كتابه: اليهودية والماسونية، ص١٤٧ وما بعدها.

إن الله قضى بتوهين كيد الكافرين وإضعاف معنوياتهم، وإرجافهم بقذف الرعب في قلوبهم وإبطال مفعول صنعهم وإحباط رميهم وقلب أهدافهم رأساً على عقب، لكن متى يكون هذا؟

إن هذا سيتحقق إذا قابلهم المؤمنون ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٢-٥]. ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾ [الفرقان: ٧٣]. بل: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].



هؤلاء هم المؤمنون الذين ينصرهم الله بالرعب مسيرة شهر، ويمدهم بالريح وبالملائكة وبجنود لا يعلمها إلا هو، وقد قدم التاريخ لنا شواهد كثيرة في صمود الرسول ﷺ بوجه الشرك والضلال وانتصاره، وفي متابعة صحابته ومن سار على نهجهم، وفي الباكستان وأماكن أخرى لم يدخلها رجس الثقافة الاستعمارية المستقى من اليهود، نعم هؤلاء يحصلون على نصر الله ودفاعه الذي لا يغلب، لأن قلوبهم تحررت مما سوى الله، فتجردت غاياتهم لله عن كل مطمع وأنانية، وطهرت جوارحهم من معاصي الله، وسلمت أحاسيسهم من الانشغال بغير ذكره وتقديسه.

أما الذين طعنتهم الأسلحة الصهيونية في الصميم لاستجابتهم لما خططته في بروتوكولاتها ومحافل ماسونيتها، فقد حرموا أنفسهم مدد الله ونصرته، لأنهم لم يستجيبوا لله ورسوله، وإنما استجابوا لأعدائه،

وانصاعوا إلى أهوائهم وأغراضهم النفسية، وتلطخت أدمغتهم بالأفكار الغربية الدخيلة، واندفعت جوارحهم إلى معاصي الله التي تستنزل غضبه وانتقامه.

فالصهاينة وأعوانهم لم يغلبوا العرب لقلة عددهم أو لنقص في قوتهم المادية، ولم يتفوقوا عليهم بالأسلحة الحديدية والنارية، وإنما غلبوهم بإبعادهم عن الأسلحة الروحية، وجعلهم يتنكرون للإله الحق ويبتعدون عن وحيه، ويسخرون من دينه، ويهمزون ويلمزون المتمسكين به، ويؤذون الداعين إليه، ويرمونهم بكل تهمة، ويستهجنون سنة المصطفى ﷺ وينفرون الناس منها بكل وسيلة، ويستحسنون سنن اليهود والنصارى والمجوس، ويحملون الناس عليها، ويعتبرون أنفسهم حملة لرسالة الجبت والطاغوت، رسالة ماركس ولينين، ويصرحون بأنهم أمناء عليها، وهذا إطراح لوحي الله.

لقد استعملت إسرائيل ألف سلاح وسلاح للانتصار على العرب كما انتصرت على غيرهم وبنفس الأسلحة الرهيبة، وما سأقدمه خلال هذه السطور ما هو إلا خلاصة لكل ما مر.

١ سلاح الانحراف والإبعاد عن الدين



لم يترك اليهود وسيلة إلا وسلكوها لإضعاف الدين الإسلامي في نفوس المسلمين، ورميهم بكل التيارات الإلحادية الجديدة المنحرفة. فهم يعلمون أن الإسلام دائماً كان ولم يزل يزرع العزة والإباء في نفوس المسلمين، ويحثهم على الجهاد والتضحية وبذل النفس في سبيل ذلك، وهم يعلمون مع هذا

أنه لا يمكن الانتصار على المسلمين وفيهم هذه الروح وهذا الإيمان. فعمدوا إلى الدس والإغواء والتخريب من القديم، ولما لم يفلحوا في الدخول إلى جوهر الدين تسللوا إلى العقول المريضة والنفوس الضعيفة فأغروها بالتقدمية وبالتحرر وبالاشتراكية وبالشيوعية وبالوجودية وبالانتماء، وأصابوا مقتلاً في كثير من تلك النفوس.

فتراخى أصحاب تلك النفوس عن دينهم وابتعدوا عن جذوته المتقدة، وانغروا بكل تلك التسميات اللماعة الجوفاء. ومن تراخى عن دينه أو شيء منه فقد تراخى عن عزته ورخصت عنده الأرض، وهان الشرف والعرض وفرط بكل شيء.

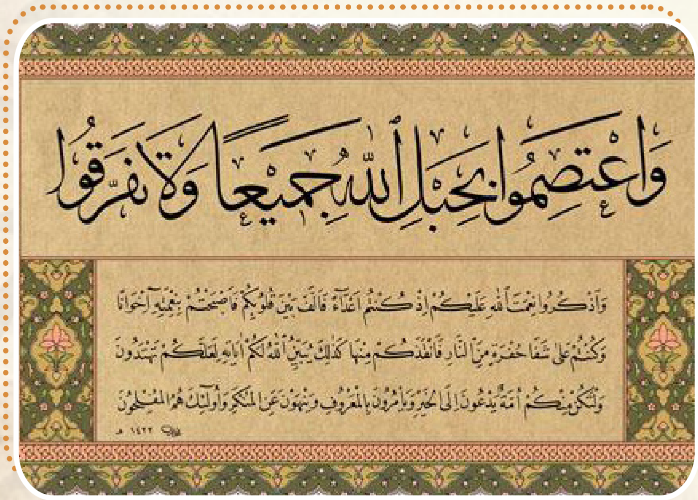
من يَهُن يسهُل الهوانُ عليه •• ما لجُرح بميت إيلامُ

ورحم الله الأجداد فقد تمكنوا من فتح الدنيا عندما كانوا رهباناً بالليل وفرساناً بالنهار، حملوا القرآن في صدورهم وعقولهم وسلوكهم فانتصروا به، ونصروا الله فنصرهم. ولن يكون لنا نصر جديد إلا بتخطي تلك الحدود التي صنعها اليهود بيننا وبين إسلامنا، ونقبل على الله إقبال تائب عابد عامل. والعجيب أننا نعلم هذا جيداً، واليهود يعلمونه كذلك!

٢ سلاح التفرقة

«فرّق تَسُد».. مثَل قديم سمعناه عن الاستعمار وهو يحكم البلاد المستعمرة.

واليهود بعدما طبقوه في أوربا ونجحوا به ولأبعد حد، استقدموه معهم



إلى أرضنا العربية، ودفعوا بكل مكرهم وخبرتهم جنوداً في معركة التفريق هذه، ساعدوا على تكريس الحدود وخطها خندقاً عريضاً بين كل بلد عربي وآخر، وضربوا حدوداً أكبر في النفوس؛ فهذا عربي أصيل وذاك مستعرب، وهذا عربي مسلم، أما ذاك فمسلم فقط، وهذا تقدمي وذاك رجعي، وهذا اشتراكي وذاك إمبريالي، وهذه دولة غنية وتلك فقيرة، فيجب على هذه أن تغلق حدودها بوجه أبناء تلك، وهذه دولة متقدمة وتلك.. وهكذا دواليك حتى عشنا نحن العرب المسلمين حالة من الفرقة متخلفة والكره في كثير من الأحيان تبلغ حد الحقد والاقتتال والتآمر والتباغض.

واليهود يصفقون ويمرحون ويشجعون، بل يحرّضون بوسائلهم غير المباشرة دولة عربية كي تتدخل بشئون دولة أخرى وتقتل أبناءها إمعاناً في زيادة التباغض، وتكريساً وتغليظاً لتلك الحدود القائمة. ثم انطلقت بعد ذلك تأكلنا واحداً تلو الآخر، المأكول يؤكل والذي سيؤكل لا يبالي، أو يشمت، أو يرتعد، ومع ذلك لا يحرك ساكناً، فقلّت هيبتنا، وانكشفت عورتنا، وتقاذفتنا الريح.

ونحن نعلم تمام العلم أن في الاتحاد قوةً وفي التفرق ضعفاً، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]؛ فمن يسمع؟ من يسمع؟! ومن يتعظ بقول ذلك الشاعر العربي الذي تعلّمه ألسنتنا لأبنائنا وتلفظه عقولنا:

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى .. خطب ولا تفرقوا أفراداً
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً .. وإذا افترقْن تكسرت آحاداً

٣ سلاح الانقلابات وعدم الاستقرار


انقلاب ١٩٥٢

لم تُصَب أمة بمثل ما أصيبت به أمتنا العربية والإسلامية بكثرة الانقلابات وعدم الاستقرار، وكنا قديماً نلقي اللوم على الاستعمار فنقول هو الذي يرمينا بكل هواة الزعامة الذين يدعون الإصلاح والثورة على من قبلهم، ولكن ثبت أن اليهود هم خلف عدم الاستقرار، هذا ليسرحوا ويمرحوا وسط غبار الفوضى التي نعيشها.

فقد بلغ الأمر ببعض البلدان العربية أن نرى في العام الواحد انقلابين أو ثلاثة، هذا ليعيد الحرية، وذاك ليعيد الحكم المدني الديمقراطي، وهذا لتصحيح المسار، وهذا لتصحيح التصحيح، وهكذا دواليك، وأكثرهم إن لم أقل كلهم تسير ضمن خندق مرسوم يؤدي إلى الهاوية، فقد بات العسكريون مبعث القلق والرعب وعدم الثقة، وصاروا كما يقول المثل: «حاميها حراميها»! قتل بعضهم بعضاً، ونُحي الأكفاء وسُجنوا، وحوكم الصادق، ونفذ الكاذب حكمة فيه، وأصبحت السلطة وجمع المال أو الرشوة غرضهم الأول.

يقول موشى ديان وزير الحرب الصهيوني في لقاء مع اليهود الأمريكيين: «إذا كنتم تعتقدون أننا هزمنا العرب بالحرب في معركة الأيام الستة، فأنتم جاهلون الحقيقة، إننا هزمناهم بالرشوة وبالأموال التي دفعتموها لنا، إننا رشونا كل من له علاقة بفلسطين، إننا لا نريد فلسطين للبكاء على الهيكل، ولكن هدفنا هو السيطرة على المنطقة بأسرها»[١].

١ جريدة كويش كرونيكل، مارس ١٩٦٨م.

أما آن لكم أيها الجنرالات أن ترتووا من دماء شعوبكم؟ أما آن أن توجهوا بنادقكم للأمام بدلاً من الخلف؟ أما آن لكم أن تمنحوا شعوبكم فرصة الاستقرار والاطمئنان والعمل والعطاء؟

«والبناء اليهودي هو المخطط والمنفذ والمهندس الرئيسي لكل الثورات والانقلابات»[٢].



٤ سلاح الفقر والرذيلة والمفاسد

عدم الاستقرار والظلم والاضطهاد، فالحروب والانقلابات والتصفيات الجسدية والقلق الذي يعيشه الإنسان العربي.. كل ذلك قطع الصلة بينه وبين المستقبل؛ فمات أمله وضاعت أمانيه، وقل عطاؤه، وأصابه الفقر، والفقر كما نعلم منبع الرذيلة والمفاسد، لأن الحاجة مع قلة الإيمان تفرض مواقف لا تدفع في كثير من الأحيان.

فانتشرت الحشيشة والخمور والمقامر وترعرعت الرذيلة، وساد العريّ والتهتُّك، ودفع اليهود بعملائهم وعميلاتهم باسم الفن والفنانين ليفسدوا النشء، فأنشأوا المسارح والمراقص والملاهي وبيوت الدعارة، كل ذلك بتسويق عالمي تديره يد اليهود في كل مكان، (اليهود هم سادة تجارة الويسكي في الولايات المتحدة، كما أنهم ذوو نفوذ بالغ على تجارة السيجار[٣] وكذلك بالنسبة للحشيش، وترويجه وعصابات التهريب والإجرام).

---

٢ من كتاب اليهود واليهودية، ص٢٥، غوغينو دوموسو.

٣ من كتاب: اليهودي الغازي، لجون فوستر فرايزر.

«اليهودي اليوم هو القيّم على المسرح الأمريكي»، **ويعني المسرح بالنسبة لليهود فائدتين عظيمتين:** وسيلة سهلة وسريعة للحصول على المال، وسوقاً رائجة للاتجار بالبنات؛ ذلك أن دور الدعارة تحصل على ما تحتاجه من البنات عن طريق العاملين بالمسرح الذين يشكل اليهود ٨٥٪ منهم. أما فائض أولئك النسوة المخصصات للمتعة فيصدرن مع فائض إنتاجنا من القمح والبطاطا والنحاس إلى الصين واليابان وأمريكا الجنوبية، وإلى كل مرفأ من المناطق المجهولة ترسو فيه إحدى بواخرنا التجارية، وهذا التمثال العظيم لصناعة الحماقة والرذيلة (السينما) التي نشأت في أكثر مناطق العالم ازدحاماً، يشبه في شكله إن حدقت فيه من بعيد رجلاً يهودياً محدودباً، إن هذا المرض الذي هو نوع من الأمراض الجنسية كالسيلان مثلاً معروف باليهودية[٤].

وهناك دلائل كثيرة مشابهة لما عرضتُّ توضح العصابات التي تتاجر بالفتيات في كل بقاع العالم، وتبين بالأسماء والصور الكثيرات من الإسرائيليات، بعضهن برتبة ضابط يعملن في المسارح في بلاد كثيرة لنشر الرذيلة والفساد، ثم ليثبوا بعد ذلك على هذه الأمم المخمورة المأفونة المفجورة.

---

٤ من كتاب: اليهود يجب أن يعيشوا، ص٥٦، ٢٣٥، لصمويل روث.

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾



الصادعون بالحق

من تراث العلماء والدعاة الأسرى



الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الصويان
فك الله أسره*

لا يضرهم من خذلهم

مشاريع التهويد لمدينة القدس تتصاعد بصورة متسارعة وغير مسبوقة.. الأنفاق والحفريات اليهودية مستمرة بشكل يهدد بنيان المسجد الأقصى.. المغتصبون والمتطرفون اليهود يقتحمون المسجد الأقصى ويتطاولون على حرمته بشكل متكرر ويصادرون أجزاء منه.. الكنس اليهودية تحيط بالمسجد الأقصى، وتطوقه من كل جانب.. الكنيست الصهيوني يناقش مقترحاً لقانون يقضي بتقسيم المسجد الأقصى زمانياً ومكانياً.. هدم المنازل والمزارع، وتهجير السكان، ومصادرة الهويات المقدسية، وتصاعد حركة الاغتصاب في محيط مدينة القدس.. لم تتوقف منذ بداية الاحتلال.

---

* الشيخ أحمد الصويان، مقال (لا يضرهم من خذلهم)، موقع إلكتروني: مجلة البيان، ٢٩-١٢-٢٠١٣م.

هذه بعض العناوين الكبيرة للمشهد المقدسي، وهي غيض من فيض.. وكل عنوان منها يقتضي غضبة حقيقية من الأمة، لنصرة الأرض المباركة واستنقاذها من مخالب اليهود. لكن ما الذي يحدث على الأرض؟!

لم تعد هذه الأخبار تلفت الانتباه أو تحرّك ساكناً في السياسات العربية.. ولم تعد هذه الأخبار على واجهة الإعلام العربي، بل لا في حاشية كثير من منابره!

ولم تعد قضية القدس حاضرة في مناهج التعليم والتربية، بل لم تعد -مع الأسف الشديد- حاضرة في كثير من منابر الجمعة ومناهج الدعوة!

أما منظمة التعاون الإسلامي.. جامعة الدول العربية.. السلطة الفلسطينية.. الأنظمة والحكومات العربية والإسلامية.. رابطة العالم الإسلامي.. اللجان والصناديق الرسمية المخصصة لفلسطين.. فجميعها غائبة عن ذلك المشهد، تجتر عجزها وهوانها، صامتة لا تسمع لها ركزاً، وكأنَّ القضية لا تعنيها!

الحاضر الرئيس في قلب الحدث:

هم أولئك الأبطال والمرابطون في بيت المقدس وأكنافه، الثابتون في ظلال القدس وأروقة الأقصى ومصاطب العلم؛ فهؤلاء وحدهم من يواجه مشاريع التهويد والهدم والتطاول على المقدسات.



إنَّ ثمة حقيقة لا ريب فيها، وهي أن هؤلاء المقادسة ابتلوا بخذلان وتثبيط كثير من إخوانهم، بل رأينا من يدفعهم دفعاً للاستسلام والرضوخ لليهود، بحجة الواقعية السياسية وتوجّهات المجتمع الدولي!

وأرجو أن يكون لهم نصيب وافر من قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ * فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

كما أرجو أن يكون هؤلاء المرابطون من الطائفة المنصورة التي بيَّن رسول الله ﷺ أنهم: «على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك».



وفي بعض روايات الحديث عندما سُئل رسول الله ﷺ: أين هم؟

قال: «في بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس»[1]،

وفي رواية أخرى: «يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها، وعلى أبواب بيت المقدس وما حولها»[2].

---

١ أخرجه: أحمد في مسنده رقم (٢٢٣٢٠)، والطبراني في الكبير (١٧١/٨) رقم (٧٦٤٣)، وذكره ابن الجوزي في فضائل القدس (ص٩٣). وحديث الطائفة المنصورة له روايات كثيرة، عدّها جمع من أهل العلم متواترة، منهم ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (٦٩/١)، والسيوطي في قطف الأزهار المتناثرة رقم (٨١)، والزبيدي في لقط اللآلئ المتناثرة (ص ٦٨).

٢ أخرجه أبو يعلى في مسنده رقم (٦٤١٧)، والطبراني في المعجم الأوسط رقم (٤٧).

ومَن تأمَّل هذه الأحاديث يدرك أن ذلك الخذلان والإعراض لن يثني المرابطين عن ثباتهم واستبسالهم في الذبِّ عن حُرمة الأقصى، ففي بعض روايات الحديث: «لا يضرهم من خذلهم»[٣]، «لا يبالون من يخالفهم»[٤].



خاصة إذا استشعر هؤلاء المرابطون أن ثباتهم على أرضهم خير لهم من الدنيا وما فيها؛ فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ أيهما أفضل: أمسجد رسول الله أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه؛ ولنِعم المصلى هو، وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن فرسه -يعني: حبل فرسه- من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس، خير له من الدنيا جميعاً». قال: أو قال: «خير من الدنيا وما فيها»[٥].

فإذا كانت المرابطة في أرض يرى منها بيت المقدس فيها هذا الأجر العظيم، فكيف يكون أجر المرابطة في بيت المقدس نفسه؟!

ولا يكفي ها هنا أن نلوم الأنظمة والحكومات على تفريطها وخذلانها، بل يجب أن نلوم أنفسنا، ونلوم العلماء والدعاة والخطباء والمؤسسات الإسلامية؛ فالوهن الذي أصاب الأمة في كثير من مفاصلها أعاق كثيراً من مشاريع نُصرة الأقصى!

---

٣ أخرجه مسلم (١٥٢٣/٣) رقم (١٩٢١).

٤ أخرجه سعيد بن منصور (١٧٨/٢) رقم (٢٣٧٦)، تحقيق الأعظمي.

٥ أخرجه: الحاكم (٥٠٩/٤)، والطبراني في المعجم الأوسط (١٠٣/٧)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٤): رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٤/٦).

إنَّ تغييب الوعي بقضية المسجد الأقصى أزمة كبيرة يتحمَّل تبعاتها أطراف متعددة؛ لذا فإن إحياء وتجديد الاهتمام بها من الأولويات التي يجب أن توظَّف لها الطاقات، وتتنوّع فيها المشاريع، وتأتلف عليها الجهود المؤسسية والفردية.

ويحسن التأكيد ها هنا على ضرورة استثمار المشاعر الجياشة التي تعمر قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في إبداع مشاريع عملية حيوية وجامعة، تتنوَّع بتنوّع البيئات وتستقطب شتى الطاقات والإمكانات.

وتأملوا قول النبي ﷺ عندما سُئل: يا رسول الله! أفتنا في بيت المقدس؟ فقال: «ائتوه فصلّوا فيه [وكانت البلاد إذ ذاك حرباً] فإن لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يُسرج في قناديله»[٦].

إنَّ نصرة المسجد الأقصى ينبغي أن تكون مشروعاً للأمة بمجموعها، ومشروعاً شخصياً لكل مسلم، وحديثُ القناديل لم يترك عذراً لأحد ولو كان بشيء يسير كبعث زيت لإسراجها، وأحسب أن المقصود في إسراج قناديله: إحياء المسجد وتكريمه وعمارته والعناية به، والذبُّ عن حرمته، حتى لا يُهجر وينقطع عنه المصلون.

ولعل من أعظم قناديله التي ينبغي أن تسرج: المرابطون في أكنافه، وقراؤه، وعبَّاده، وحراسه، وعمَّار مصاطب العلم وحلقات تحفيظ القرآن؛ فهم النور الذي يتلألأ، وحقهم علينا: دعمهم، وتثبيتهم، وتعزيز صمودهم، ونصرتهم بكل ألوان النصرة، ودعم قضيتهم في كل أنحاء العالم.

فاللهم اجعلنا من أنصار الأقصى وعمَّاره.

---

٦ أخرجه: أبو داود رقم (٤٥٧)، وأحمد رقم (٢٧٦٢٦)، وابن ماجه رقم (١٤٠٧)، وأبو يعلى رقم (٧٠٨٨)، والطبراني في الأوسط رقم (٨٤٤٥). واختلف في هذا الحديث، فصحّحه البوصيري في مصباح الزجاجة (٢٥٠/١)، ومغلطاي في شرح ابن ماجه (١٩٨/٣)، وحسّنه النووي في المجموع (٢٧٨/٨)، وصححه من المعاصرين: الأرناؤوط في تحقيق شرح مشكل الآثار رقم (٦١٠)، والوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (٢١٩/٢)، ومحقق مسند أبي يعلى. وأعلَّه ابن القطان في الوهم والإيهام (٥٣١/٥)، والذهبي في الميزان (٩٠/٢)، والألباني في ضعيف سنن أبي داود، والأرناؤوط في تحقيق المسند.



د. عادل بانعمة

فك الله أسره

صواريخ المقاومة الفلسطينية

نظرة عقلانية (١/٢)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء وخاتم المرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن فلسطين أرض إسلامية مقدسة مباركة، فهي أرض الأنبياء ومهبط الرسالات، وإليها كان مسرى رسول الله ﷺ قال الله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ [الإسراء:١].



* د. عادل بانعمة، مقال: صواريخ المقاومة الفلسطينية.. نظرة عقلانية، نُشر عام ٢٠٠٨م، موقع إلكتروني: صيد الفوائد.

«ومقابل ماذا يحشرون شعبهم المشلول في حبسٍ مأساويٍ، حبسٍ اسمه غزة، ويستمرون في إطلاق صواريخ لا تفعل أكثر من حفرٍ صغيرةٍ في أرصفة تل أبيب.. ثم يغضبون عندما تهرشهم إسرائيل القبيحة بتلك البشاعة، وتجعل بيوت المدنيين ركاماً مختلطاً بعظامهم، بل يطلقون ألسنتهم بالسباب واتهام العرب والمسلمين جميعاً بالتواطؤ والخذلان والخيانات، ولا يتذكرون وسط كل هذا من إساءتهم لشعبهم ومقامرتهم به شيئاً»! [عبد الله ثابت، جريدة الوطن، العدد: ٣٠١٥، ١٤٣٠/١/٣هـ].



«جرّب العرب الحروب فلم تزدهم إلا خبالاً وخساراً، وجرّبوا المقاومة المسلّحة فلم تزدهم إلا رهقاً وتشتتاً وضياعاً.. (حماس) تنطلق من رؤية جماعة (الإخوان المسلمين) التي تريد الوصول إلى السلطة بأي ثمنٍ والمحافظة عليها بأي سعرٍ، حتى لو كان الثمن دماء الفلسطينيين ودمار غزّة، وأن يخربوا بيوت الفلسطينيين.. إنّ جرح فلسطين الغائر لن يحلّه الغوغائيون، ولن ينقذه المتاجرون به، بل حلُّه يكمن في العقل والحكمة والسياسة الواعية المنضبطة، بعيداً عن الشعارات والهتافات الفارغة التي تضرّ أكثر مما تنفع».[عبد الله بن بجاد، صحيفة الاتحاد الإماراتية ١٤٣٠/١/١هـ]

«وذبيحة غزّة التي لم ينِ الجزّار الفاتك الإسرائيلي يعيث فيها تقتيلاً وتجريحاً وتدميراً هي ذبيحة لها جلاّب أوصلها لحتفها، فالجزّار الإسرائيلي لم يستيقظ ذات صباحٍ ليقول سأهاجم غزّة هذا الصباح، ولكنّ المتحرّشين به (بلا سببٍ!) هم الذين جلبوها له على طبقٍ من دمٍ وشعاراتٍ وغوغائيةٍ، وهم الذين قالوا له بلسان الحال اذبحها لنمشي في جنازتها». [عبد الله بن بجاد، صحيفة الاتحاد الإماراتية، ١٤٣٠/١/٨هـ]

«قليل من الألعاب النارية، التي قتلت من الغزاويين أكثر مما قتلت من الإسرائيليين، وتهجم إسرائيل، وينسى الجميع البرنامج النووي الإيراني، وهذا هو كل ما تريده إيران، كما (القاعدة) وكل المنظمات المتطرفة التي لم تحظ بدولة». [تركي الحمد، الشرق الأوسط، ١٤٣٠/١/٣هـ]

«واليوم، ونحن على صدى تبرعات جديدة لفلسطين، نفكر ونسأل، ويخرج السؤال من الحلق إلى الحلق بعد طول صمت: هل تجد السعودية التقدير الشعبي العام بعد ذلك كله»؟[فارس بن حزام، جريدة الرياض، العدد: ١٤٧٩٩، ١٤٣٠/١/٢هـ]

هذه عباراتٌ طائفةٍ من الكتّابِ والمثقفين تعليقاً على حربِ غزةَ الطاحنة التي ذهب ضحيتها حتى هذه اللحظة قرابة سِتمائة شهيد.

عبارات -وإن حاولَتْ عبثاً أن تجعل بين يديها مقدمات تضامنية مع الشعب المحاصر- لا تنتهي إلا إلى خذلان غزةَ وأهلها، لتكون (قصفاً) آخر فوق القصفِ الذي تتعرضُ له! ولاسيما عند يقول أحدهم إن المقاومة تحرشت بإسرائيل بلا سبب! بلا سبب! هكذا! لم تفعل إسرائيل شيئاً تستحق به أن يوقف في وجهها!



وفي حين نجدُ كتّاباً غربيين بل يهود (روبرت فيسك، وماري فويس، وكاسيلرز مثالاً) يشنّون حملةً شعواء على إسرائيل ووحشيتها وهمجيتها ويصرحون بأنَّ للمقاومة حقَّها المشروع يشنّ إخواننا هؤلاء -غفر الله لهم- حرباً شرسةً على المقاومة الفلسطينية!

لن ألتفت كثيراً للتوافق العجيب بين هذه المقالات وتصريحات بوش وأولمرت وساركوزي! ولن أدخل في سياقات تخوينٍ وعمالةٍ! فتلك أمورٌ يصعبُ الجزم بها من أجل موقفٍ فكريّ أو رأيٍ سياسيّ. وسأحاول -بصعوبة بالغةٍ- أن أتجرّدَ من العواطف الثائرة لأناقشَ هذه الأطروحاتِ بذات العقلانية التي تزعم أنها تتحلى بها.

على هذا دار القُمْقُم

تتبنى هذه الأطروحات في مجملها ثلاث أفكارٍ رئيسةٍ:



•• **الفكرة الأولى:** أنَّ صواريخ المقاومة و(ألاعيبها) القتالية هي السبب المباشر فيما حدث لغزّةَ، وبالتالي فهي شريكة (للجزار) في جريمة (الذبح)، بل هي التي وضعت الشاةَ بين يدي الجزار وأمسكتها بعنف ليتسنى له الذبح كما يريد!

•• **الفكرة الثانية:** أنّ المقاومة الفلسطينية الإسلامية إنّما تسعى إلى السلطة من جهة، وتحقيق أجندة خارجية من جهة أخرى، وكل ذلك على حساب الفلسطينيين المساكين، متاجِرةً بدمائهم، غير عابئة بأرواحهم!

●● الفكرة الثالثة: أنَّ المقاومة الفلسطينية لا تشكر جميلاً، ولا تحفظُ معروفاً، وأنّها تستلم تبرعاتِ الدولِ بيد وترجمهم بحجارة التخوين باليد الأخرى! وجِماعُ هذه الأفكار الثلاثة أن المقاومة الفلسطينية المسلحة (غلطانة من ساسها لراسها) كما تقول العامة! أو هي غارقةٌ في الرَّطَأِ واللُّغابةِ والتَّهْتارِ والطَّرَطِ (كلها بمعنى الحماقةِ)، ورموزها أصحابُ هَذَرٍ وكَنْخَبةٍ (كلها بمعنى الخلط في الكلام) كما يقول العرب الأقحاح!



بعبارةٍ أخرى تفضي هذه المقولات إلى فكرةٍ مركزية واحدةٍ هي أنَّ خيار المقاومة المسلحة خيار خاطئٌ من كل جهةٍ. وأن الحلّ -كما قال أحدهم- يكمُنُ «في العقل والحكمة والسياسة الواعية المنضبطة، بعيداً عن الشعارات والهتافات الفارغة التي تضرّ أكثر مما تنفع».

وسأكون هنا معنياً بمناقشةِ الفكرةِ الأولى فحسب؛ لأنّه من العبثِ أن يصدق عاقل أن أولئك المقاتلين الذين حملوا أرواحهم على أكفّهم، واصطفوا في طوابير الشهادةِ منذ عشرات السنين هم طلاب سلطة! نحن نفهم أن يكون الفارُّون من المعتركِ، والذين يعيشون في الرفاهيةِ يجنون الملايين، والذين يكتفون بالتصريحات وهم آمنون، نفهم أن يكون أولئك طلاب سلطة.. لكنْ كيف يكون طالبَ سلطةٍ من يشرع صدره للموتِ، ويطلبُ الشهادة بابتسام؟ وكيف يكونُ طَلاّبَ سلطةٍ من لم تُغيِّر السلطةُ شيئاً من أحواله المادية والاجتماعية؟ كيف للمقاومة أن تكون باحثةً عن سلطةٍ وكل قياداتها تقريباً نالت الشهادةَ أو تعرضت لمحاولة اغتيال؟

ثم كيف تكون (متفرّسةً) ذات أجندة إيرانية (فارسية) وهي التي جاءت بطوعها إلى صلح مكةَ، تلك الخطوة التي أغضبت إيران غضباً شديداً لأنّها أعطت للسعودية شرف السبق؟



وأمّا المنُّ على إخواننا بتبرعاتِنا، والغضب إذا اشتكوا من بعض تقصيرنا، فلا أجد لها مثلاً إلا طالباً كلِّف بثلاث واجباتٍ، فأنجز واحداً منها على وجهه وأغفل اثنين، فلما لامه أستاذُهُ على ترك الواجبين غضب وقال: ألا يكفيك أنني حللتُ الواجبَ الأول بإتقان!

حسناً.. لقد تبرعنا.. وأردنا بذلك وجه الله لا شكر الناس.. وقد شكرَنا إخواننا مع ذلك علناً ورحبوا بوقفتنا لكنهم عتبوا علينا أننا تركناهم يموتون ويقتلون وقد كان بوسعنا أن نفعل أشياء كثيرة. هل أخطؤوا ؟! لا أظن! ولكن هكذا يظنُّ من يمنُّ على الناس بما أعطاهم.. بل.. بل بما أعطاهم غيره! ولو شئنا أن نجريَ على هذا النفسِ من (المَنّ) فإنَّ المنة هي لإخواننا الفلسطينيين، فهم الذي أوقفوا طموحاتِ إسرائيل التي لو تركت لالتهمتنا ولكانت طائراتها اليوم فوق بيوتنا! وعليهِ فإنّنا كل ما أعطيناهم لا يساوي جزءاً يسيراً من فضلهم علينا بصدّهم هذا العدوان وإيقافِهِ عند حدوده.

لكل ما سبق قلتُ: إنني سأقتصر على مناقشة الفكرة الأولى.. فكرة أن صواريخ المقاومة هي سبب المشكلة.

مقارنةٌ تكشفُ الحقيقة

لنبدأ نقاشنا من هذه المقارنة التاريخية بين ما حدث قبل اثنتين وأربعين سنة وما يحدث الآن.. في حرب حزيران ٧٦ تمكّنت إسرائيلُ من تدمير كامل سلاح الجو الأردني، ومعظمِ السلاح الجويّ السوريّ، وعددٍ كبيرٍ من طائراتِ الجيش العراقي! واستولت على منابع النفط في سيناء! وسيطرت إسرائيل على منابع مياه الأردن! وتحكمتْ في خليج العقبة! واكتشف العربُ أنّهم خسروا -في خمسة أيام فقط- عشرة آلاف شهيد وجريح، وخمسة آلاف أسير، وأنّه قد شُرّد نحو ٣٣٠ ألف فلسطيني! وأنَّ إسرائيل قد احتلت أراضي من خمس دول عربية هي: مصر (شبه جزيرة سيناء وغزة)، وسوريا (هضبة الجولان)، ولبنان (مزارع شبعا)، والأردن (الضفة الغربية والغور)، والسعودية (جزيرتا تيران وصنافير على مدخل خليج العقبة).. واكتشفوا أيضاً أنّ ما احتلته إسرائيل في تلك الحرب ضاعف مساحتها ثلاث مراتٍ![1] وأبشع من هذا كله.. ضاعت القدس!

لم تكن إسرائيل وقتها في مواجهةِ الفلسطينيين وحدهم بل واجهت العرب جميعاً.. العرب الذين كانوا يمتلكون قرابة ألفين وثلاثمئة دبابة مقابل ألف دبابة إسرائيلية! العرب الذين كانوا يمتلكون قرابة ستمئة طائرة بإزاء مئة وسبعٍ وتسعين طائرةً إسرائيلية! العرب الذين كان تعداد مقاتليهم ثلاثمئة وثلاثين ألفاً بإزاء مائتين وخمسين ألفاً من الإسرائيليين! ومع تفوق ميزان القوى لصالح العرب كان ما كان.. وشهد الخامس من حزيران يونيو ١٩٦٧م أقصر حرب في التاريخ.. حرب لم تدم أكثر من خمسةِ أيام ضاع فيها كل شيء!

انتهت المقاومة.. وانكسرت الجيوش.. واستسلم الجميع! وبقيت الجولان وسيناء وشبعا محتلةً حتى الآن أو في حكم المحتلة! واليوم.. ها نحنُ في اليوم الخامس عشر من أيام حرب غزةَ الغاشمة.. الحربُ التي بدأت

---

١ انظر: فلسطين دراسات منهجية: ٣٠٤، والاستراتيجيات العسكرية: ٣١٥.

بغتةً بعد تطمينات (عربية) للفلسطينيين بألا شبحَ حربٍ يلوح في الأفق! الحرب التي اختارت إسرائيل لبدايتها توقيت الذروة (الحادية عشر والنصف صباحاً) ليزداد عدد الضحايا. الحرب التي ألقت وتلقي فيها إسرائيل بثقلها العسكري أطناناً من القذائف على بقعةٍ صغيرة لا تتجاوز مساحتها ٣٠٠ كلم مربع.



الحرب التي لم تتصد لها إلا المقاومة الفلسطينية دون أن يكون لها عون عسكريٌّ من أيّ جهةٍ خارجية. الحربُ التي كانت فيها الأنظمة العربية عوناً على الفلسطينيين بإغلاق المعابر، وكبح المسيرات، والتباطؤ في عقد القمة، والتراخي في اتخاذ قرارات شجاعةٍ مؤثرةٍ. الحرب التي كان فيها بعض الفلسطينيين عوناً على إخوانهم حتى إنهم لم يجدوا شيئاً يقولونه سوى التصريح بأنهم (جاهزون) لملء الفراغ السياسي الذي سيحصل في غزة بعد العدوان!

الحرب التي لعبتْ فيها الآلة الإعلامية لعبتها القذرة فجعلت الضحيةَ مجرماً وشغلت الناس بصواريخ المقاومة عن أطنان قذائف الأباتشي! ومع كل هذه الوقائع والحقائق.. إلا أنَّ صواريخ المقاومة ما زالت تنطلق! بل إنها بلغت حيث لم تبلغ من قبل! وأصابت أكبر قاعدةٍ جوية إسرائيلية! وبدأ اليهود يختبئون في الملاجئ! وما إن بدأ الاجتياح البريّ حتى حصدتْ المقاومةُ أرواح عشرات الجنود الإسرائيليين!

هل لاحظنا الفرق بين الموقفين؟



إنَّ يهودياً واحداً داخل إسرائيل لم يصب بالفزع عقيب حرب سبعة وستين.. وها نحن نرى في حرب غزة مليون إسرائيلي في دائرة الخوف، يدخلون إلى الملاجئ، ويعطلون دراستهم، ويبكون! إنّ مسؤولاً يهودياً واحداً لم يساوره القلق عشية حرب سبعة وستين وفي حرب غزة يرى الملايين عبر شاشات التلفزة وزيراً يهودياً يغلبه الفزع ويختبئ تحت سيارة ليبث من هناك تهديداته وتوعداته! كانت ابتسامةُ ليفي أشكول وموشي دايان تتسعُ مع مرور كل يوم من أيام الحرب وما بعدها، وهانحن نرى ابتسامات أولمرت وباراك وليفني تتقلصُ مع مرور كل يوم!

ما الذي تغير؟ ما الذي جعل دول العربِ مجتمعةً تنهزم أمام حرب الأيام الخمسة بينما تصمدُ حركات مسلحةٌ في وجهِ حربٍ ضروس؟

إنّ تبنّي فلسطين الداخل لخيار (المقاومة المسلحة) هو الذي أحدث هذا الفارق الجوهري! إنّ (حجر) المقاومة، و(مقلاع) المقاومة، و(بندقية) المقاومة، و(صاروخ) المقاومة.. هو ما أحدث هذا البون الشاسع. وهذا ما يجب أن نعيه جيداً.. قبل أن نزعم أن (صواريخ المقاومة) هي مشكلة فلسطين. باعتقادي أن الصواريخ هي (حل) وليست (مشكلة).. فقد كنّا نُضربُ ونصمتُ و(نبوس) كفَّ من ضربنا.. على الأقل الآن نُضربُ ونضرِبُ.

تاريخٌ حافلٌ بالدمِ



وربما كان بالإمكان تصديقُ أن صواريخ المقاومة وحدها كانت سبباً لعدوان إسرائيل، لو لم تكن إسرائيل نفسها قد نفذت عشرات المجازر البشعة دون أن تستفزّها صواريخُ ولا حتى حجارة! لقد ارتكبت إسرائيل نحو ٧٠ مجزرة بحقِّ الفلسطينيين بهدف التهجير والتطهير العرقي، برزت منها ١٧ مجزرة بشعة، منها: دير ياسين وقبية واللد وعيلوط والطنطورة والصفصاف وصبارين وغيرها.

وأكثر من هذا امتدت مجازر إسرائيل إلى خارج حدود فلسطين! في الـ١١ من فبراير ١٩٦٧ نفذ الجيش الإسرائيلي مجزرة أبو زعبل بمنطقة القاهرة وقتل ٦٩ عاملاً مصرياً فيما جرح مائة آخرون. وفي الثامن من أبريل ١٩٧٠ نفذت إسرائيل مذبحة مدرسة بحر البقر بمنطقة بورسعيد قتل خلالها ٤٦ طالباً بالصف الأول وجُرح ١٦ آخرون. وفي عام ١٩٨٢ نفذت قوات الكتائب والقوات الإسرائيلية بقيادة وزير الدفاع وقتذاك أرييل شارون مجزرتي صبرا وشاتيلا، اللتين قُتلا فيهما نحو ١٦٠٠ شخص. وفي عام ١٨ أبريل ١٩٩٦ استهدفت مجزرة «عناقيد الغضب» مدينة (قانا) وقتل يومها ١٠٩ مدنياً لبنانياً كثيرون منهم أطفال ونساء احتموا داخل مقر لقوات الأمم المتحدة، وأصيب بالمجزرة ٣٥١ شخصاً آخرون.

هذه نماذجُ فقط.. فهل كانت صواريخ المقاومة -التي لم تُوجد إذْ ذاك- سبباً في هذه المجازر؟! إنَّ قراءة تاريخ كثير من هذه المجازر يبين بوضوح أنها كانت بمبادأة إسرائيلية! أي أنها لم تكن بسبب استفزازٍ ما! إلا إذا اعتبرنا أن بقاء الإنسانِ في أرضِهِ وعدم مغادرتِهِ لها استفزازاً!

ولو تتبعنا التاريخ لوجدنا أن كل انتخابات إسرائيلية سبقتها مجزرة عاصفة، فشارون تصدر بعد مذبحتِهِ (جهنم المتدحرجة)، وبيريز صعدتْ به إلى رئاسة الوزراء (عناقيد الغضب)، وليس سراً أن ليفني تخوضُ عبر هذه الحرب معركةً انتخابيةً، ويكفينا أنّ وكالة الأنباء الفرنسية ذكرت في بداية الحرب أنَّ باراك وليفني سجلا تقدماً في الاستطلاعات على نتنياهو جراء الحملة على غزة! وقد نشرتْ وكالة فلسطين برس للأنباء بتاريخ ٢٠٠٨/١١/١٣م -أي قبل عدوان غزة بشهرٍ ونصفٍ وقبل أن تعلن المقاومة انتهاء الهدنة- نشرت هذا التصريح: «حذّر الأمين العام المساعد للجامعة العربية لشئون فلسطين السفير محمد صبيح، من خطورة الفترة التي تدخل فيها إسرائيل انتخابات جديدة والتي يزداد خلالها الهوس واستعمال العنف والقتل خارج نطاق القانون، المدان دولياً لتحقيق أهداف سياسية».

زد على ذلك أن جُلَّ الذين تولوا رئاسة وزراء إسرائيل كانوا أعضاء في منظماتٍ إرهابيةٍ لها تاريخ حافلٌ بالجرائم، فهل نظن بعد هذا أن المقاومة لو استسلمت لذَبْحِ الحِصار، ولم تحرك ساكناً لما أصاب غزة ما أصابها، ولما ذبحها (الجزار)؟ ثم هل من العقلانية والواقعية الغفلة عن عشرات التقارير التي ملأت صحف العالم، والتي تحدّث عن إعداد لهذه الحرب المدمرة منذ ستة أشهر؟ بل تحدثت عن تواطؤ دولي هنا وهناك؟ وأضواء خضراء تلقتها إسرائيل من قريبٍ وبعيد؟

كيف تصبح صواريخ المقاومة سبباً بينما إسرائيل تعد للحرب وقت توقف هذه الصواريخ واشتغال الغزيين بمشكلة الحصار؟[2]

---

٢ ننشر بقية المقال في العدد القادم من مجلة أنصار النبي، إن شاء الله تعالى. [التحرير].



م. أحمد سمير
فك الله أسره*

الأنظمة الحاكمة

بين القيمة والسلوك!

«النظام يقتل، النظام يعتقل، النظام يقمع، النظام لا يحترم أصوات الشعب»..

هكذا تتنوع اتهامات المعارضة في بلادنا للنظام، لا شك أن سلوك النظام من قتل واعتقال وقمع وغيره كفيل بفضحه أمام الشعب، إلا أن الحقيقة المرة أثبتت أن تغيير الوجوه لا يكفي لتغيير هذا السلوك، كما أن النظام أعمق بكثير من حصره في هذه الظواهر السلوكية.

---

* أحمد سمير، من كتابه: معركة الأحرار (كتاب إلكتروني).

إن النظام بأشخاصه ومؤسساته وسياساته ودستوره هذه، وقوانينه وممارساته إنما هو نتاج منظومة قيم ثابتة values system تقوم عليها الدولة، المنظومة القيمية لأنظمة بلادنا هي صنيعة عقود من التجريف والاحتلال والتبعية، ونقصد بمنظومة القيم تلك الثوابت السياسية العامة والتي لا يمكن تغييرها بتغيير الوجوه فقط ولن تتغير حتى بتغيير الدستور، كما رأينا بعد (الثورات) الأخيرة، والنظام العالمي يحرص على بقاء هذه المنظومة القيمية في بلادنا كما هي، لأن في بقائها بقاء مصالحه، ولذلك لا يأتي رئيس إلا بعد أن يتعهد بحمايتها والإبقاء عليها، وقد أطلقنا عليها اسم (منظومة الهيمنة).



حماية المنظومة

إن القيم السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية التي تقوم عليها بلادنا اليوم إنما هي صنيعة الخارج، والمؤسسات العسكرية الموجودة الآن في كل بلد من بلادنا إنما دورها الرئيسي بوضوح تام هو حماية تلك المنظومة القيمية بقوة السلاح والإبقاء عليها بلا تغيير، هذه المنظومة القيمية يأخذ بعضها شكل الاتفاقيات وبعضها يكون فقط بتهديد السلاح العالمي، وكثير منها يجود بها رجال النظام بأنفسهم حفظًا لمصالحهم الذاتية وكراسيهم.

إن كل نظام من أنظمة بلادنا قد شُكّلت منظومته القيمية بصورة مستقلة، فالنظام في تونس شُكلت قيمه بصورة تختلف عن النظام السعودي، وكذلك للنظام المصري منظومة قيم أخرى، هذا بالرغم من وجود

ثوابت مشتركة بين جميع هذه الأنظمة وضعها الاحتلال الحديث (النظام العالمي) الأنظمة في دول الخليج مثلًا لكونها المصدر الأول للنفط في العالم كان يجب أن تتسع منظومتها القيمية لوجود قواعد أمريكية ضخمة على أراضيها ووجود علاقات استراتيجية عميقة جدًا معها.



ومصر لكونها أخطر الدول العربية على إسرائيل كان يجب أن تتسع منظومة قيمها لما يحفظ أمن إسرائيل لعقود ويفصل مصر تمامًا عن معاداتها والصراع معها، وتم هذا عبر اتفاقية كامب ديفيد، هذه الاتفاقية التي عبثت بمنظومة القيم المصرية بالفعل حتى أنتجت نظامًا سياسيًا عبارة عن مسخ حقيقي فاقد الإرادة والعزة والهوية، لا يستطيع أن يجعل أمنه القومي ومصلحة شعبه أولوية ولا يتمكن من بسط سيادته على كامل أراضيه، إننا لو أردنا أن نسمي النظام المصري اسمًا يعبر عنه حق التعبير فليس هناك أصح من تسميته (نظام كامب ديفيد)، ولذلك كلما تبدلت الوجوه السياسية الحاكمة لمصر يتجدد التأكيد على احترام مصر لمعاهداتها وعلى رأسها كامب ديفيد، أي التأكيد على أن النظام بمنظومته القيمية كما هو ولن يتغير فاطمئنوا يا غرب!

اتفاقية كامب ديفيد -والتي ما زال يُخفى معظم بنودها- لا تعني عدم الحرب مع إسرائيل كما يظن الكثير بل هي اتفاقية رسمت أجزاء كثيرة من شكل النظام وسياساته الخارجية والعسكرية، حتى قال بعض الخبراء أن الدستور المصري سيظل حبرًا على ورق لأن الدستور الحقيقي الذي يحكم مصر هو كامب ديفيد!

جاءت كامب ديفيد لتكون حلقة في سلسلة طويلة من تغيير القيم السياسية للنظام الحاكم في مصر، فتغيير القيم السياسية في مصر قديم قدم الحملة الفرنسية، ثم ما كان من الاحتلال الإنجليزي، وهكذا حتى وصلنا لما نحن عليه اليوم.

إن الاحتلال القديم لم يخرج من بلادنا إلا بعد أن عبث بالقيم المجتمعية والسياسية وأعاد تشكيلها بالصورة التي تخدم مصالحه، وبعد إعادة تشكيل منظومة القيم في بلادنا لم يعد لديه الحاجة في البقاء العسكري المكلف إلا عند الضرورة، فكل ما ستفرزه هذه القيم من دساتير وقوانين ولوائح ومؤسسات وشخصيات على رأس النظام سيكون متوافقًا مع أهداف الخارج حتى ولو أظهروا غير ذلك، فقد وضع المحتل القضبان التي سيسير عليها القطار مهما اختلف السائقون، وقد زاد الطين بلة مجيء الاحتلال الحديث (النظام العالمي الجديد) حيث زادت التبعية وصارت بلداننا تحت احتلال جديد فريد من نوعه يحكمها الخارج عبر المندوبين الداخليين، لنرى اليوم أنظمة مشوهة على رأسها أشباه رجال يتحكمون في مصائر شعوب بما يحقق مصالح الدول الكبرى!



وبذلك تعرف أن النظام ليس هو منصب الرئيس، إن الرئاسة ربما هي الحلقة الأضعف في النظام، النظام بالأساس هو منظومة قيم كاملة تحميها السلطة الثابتة في البلاد، هذه القيم هي ما ينتج عنها كل ما تراه على الأرض، وأحيانًا قد يضحي النظام برأسه احتواء لغضب الجماهير حتى لا يصل الغضب إلى منظومة القيم، وهذا عين ما فعله المجلس العسكري في مصر عندما ضحى بمبارك.

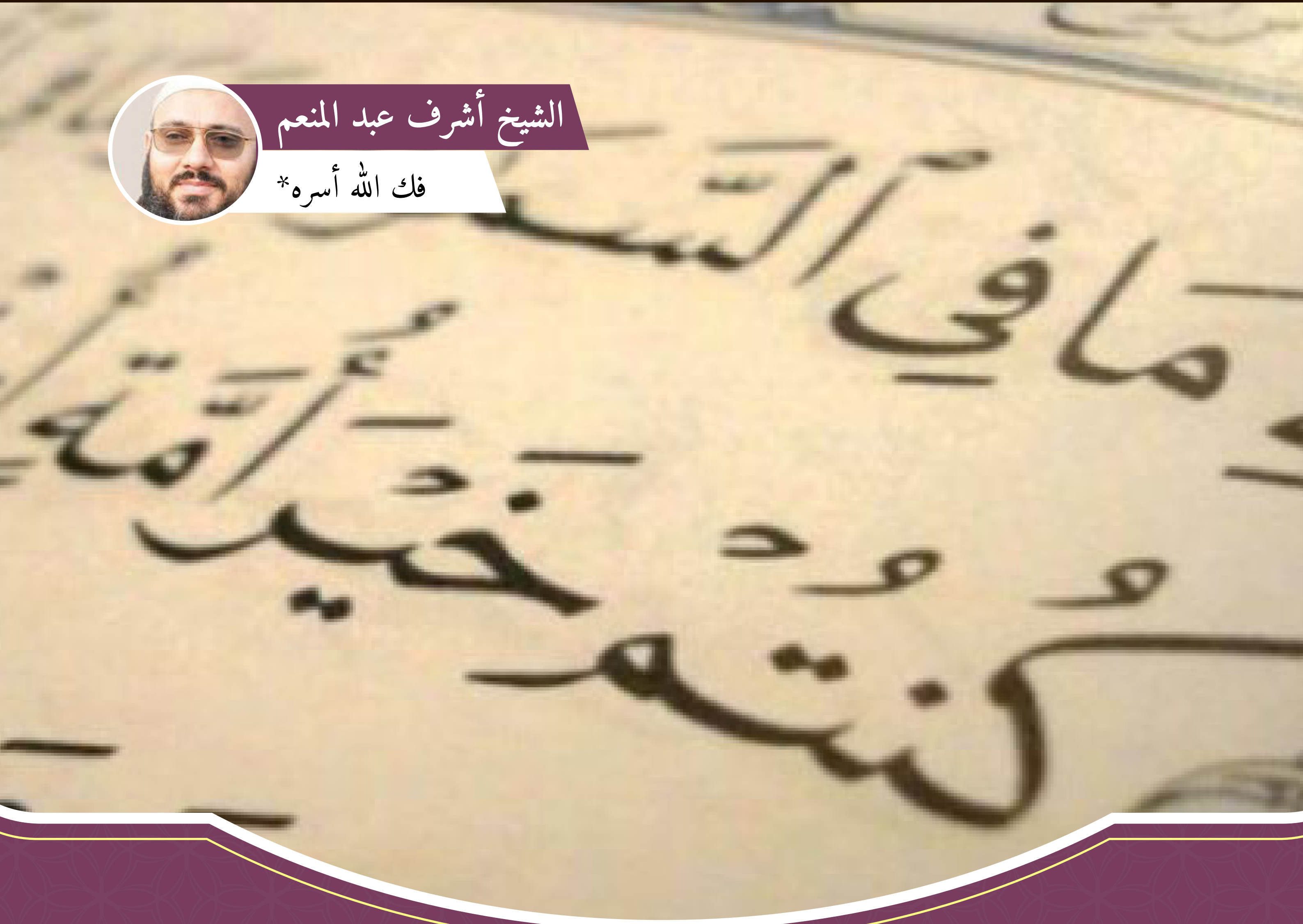
منظومة القيم لا تتغير

ومنظومة القيم لا تتغير في بلد ما مرة واحدة، بل القيم السياسية تُغيّر عبر سنين بعدما يُغيّب المجتمع وتُشوّه القيم داخله هو نفسه، فالقيم السياسية كثيرًا ما تتغير بالتوازي مع تغيير القيم المجتمعية، ففي مصر مثلًا: قيمة مثل (سيادة الشرع) هي قيمة شُوّهت في قلوب الناس قبل أن يقوم النظام المصري في عهد عبد الناصر بإلغاء المحاكم الشرعية، فإلغاء المحاكم الشرعية هو سلوك نبع عن تغيير القيم عبر سنين طويلة قضاها الناس تحت الاحتلال الفرنسي والإنجليزي، تم التلاعب فيها بالمحاكم والقضاء، إلى أن وصل الناس إلى تقبل فكرة وجود المحاكم المختلطة التي أسسها الاحتلال.

ثم قلّص الاحتلال اختصاصات المحاكم الشرعية وحصرها في الأحوال الشخصية، فالاحتلال هو الذي وضع البذرة للمحاكم اليوم وهو الذي شوه قيمة التحاكم للشرع في قلوب الناس، بينما الذي أقدم على (سلوك) إلغاء المحاكم الشرعية تمامًا كان عبد الناصر، وهكذا كل سلوكيات الأنظمة في بلادنا إنما هي نتاج القيم التي زرعها الاحتلال حتى ولو ادعت هذه الأنظمة أنها مناهضة للاحتلال!

وقِس على ذلك كل القيم التي تقوم عليها الأنظمة اليوم مثل: صنمية الدولة، والعلمانية السياسية، والرأسمالية، والتبعية للخارج، وتقديس الحدود التي رسمها الاحتلال، وبالتالي فالتغيير الحقيقي الذي نسعى له هو تغيير كامل لمنظومة القيم الموجودة حاليًا في بلادنا وليس تغيير السلوك فحسب...

ومنظومة القيم في أي بلد تمثلها وتحميها السلطة الثابتة... فالسلطة الثابتة مع منظومة القيم هي باختصار ما نعنيه بكلمة (نظام)، والثورة هي عملية مستمرة لإسقاط النظام وإحلال غيره مكانه، وهو ما يجب علينا أن نعمل لأجله.



الشيخ أشرف عبد المنعم
فك الله أسره*

عدم التغيير
إعانة لأهل الباطل

لأن ترك التغيير معصية تستدعي العقوبة، وتتنوع هذه العقوبات ما بين عقوبات شرعية وعقوبات كونية.. فإن ربنا سبحانه تعالى لما أخبرنا عن عدم إهلاكه للقرى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٍ﴾ وقال بعدها: ﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧] فالصلاح وحده لا يكفي، ولا يمنع الهلاك، بل لا بد من الإصلاح.

---

* الشيخ أشرف عبد المنعم، (عدم التغيير إعانة لأهل الباطل)، موقع الجبهة السلفية، ٢٠١٩م. نقلاً عن كتيب (التغيير).

وعندنا في حديث السفينة، قول النبي ﷺ: «فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»[1]. فعدم تغيير الباطل هو مساعدة لأهل الباطل، لأنه ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١] سيظهر الفساد.. والفساد سيستدعي العقوبات.. الشرعية منها والكونية.



حتى التغيير بالقلب له لوازم، إن لم يقدر على أكثر منه، كما قال ربنا تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].. مع أن الواجب عليك أكثر من مفارقتهم، لكن لو لم تقدر على أكثر من ذلك، فأقل شيء أن تفارق، كما قال العلماء: إذا لم تُزِل المنكر، فزُل أنت عنه.. فإذا لم تقدر على أن تغير أي شيء فيه، فنفْس وجودك معه جريمة، لأن من غضبك وإنكارك القلبي أن تفارقه.

فإن لم تفعل، فإن ربنا قال: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].. الكافر هنا مَن قال الكفر.. والمنافق هنا مَن قيل الكفر أمامه، فلم يقدر على الرد، ولم يفارق، بل سمحت نفسه به.. مع أنه لو كان قد شتمه أحد، لكان قد انفعل وغادر. فكيف بمن يعتدي على دين ربنا أمامك، ثم أنت لا تعتبر أن القضية توجب حتى انصرافك!!

---

١ البخاري (٢٤٩٣) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه .

إنك كإنسان مؤمن، فإن أهم وأغلى وأحب شيء عندك هو ربك سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ ودينك الذي رضيه الله لك -الإسلام- فعلى الأقل تغضب لهم، وإذا غضبت ولم تقدر على أكثر من المفارقة، فهي واجبة عليك، فإذا تركت هذا التغيير البسيط جداً، فهناك عقوبة شرعية مغلظة: (إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡ) وهذه عقوبة قاسية جداً لحكم قُرر على المستوى الشرعي.

أما على المستوى الكوني، فأنتم تعرفون قصة القرية التي كانت حاضرة البحر: ﴿إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣] فإن أصحاب القرية انقسموا إلى ثلاثة أصناف:

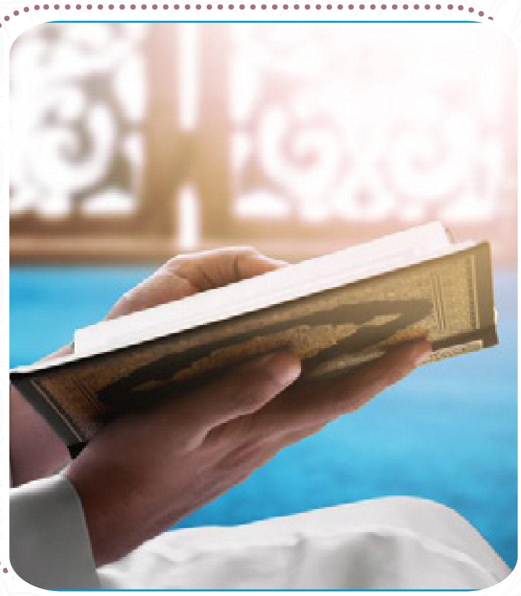
- قسم ارتكب الحرام.
- وقسم أنكر الحرام.
- وقسم لم يرتكب الحرام، ولم ينكره.



وما دام عندنا هنا ثلاثة أنواع.. فإننا ننتظر أن يكون عندنا ثلاثة أحكام تنزل عليهم. لكننا نجد أن الآيات فيها نهايتان: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، فالمتفق عليه حكم طائفتين:

- **الذين ارتكبوا الحرام، وهؤلاء قد نالهم العذاب.**
- **الذين أنكروا عليهم، وهؤلاء قد نجوا.**

فما حكم مَن لم يرتكب الحرام، ولم ينكر ارتكابه أيضاً؟



إن العلماء قد اختلفوا في هذا الصنف، وعندنا ثلاثة أقوال لأهل العلم في المسألة:

- **القول الأول:** نجوا مع من نجا من الطائعين، لأن ربنا خص العقوبة بالظالمين، وهؤلاء لم يظلموا، لأنهم لم يرتكبوا الحرام.

- **القول الثاني:** وهذا عليه الأكثر، أنهم هلكوا مع من هلك، لأن ربنا قصر النجاة على من كان ينهى عن السوء، وهم لم يكونوا من أهل النهي. فهل هم ظالمون؟ قالوا: نعم؛ لأن الظلم نوعان، فواحد ظلم بفعل الحرام، وآخر ظلم بإعانة أهل الباطل حين تركهم يفعلون الحرام. فهل يستوون في العذاب؟ لا، لأن كل إنسان يُعذَّب على قدر مشاركته في الحرام، ودرجته في الظلم.. لكنهم في النهاية ظالمون. وهذا هو الأرجح من حيث الدلالة.

- **القول الثالث:** إن الطائفة الأولى قد عملت عملاً سيئاً، فاستحقوا أن يذكرهم ربنا سبحانه وتعالى بأسوأ صفاتهم ويذكر سوء مصيرهم، حتى يحذر الناس أن يكونوا مثلهم. والطائفة الأخيرة هي طائفة ممتازة، قد عملت عملاً صالحاً، فاستحقوا أن يذكرهم ربنا بأحسن أوصافهم، وبنجاتهم ومصيرهم، حتى يعمل الناس مثلهم.

أما الطائفة التي في الوسط، فقد ألغوا فائدة وجودهم، حيث كان وجودهم وعدمهم سواء.. هؤلاء سكتوا فسكت الله عنهم؛ لأن ربنا قد أعطى لهم نعمة الوجود، فألغوا هم قيمة هذه النعمة، كأن لم يكونوا موجودين.

ولذلك أخبر النبي ﷺ أن وجود قدر من الصلاح، إذا لم يكفِ لمقاومة الفساد، فإنه لا يمنع العقوبات الكونية العامة في الدنيا، وبذا أجاب ﷺ من سأله متعجباً: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ ﷺ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»[٢]. لماذا تركته يكثر؟ إذا كثُر الخبث حصلت العقوبات العامة.

وفي الحديث: «يَغْزُو جَيْشُ الْكَعْبَةَ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ». قَالَتْ عائشة رضي الله عنه: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: ﷺ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»[٣].

فالعقوبة العامة هنا، لم تثبت التساوي في الجريمة العامة، فلكل نيته، ويتفاوتون في الآخرة، لكن العقوبة الأولى الكونية في الدنيا قد شملتهم.

فلابد أن تمارس التغيير.. أنت لا تمارس هواية في وقت الفراغ، ولا تمارس مجرد فريضة من جملة فرائض واجبة عليك وفقط. بل أنت تمارسه محاولةً لإنقاذ نفسك وأهلك وأولادك في الحياة.. في الدنيا والآخرة.. لأن عدم التغيير إعانة لأهل الباطل، وهذه نقطة خطيرة رأيناها في بعض إخواننا



٢ البخاري (٣٣٤٦) عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها.

٣ البخاري (٢١١٨) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

في المواطن الشديدة.. قالوا: إنهم تعبوا ولن يستمروا، لأنه لا يوجد حل مرض، ولا شرعيّ بشكل كامل. وبدأ الشيطان يزين لهم ترك الطريق، وغفلوا عن خطورة ترك التغيير التي نتكلم عنها.

قد يقال: ألا يكفي أن تنكر مجموعة من المصلحين.. فيسع غيرهم أن يتركوا هذا العمل إلى غيره؟

والجواب: إن هؤلاء الذين أنكروا ما استطاعوا أن يمنعوا المنكر، ولا أن يحققوا مقصود التغيير، فاتسع الواجب ليشمل الباقين، كل بحسب قدرته.

لأنه متى يقال بسقوط الفرض الكفائي؟

إنه لا يقال بذلك إلا إذا حصلت الكفاية، وإلا بقيت الفرضية لعدم تحقق الكفاية. فكما يقول علماء الأصول في التفريق بين فرض العين وفرض الكفاية: إن فرض العين، المقصود فيه أن يوجده كل معين.



أما فرض الكفاية، فالمقصود فيه أن يوجَد، بغض النظر عمن يوجده. فالعبرة هنا أن يوجَد، فيكون في حق من فعله مستحباً، ويسقط الإثم عن الجميع.

لكن ما الحكم إذا لم تحصل الكفاية؟

يقول العلماء: يأثم كل قادر بحسب قدرته.

والشاطبي رحمه الله يقول كلاماً قيماً في هذه المسألة: «يأثم كل قادر بحسب قدرته».

لأن من الناس من يحب أن يخلي مسئوليته، فيقول لك: الحمد لله فالعلماء الذين عندهم علم سيأثمون لأنهم ما قاموا بالواجب عليهم ولستُ منهم، والخطباء الذين كان واجباً عليهم أن يبينوا للناس وما بينوا سيحاسبون على تقصيرهم ولست منهم أيضاً. وأصحاب الأموال الذين كان المفروض عليهم أن يبذلوا منها سيؤاخَذون ولست أنا. والأقوياء الذين كان مطلوباً منهم أن يجاهدوا سيسألون ولست أنا. فليُعذَّب هؤلاء كلهم لأنهم ما قاموا بالفرض الذي عليهم، ويتوهم أنه هو يسلم من هذه المسئولية الشرعية!

يقول الشاطبي رحمه الله: **«لكن قد يصح أن يُقال: إنه واجب على الجميع على وجه من التجوز، لأن القيام بذلك الفرض قيام بمصلحة عامة؛ فهم مطلوبون بسدها على الجملة:**

فبعضهم هو قادر عليها مباشرة، وذلك من كان أهلاً لها.

والباقون -وإن لم يقدروا عليها- قادرون على إقامة القادرين، فمن كان قادراً على الولاية فهو مطلوب بإقامتها، ومَن لا يقدر عليها مطلوب بأمر آخر، وهو إقامة ذلك القادر وإجباره على القيام بها؛ فالقادر إذن مطلوب بإقامة الفرض، وغير القادر مطلوب بتقديم ذلك القادر؛ إذ لا يتوصل إلى قيام القادر إلا بالإقامة، من باب ما لا يتم الواجب إلا به»[٤].

فحاصل كلامه أن الوجوب يتعلق بطائفتين:

الطائفة المؤهلة لعمل نفس الشيء الذي يسقط الفرض، وهذا ظاهر لا خلاف عليه.

لكن هناك وجوباً على غيرهم، ممن يقدر أن يحثهم ويعينهم، فهؤلاء عليهم ذلك، حتى يقيموا الفرض.

---

٤ الموافقات، ١/٣٨٣ - ٢٨٤.

فماذا عملت أنت للعالم وللخطيب وللغني وللقوي؟



إنك مطالب أن تحثهم وتعينهم على القيام بالفرض، أنت مطالب أن تساعدهم على القيام بالفرض.. وهذا أمر أنت تقدر عليه، وربنا سيحاسبك على ما تقدر عليه ولم تعمله. وهكذا الكلام في كل ما هو فرض على الكفاية.. فلا يتوجه الوجوب فقط إلى أصحاب القدرة الظاهرة، بل لا بد لغيرهم ممن وراءهم أن يقيموهم ويعينوهم، وهؤلاء ينالهم قدر من الإثم بقدر ما تراخوا في القيام بهذه الفريضة، لذا كان العلماء يقررون أنه إذا لم تحقق الكفاية، فإنه «يأثم كل قادر بحسبه» كما سبق.

إن الانسحاب من معركة التغيير الواجبة، خذلان للحق في الأرض، وإضعاف لقلوب المؤمنين، ودعم لوجود وزيادة الباطل في الأرض، وتشجيع لقلوب المفسدين. إن عدم التغيير نقص في الإيمان الواجب، وتفريط في الهداية يُخرج صاحبه من الوعد الرباني: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]. فيضره ضلال الضال، إذ لم يحقق الهداية بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

إن التقصير في هذا الواجب العظيم سبب تستجلب به العقوبات الكونية العامة، فلن نكون في مأمن نحن ولا أهلونا وأبناؤنا، إلا إذا سرنا في هذا الطريق، الذي سار فيه رسول الله محمد ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم، ومَن سار على درب القوم.. فسوف يلحق بهم يوماً ما.



د. عمر بن عبد الله المقبل

فك الله أسره*

حرب غزة

والحقائق القرآنية

الحمد لله حمداً يملأ الدنيا والآخرة، ويسعُ السماوات والأرض وما بينهما، فالحمد لله حَمْداً مزيداً، وأشهد أن لا إله إلا الله، القائل في محكم تنزيله: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤]، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً، أما بعد:

---

*أصل المقال: خطبة للدكتور عمر المقبل، ألقيت في ١٤٣٥/١٠/٥هـ. Almuqbil.com .

ففي شهر رمضان المبارك، يُقبل الناسُ على قراءة القرآن الكريم، وأسعدُ هؤلاء الناس من يتخرج في رمضان بأكبر قدر ممكن من معرفة «حقائق القرآن» التي تُطلع العبدَ على حقائق الدنيا والآخرة، وتجعله يبصر ما حوله بل ما أمامه على نور من الله، لكن هذا مشروط بشرط واحدٍ، ألا وهو: انكسار الأقفال التي على القلوب، التي تحجب القلبَ عن فهم حقائق القرآن، قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]؛ «فلو رفعت الأقفال عن القلوب لباشرتها حقائقُ القرآن، واستنارت فيها مصابيح الإيمان، وعلمت علماً ضرورياً يكون عندها كسائر الأمور الوجدانية -من الفرح، والألم، والحب، والخوف- أنه من عند الله، تكلم به حقاً، وبلّغه رسوله جبريل عنه إلى رسوله محمد؛ فهذا الشاهد في القلب من أعظم الشواهد»[1].



يقال هذا ونحن بين يدي حدَثين مهمين:

- **الحدث الأول:** انقضاء شهر رمضان، الذي يجب على كل ناصح لنفسه أن يتساءل عن هذه الحقيقة: ماذا أحدث فيّ رمضان؟ وماذا غيّر فيّ القرآن؟ وما الفضائل التي زادت عندي بعد رمضان؟ والنقائص والصفات الرديئة التي تخلّصتُ منها بعد هذه المدرسة الإيمانية العظيمة؟

تأملوا هذه القصة القصيرة المعبّرة -يا عباد الله-: قيل لعيسى بن وردان رحمه الله -وكان يتنفس تنفساً شديداً-: ما غاية شهوتك من الدنيا؟ فبكى، ثم قال: «أشتهي أن ينفرج لي عن صدري، فأنظر إلى قلبي، ماذا صنع القرآنُ فيه وما نكأ»!

---

١ مدارج السالكين (٣/٤٣٧).

إنه نموذج لمحاسبة النفس على تتبع الأثر قبل أن تعثر القدَمُ!

•• **أما الحدث الثاني:** فهو الحدث الذي سيطر على حديث وسائل الإعلام العالمية، وهو ما يجري على الأرض المباركة في حربٍ جديدة لا تخرج عن حقائق القرآن لمن تدبره، ولمن تأمل في هذه الأحداث الحالية، فلننظر أين نجد إجابات القرآن في هذه الحرب التي لا زلنا نعيش أحداثها؟ وكيف نتلمس حقائق القرآن الثابتة في هذه الحرب، بعيداً عن التجاذبات السياسية والدولية المتقلّبة!



الحقيقة الأولى

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

ولن يجد المؤمن كلفةً في تفهّم هذه الحقيقة في تاريخ اليهود المعاصر فقط، فضلاً عن تاريخهم الغابر منذ بعثة نبينا ﷺ! وحين يفتخر جندي يهودي قبل أيام بأنه قتل ثلاثة عشر طفلاً فلسطينياً، ستدرك هذه الحقيقة بلا عناء.

الحقيقة الثانية

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

والمعنى: «كلما عقدوا أسباباً يكيدونك بها، وكلما أبرموا أموراً يحاربونك بها، يبطلها الله ويرد كيدَهم عليهم، ويحيق مكرهم السيئ بهم»[٢].

---

٢ تفسير ابن كثير، ت: سلامة (١٤٧/٣).

وهذه الحرب الأخيرة نموذج واضح في تجلي هذه الحقيقة، فلقد ظن اليهود وأعوانهم أن مسلمي فلسطين شعبٌ يمكن تجويعه، وقهره، وإذلاله بأساليب الحصار، فإذا به يكون أقوى ما كان طوال سنوات الجهاد والرباط والمقاومة منذ ذلك العام الذي مهّد فيه الغرب لاحتلال أرض الإسراء والمعراج عام ١٩٤٨م! ويتضح هذا المعنى أكثر بتأمل:

الحقيقة الثالثة

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

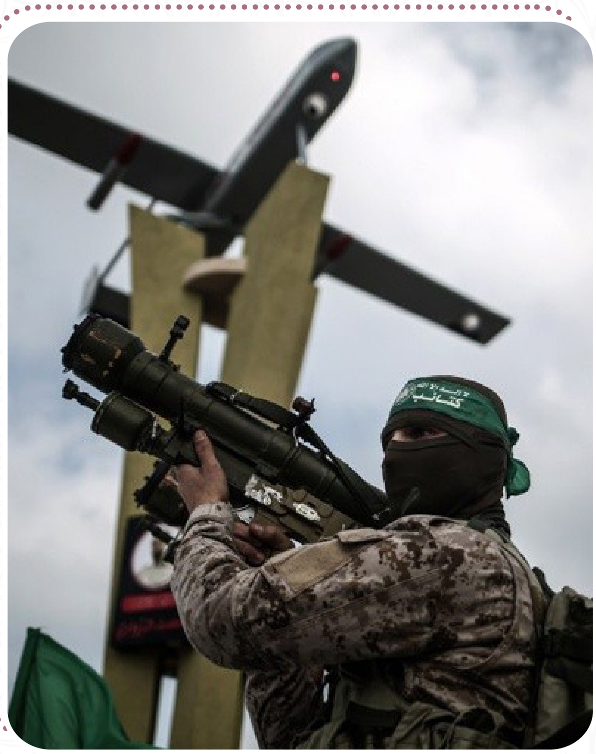


والدة شهيد تحمل بندقيته في جنازته

لقد ذاق الفلسطينيون -والغزاويون تحديداً- الأمرّين من الحصار الظالم الذي فُرض عليهم ابتداءً منذ عام ٢٠٠٦م، وتبعه الحصار الكلي ٢٠٠٧م فقرر الفلسطيني في غزة أن ينحاز كلياً لمبدأ المقاومة، أما الإنجاز الأكبر فهو التغيير الذي حدث في معنى الحياة عند الإنسان الغزاوي، إذ إن ثقافة «الشهادة طريق الحياة» هي التي هيمنت على التشكيل النفسي له، لم يعد الخوفُ على الحياة أو الرزق أو المال هاجساً عند الإنسان الفلسطيني في هذه البقعة.. بل لقد صار الناس يتنافسون في غزة على تكوين تاريخهم بأعداد الشهداء، فهم يعتبرون أي أثر للشهيد إنما هو كنز وثروة للأسرة وتاريخها!

لقد أصبح شعبُ غزة اليوم شعباً جديداً، لقد نزع معنى الخوف من نفسه واستبدله بالإرادة والشجاعة والصلابة والصبر والأمل بالله.. نخرج منه جيلٌ تربى في واقعٍ صعب وشديد، مع استضعاف من القريب

والبعيد، فأيقن هؤلاء أن هذا طريق التمكين بإذن الله، وبداية التمهيد لطرد العدو المحتلّ.. ومن ثمّ انتقل العمل العسكري إلى أساليب نوعية عالية، ومن تابع أخبار القتال في هذه الحرب الأخيرة عرف مقدار التقدم التقني الذي أدهش العالم في الإنسان الفلسطيني، رغم الحصار والتجويع!



يوضّح ما سبق:

الحقيقة القرآنية الرابعة في هذه الأحداث

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥]

فالقرآن صريح، والتاريخ شاهد بأن التمكين لا يمكن أن ينتج في بيئات المترفين، المنغمسين في اللذات والشهوات! بل لا يمكن أن يقوم إلا على أيدي أناس يسترخصون الموت في سبيل الله، ويعشقونه كما يعشق عدوهم الحياةَ، ولا يتحقق التمكين إلا على أيدي مَنْ: ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]، فهم أهل الاستخلاف الحق، كما قال موسى لقومه: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٨، ١٢٩].

فلن تحرر فلسطين، ولن يتطهر الأقصى المبارك من رجس يهود على أيدي من خانوا القضية، أو وضعوا مصالحهم الشخصية والسياسية قبل مصلحة هذه القضية.

القدس وفلسطين لن يحررها إلا المتقون.. إلا المتوضئون.. إلا مَن تربوا على أيدي آيات الجهاد في سبيل الله، والتعلق بالله وحده دون سواه.

القدس وفلسطين لن يحررها إلا ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

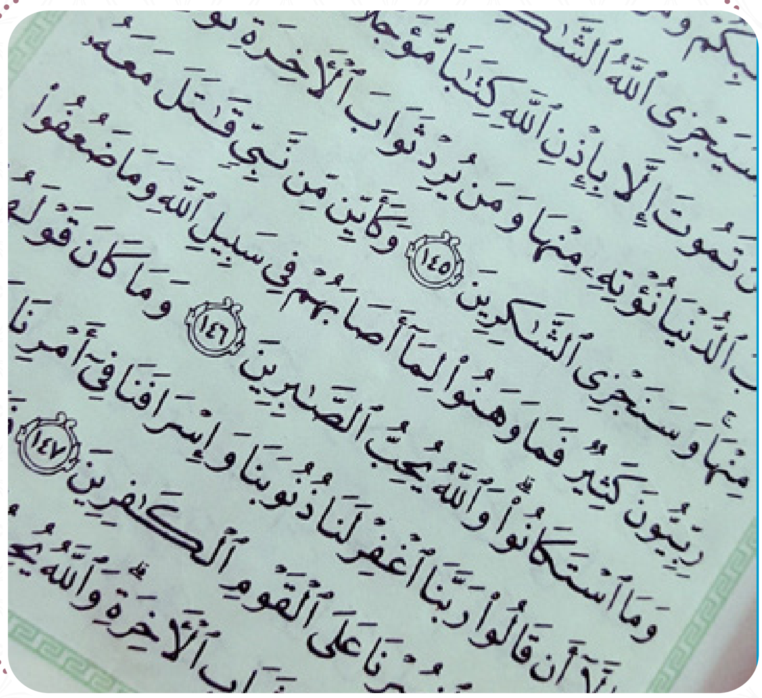
القدس وفلسطين لن يتحقق فيها وعْدُ الله إلا على يد من اتصفوا بصفةٍ واحدة فقط ذكرتها آيةُ الإسراء، وهي صفة العبودية: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ٥] فهم عباد لله، لا عبيد للشرق والغرب! ولا عبيد لأجندة سياسية وتدار من بعيد بما يحقق لليهود الاستقرار والأمن!

الحقيقة الخامسة

أن حقيقة الانتصار هي انتصار المبدأ الحقّ، والصبر عليه أمام العدو، وإن أثخن العدو فيه الجراح، فإن الألم موجود في الطرفين، كما قال الله: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤]، إلا



أن أناساً عميت بصائرهم عن حقائق القرآن، فقاسوا الانتصار في الحرب بعدد من يُقتل من الطرفين، والقرآن يُبطل هذا الفهم، فإن الله وصف إحراق أصحاب الأخدود عن بكرة أبيهم: بالفوز الكبير.



وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ﴾ -وفي قراءة (وهي الشاهد): قُتل- ﴿معه رِبِّيونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ويأتي بعضُ الجهال -وبعضهم من صهاينة العرب- ليتحدث بكل وقاحة، متجرداً من كل مروءة ليشمت بالمجاهدين من أهل الرباط، وليقف صفاً واحداً مع الصهاينة المعتدين، فصار من حيث يشعر أو لا يشعر ردءاً لليهود على المسلمين، ووالله الذي لا يحلف إلا به إن الإنسان لا يكاد يصدق ما يقرأ ويسمع! أيُعقل أن يوجد عربي أو مسلم يرحّب ويشكر اليهود على ضربهم للمسلمين في غزة؟! إذا لم يكن ثمة دين فليكن حياء ومروءة عربية، ولكأن المسلم يقرأ في هذه الأحداث ما قاله أسلافهم من المنافقين الذين كانوا يسخرون من المتصدقين، واليوم أذنابهم يسخرون من أسلحة المجاهدين: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

وصدق الله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ [محمد: ٢٩].

أيها المسلمون.. لقد كانت قضية فلسطين أول ما احتُلت قضية إسلامية، ثم اختُصرت لتكون عربية، ثم قُزّمت لتكون فلسطينية، ثم خُنقت لتكون غزاوية أو حمساوية، ودخلت دهاليز مؤامرات السلام التي أرادت إجهاض الحسّ الجهادي في هذه القضية، فأتاهم اللهُ من حيث لم يحتسبوا.



فلننتبه إلى كيد أعداء الإسلام في تحجيم القضية، ولنكن على وعي جيد بهذا، فقضية فلسطين قضية المسلمين، وحقُّ المرابطين في أرض الإسراء والمعراج أن نقف معهم بكل ما أوتينا من قوة، وأن ندعو لهم، وأن نجتهد في نصرة هذه القضية حتى يبعث الله عباداً له، يكتب الله على أيديهم طرد اليهود.

اللهم إنا نسألك يا حي يا قيوم.. يا من خسف بقارون، وغرّق فرعون.. يا من أرسلت الطير الأبابيل على مَن قصدوا بيتك الحرام، اللهم أرسل على يهود جنوداً من عندك تهزمهم وتمرغ أنوفهم بالتراب.. اللهم أرسل عليهم جنود الرعب!



ملحمة الشام (١-٤)

يا شام هل يحجز الأشواق قضبان؟ .. أم يحجب الطيف أسوار وجدرانُ

قد استوينا فكل رهن محبسه .. للظلم من حوله سوط وسجانُ

لنا إذا هبت الأنسام لاعجة .. من حرقة الوجد فالأكباد نيران

يغشى الأسى ناظرينا كلما ومضت .. في الأفق بارقة تخبو وتزدان

إذا تألق في عليائها أملٌ .. هوى إليه هوىً وانساب ألحان

لا عتب أن فرقتنا للنوى سبل .. فالدهر ذو دولة والوصل ميان

وهكذا تنضب الأرواح نازفة .. بكل جرح مرارات وأشطان

لم يبق إلا صبابات نجاذبها .. لا ترتوي فالجوى باليأس حران

نباكر الغَمَّ في الإصباح متقداً .. وفي العشية آهات وأشجان

د. سفر الحوالي، من قصيدة: ملحمة الشام، موقع إلكتروني: طريق الإسلام، ٢٠١٣م.

تطير أرواحنا شوقاً ولو قدرت •• طارت إليكم مع الأرواح أبدان
أنتم ندامى الهوى ما للهوى بدل •• منكم إذا سامر المشتاق ندمان
لسنا من الحب في شيء لو انصرفت •• عنكم صبابتنا أو ضل وجدان
نسلو الحياة ولا نسلو تذكركم •• وهل تداوى بغير الذكر ولهان
وحسبكم أنكم في القلب مسكنكم •• حيث الأسى راتع واليأس حيران
عسى تراسلُ أشواقٍ يعللنا •• وربما خفتت بالشوق أحزان
أواصر الحب كلُّ الحب تجمعنا •• رغم القيود أما قد قال حسان:
إما سألت فإنا معشر نجب •• الأزد نسبتنا والماء غسان
وكل ناعورة بالشام نادبة •• عهد الوصال فهل للهيض جبران
الله أكبر! هذا الظلم فرقنا •• وللمقادير إيلاف وإظعان
كأنه لم يكن بالمرج مرتعنا •• ولم يكن في ربى جيرون جيران
ولم يكن في الثغور الغر مرصدنا •• وفي المضائق حراس وسكان
وفي السواحل نيران وأربطة •• وفي الجزيرة أحباب وإخوان
وفي المدائن أنساب مؤلفة •• وفي العشائر أصهار وأختان
وأعذب الحب ما كانت موارده •• بالقدس، أواه هل للقدس نسيان
يا شام يا معقل الإسلام ما ركضت •• بلق الخيول ومد الظل أفنان
إذا تضاءل هذا الحب عن بلد •• ففي مرابعكم فيء وأكنان
تالله ما الغوطة الغناء منيتنا •• وفي مسارحها للحسن غزلان

ولا رسوم لأجداد بساحتكم •• إذ كان يملكها أزد وزهران
ولا صبا بردى يسبي مشاعرنا •• لكنما حبكم دين وإيمان
من البراق أصول الحبّ قد بزغت •• وقد أضاءت لها بصرى وحوران
إذا سرى الطيف منكم وانثنى سحراً •• يهيج بالقلب للإسراء عنوان
لله حبٌ، رسول الله أسسه •• وهل لنا غيره أس وأركان
وقام من بعده الصديق يورده •• والشرق والغرب نيران وصلبان
بعزمةٍ عقد الرايات مرتقباً •• بشرى الرسول وأمضى وهو عجلان
وقال: إن لم نبادرهم بمعمعة •• تنسي الحلومَ فلا كنّا ولا كانوا
والدهر ما عزم الصديق مرتجف •• والأرض مائدة والبحر طوفان
إذا تحنن فالإعصار مرحمة •• وإن توعد فالأنسام حسبان
يعطي وليس لمخلوق عليه يد •• إنفاقه حسبة، والعتق إحسان
دع ليلة الغار فالقرآن خلدها •• تقاصرت همم عنها وأزمان
والروم قد أثخنت في الفرس عن حنق •• فالشام قلب وباقي الملك جثمان
حلاوة النصر لا زالت تداعبها •• ونشوة النصر في الطغيان طغيان
لكن قلب هرقل واهن وجل •• تصارعت فيه أنوار وأوثان
لديه من سابق الأخبار عن سلفٍ •• من النبوات آيات وبرهان
شمس الرسالة هذا حين مطلعها •• فلتبتهج بسنا الرحمن أكوان
«ساعير» و«الطور» للإسلام تقدمةٌ •• والنور تعلنه في الأرض «فاران»

والله يختار مما شاء مرسله •• والخلق ليس لهم رأي ولا شان
والملك في فرع إسماعيل منتقل •• حتماً ولو كرهت روم ويونان
ملك الختان بدا في الأفق شاهده •• فبان أن الملوك القلف قد بانوا
وأخمدت نار كسرى حين مشرقه •• واهتز بالشرفات الشم إيوان
تلا كتاب رسول الله في أدب •• وقال للروم والأرصاد حيطان:
هذا الرسول الذي كنا نؤمله •• فالعين نائمة والقلب يقظان
وهذه الشام للمبعوث عاصمة •• للسيف ظل وللزيتون أغصان
إن اتبعناه فالدنيا لنا تبع •• وسائر الناس خدام وولدان
وإن أبينا فأمر الله غالبنا •• وملكنا ضائع والسعي خسران
نعمْ! «هرقلُ» لقد أسمعتَ ذا صمم •• لو كان للقوم آذان وإذعان
أبت بطارقة الرومان موعظة •• وغلّ أحلامهم كبر وبهتان
والكبر ما كان في طياته حسد •• فشر وادٍ تردى فيه إنسان
إلا «ضغاطر» إن الله أكرمه •• وقال: يا قوم إن الحق فرقان
محمد نحن في الأسفار نعرفه •• فكيف يوبقنا في الكفر نكران
تواترت عندنا أنباء بعثته •• فالخلق ينتظرون الإنس والجان
لولاه ما هاجر الأحبار واصطبروا •• على لظى يثرب والشام أجنان
وللنبوة أعلام إذا نشرت •• أصغى وأبصرها بكم وعميان
وحي يصدق بعضاً بعضه أبداً •• توراة موسى وإنجيل وقرآن

والحق أوله مهد لآخره •• جبريل ناموسه والرُّسْل إخوان
تقدس الله أن يدعى له ولد •• أو أن يكون له ندٌ وأعوان
وكلكم عارف ما قلت فاتبعوا •• حكيمة النمل إذ وافى سليمان
فأشعياء حكى أوصاف طلعته •• كما حكى صورة بالرسم فنان
ودانيال فقد جاءت نبوته •• نصاً كما يبصر الإنسانَ إنسان
وفي المزامير يأتي أحمد فإذا •• كل الجزائر والأنهار خضعان
وسوف تُخدِمه أقيالَها سبأ •• وسوف تتحفه بالورد لبنان
ويهرع الناس نحو البيت عارية •• أطرافهم ولهم عج وألحان
تهدى إليه قرابين مقلدة •• تسوقها حسبة مصر ومديان
وفي شكيم له جيش ذوو غرر •• يقتص مما أراقت قبل رومان
وأرض بابل يعنو سحرها هلعاً •• إذا ترنم بالتهليل عربان
هم أمة الحمد والتكبير ديدنهم •• إذا علوا شرفاً أو لاح علوان
وفي النهار ليوث لا يساورها •• غمر وهم في ظلام الليل رهبان
هذا هو الملكوت الحق قد بزغت •• أنواره فالدجى المبهور وسنان
كأنني أبصر الأملاك تحمله •• وهم صفوف لمبداه وفرقان

«نستكمل الملحمة في الأعداد القادمة إن شاء الله»



بريد القراء

محمد الحسيني
مهندس

كيف هي نفوس الشهداء؟

إن النفوس كما نعلم لها أغوار قد لا يعلمها صاحبها، وهي مقسمة إلى أقسام شتى: منها النفس الأمارة، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة.

والنفس من أقوى العوائق أمام انطلاق الإنسان للعلياء والرفعة والمجد، فهي دائماً تدعو صاحبها للراحة والقعود، والنفس تمرض ويصيبها من الأمراض الكثير .

وهي مع الجسد تمثل النزعة الطينية في الإنسان، لذا فهي تطلب الراحة والملذات والشهوات أياً كان طريق هذه الملذات، من الحلال أو من الحرام.

ونفوس الشهداء حالة تستحق الدراسة.. كيف قهروها وألجموها وساسوها، إلى أن وصلوا بها أن خاضوا غمار الموت غير مبالين ببارقة السيوف فوق رؤوسهم. كيف وصلوا بهذه النفس إلى هذا المستوى من الترويض؟



وهل يبذل الشهداء جهداً كبيراً في هذا الأمر؟

ألم تراودهم أنفسهم يوماً أنْ كفى ما كان وهيا بنا نعيش كما يعيش باقي البشر؟!

ألم تقُل لهم أنفسهم إن طريق الجهاد مكلف؟

ألم تحتج أنفسهم وتتعلل بالأولاد والزوجة ولمن ستتركهم؟

ألم تقل لهم إن سبل الجهاد كثيرة فلماذا أنت مصر على هذا الطريق بعينه؟

ألم تقل له إن تفوقك جهاد، وجمعك للمال الحلال جهاد و...؟

الحقيقة أن كل هذا وأكثر يدور بين المجاهد ونفسه، ويجاهدها وتجاهده، ويغلبها وقد تغلبه.. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

ومن هؤلاء الشهداء الذين دار حوار طويل بينه وبين نفسه: الشهيد الدكتور، أسد فلسطين، عبدالعزيز الرنتيسي.

فقد سجل حواراً دار بينه وبين نفسه في فترة إبعاده في (مرج الزهور)، وصاغه في صورة قصيدة حتى أن هذه القصيدة صارت نشيداً يترنّم بها المجاهدون:

تشري النعيم وتمتطي صهو الصعاب •• ماذا دهاك يطيب عيشك في الحزن
ونعمت رغد العيش في ظل الشباب •• ماذا عليك إذا غدوت بلا وطـن

يا هذه يهديك ربك فارجعي •• القدس تصرخ تستغيثك فاسمعي
والجنب مني بات يجفو مضجعي •• فالموت خير من حياة الخنـع
ولذا فشدي همتي وتشجعي

ها أنت ترسف في القيود بلا ثمن •• وغداً تموت وتنتهي تحت التراب
وبنيك -واعجبي- ستتركهم لمـن •• والزوج تسلمها فتنهشـها الذئاب

القيد يظهر دعوتي يوما فع •• وإذا قتلت ففي إلهي مصرعي
والزوج والأبناء مذ كانوا معي •• في حفظ ربي لا تثيري مدمعي
وعلى البلاء تصبري لا تجزعي

إني أخاف عليك أن تنفى غداً •• ويصير بيتك خاوياً يشكو الخراب
وتهيم بحثاً عن خليل مؤتمـن •• يبكي لحالك أو يشاطرك العذاب

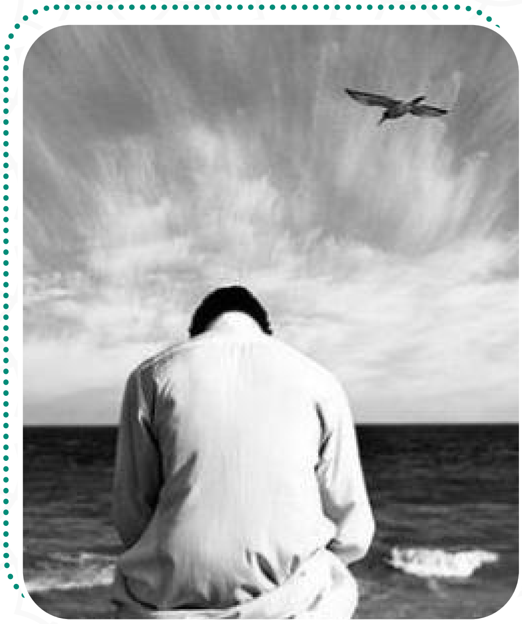
إن تصبري يا نفس حقاً ترفعي •• في جنة الرحمن خير المرتع
إن الحياة وإن تطُل يأت النعي •• فإلى الزوال مآلها لا تطمعي
إلا بنيـل شهادة فتشفعي

إني أراك نذرت نفسك للمحن •• وزهدت في دنيا الثعالب والكلاب
وعشقت رمسا يحتويك بلا كفن •• فرجوت ربي أن تكون على صواب

أنا لن أبيت منكسا للألمع •• وعلى الزناد يظل دوما إصبعي
ولئن كرهت البذل نفسي تصفعي •• من كل خوار ومحتال دعي
وإذا بذلت الغالي مجدا تصنعي

إني أعيذك أن تذل إلى وثن •• أو أن يعود السيف في غمد الجراب
فاقض الحياة كما تحب فلا ولن •• أرضى حياة لا تظللها الحراب

هذا الحوار الدقيق المهيب في معناه دار ويدور بين كل مجاهد ونفسه، هو يشدها لأعلى ليرقيا معاً، وهي تمسك بفتات من الدنيا زائل. حتى تجد منه نفسه ممانعة لما تدعوه إليه وحزماً في ما يرنو إليه؛ فتُقاد له أحسن قياد؛ بل وتصير ممن يحفزونه لذلك الطريق.



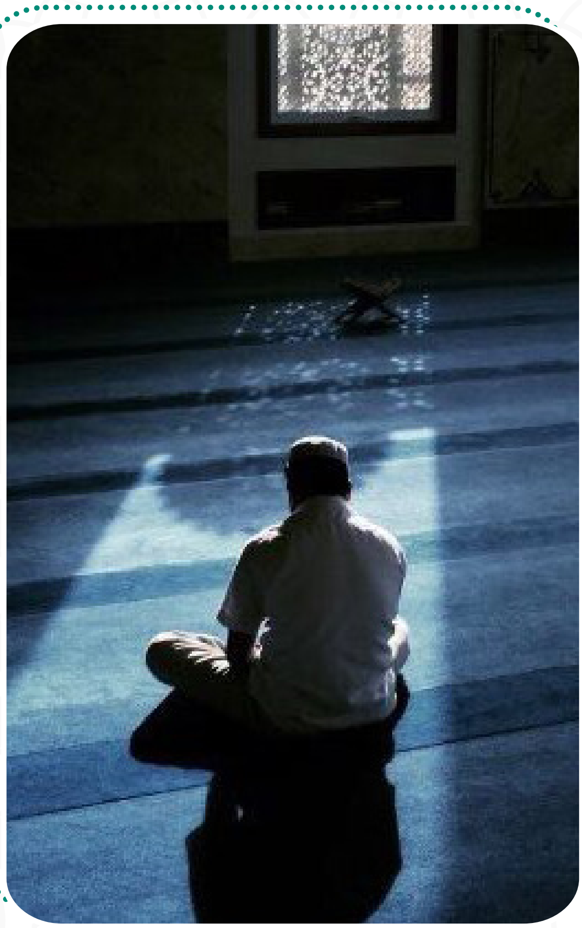
هذه هي النفس وهذه طبيعتها، وقد سأل أحدهم عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن الجهاد فقال له: «ابدأ بنفسك فجاهدها، وابدأ بنفسك فاغزُها».

وقال سفيان الثوري رحمه الله: «ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نفسي، مرة لي ومرة علي».

وقال الحسن رحمه الله: «ما الدابة الجموح بأحوج إلى اللجام من نفسك».

فإليك يا من تُمني نفسك بالجهاد وتمنيك نفسك بالجهاد.. هل تحاورتما حوار صدق؟

هل قرأت عليها آية سورة التوبة: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]؟



هل عرفت نقاط ضعفها وتعلقاتها؟

هل لديك تعلق مقعد -بالزوجة أو الأولاد أو التجارة- عن الخروج للجهاد؟

هل أنت واثق من أن نفسك لن تخذلك؟

وهل مجرد الحوار ومحاولة إقناع النفس بطريق الجهاد كافٍ ليأمن الإنسان جانب نفسه!

لا أعتقد أن ذلك كافْ؛ بل طريق مجاهدة النفس والتيقظ لأغوارها ومداخلها والتفتيش وراء مطالبها ومخالفتها، أمر مطلوب على الدوام.

رئيس الهيئة

د. محمد الصغير

رئيس التحرير

محمد إلهامي

السنة الثالثة   العدد ٢٥

يونيو ٢٠٢٤   ذو القعدة ١٤٤٥

